

رِجَالُ النَّبِيِّ ﷺ

فِي وَقَعِنَا الْمَعَاصِرِ

تَأْمَلَاتُ فِي مَوَاقِفَ زَوْجِيَّةٍ مُرَقَّةٍ
لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ مَعَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ
مَقَارَنَةً بَوَاقِعِنَا الْمَعَاصِرِ وَالْوَقَعِ الْقُرْبِيِّ

أ. جاسم محمد المطوع

قاضٍ لأصوال شخصية سابقاً
بدولة الكويت



حُقوقُ الطَّبِيعِ مَحْفُوظَةٌ لِلْمُؤَلِّفِ
الطَّبَعَةُ الْأُولَى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

جميع الحقوق محفوظة
جميع الحقوق محفوظة

عنوان المؤلف :

الفاكس: ٥٣١٠٤٢٢ - ٠٠٩٦٥

عنوان: الكويت ص.ب: ١٢٩١ الصفاة

الرمز: 13013

بريد إلكتروني: jalmutawa@arabia.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ الذي أثنى عليه الله تعالى بقوله: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» سورة الأنبياء - آية ١٠٧، فزينه الله تعالى بزينة الرحمة، فكانت جميع صفاته وشمائله وسيرته رحمة للإنس والجن، ورحمة لجميع الخلق، ومن أصابه شيء من رحمته كان من الناجين في الدنيا والآخرة.

وإننا في هذا المبحث ركّزنا على الجانب الزوجي من رحمة الحبيب سيدنا محمد ﷺ، فتناولنا سيرته الزوجية مع أمهات المؤمنين، والمواقف التي مرّت عليه معهن، ثم قارناها بواقعنا المعاصر، وأخيراً حاولنا أن نرسم معاً الطريق للوصول إلى المعنى النبوي الشريف ليكون لنا ولأبنائنا قدوة اجتماعية، كما هو قدوة في كل شيء عليه الصلاة والسلام.

ولا ندعي أننا وقفنا عند كل المواقف الزوجية، وإنما اخترنا بعض المواقف البارزة مع أمهات المؤمنين، وذلك لأن المواقف الزوجية كثيرة جداً، ولكننا اخترنا:

- من حياة خديجة رضي الله عنها: **الوفاء والنجاح.**
- ومن حياة عائشة رضي الله عنها: **التعليم والحب والترفيه وفن الاستماع.**
- ومن حياة سودة رضي الله عنها: **العدل في التعدد.**
- ومن حياة حفصة رضي الله عنها: **المدارة العائلية.**
- ومن حياة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها: **العمل الخيري.**
- ومن حياة أم سلمة رضي الله عنها: **الاستشارة العائلية.**

ومن حياة زينب رضي الله عنها: كسر العادات والتقاليد.

ومن حياة جويرية رضي الله عنها: التدين العائلي.

ومن حياة صفية رضي الله عنها: مسح الدموع والمواساة والاحترام.

ومن حياة أم حبيبة رضي الله عنها: التوكيل العائلي.

ومن حياة ميمونة رضي الله عنها: التحكم بالمشاعر.

ومواقف متفرقة مع أمهات المؤمنين في موضوع الثقة وحسن الظن، والغيرة

والتأدب، وغيرها من المواضيع المهمة.

ما هو الجديد؟

ولعل الجديد في هذا البحث أننا ركّزنا على لقطة واحدة حدثت بين الحبيب

سيدنا محمد ﷺ وإحدى زوجاته، ثم ناقشنا هذا المعنى وبعدها بينا واقعنا

المعاصر، ثم الواقع الغربي، ثم تحدثنا في مهارات تنمية هذا الخلق في

أبنائنا، ولعله بمثل هذا التسلسل لم أشاهد بحثاً في المكتبة الإسلامية تناول

بيوت سيدنا محمد ﷺ وعلاقته الزوجية من هذه الزاوية.

وقد واجهتني صعوبات كثيرة عند البحث، ولاحظت أن غالبية الكتب التي تناولت

سيرة سيدنا محمد ﷺ بتفصيل هي كتب المغازي والحياة العامة للنبي ﷺ، أما

سيرته الاجتماعية والبيئية فلم يقع في يدي كتاب بهذا الخصوص، وقد رأيت بعض

الكتب عن زوجات النبي وبنات النبي وأمّهات المؤمنين، ولكن أكثرها يسرد الروايات

من غير توقف وتأمل لها، ولهذا أحببت أن أقف عند الموقف وأتأمله وأقارنه

بواقعنا، لكي نستفيد من سيرة سيدنا محمد ﷺ العائلية بترجمة عملية واقعية.

وأعتقد أن الانهيار الاجتماعي والتفكك العائلي الذي وصلنا إليه إنما هو

بسبب بعدنا عن سيرة سيدنا محمد ﷺ البيئية والعائلية، وعدم تأملنا لهذه

المواقف وتطبيقها في واقعنا المعاصر.

فمجرد ذكر قصص السيرة أو قراءتها للترفيه واستغلال الوقت بما ينفع، لا يساهم في تقدم الأمة وتجديد الدين، وإنما من يعمل بما يقرأ ويربط ما يقرأ بواقعه المعاصر يكون سبباً في تجديد الدين في نفوس الناس.

كيف بدأت الفكرة؟

كانت الفكرة بدايتها «بيوت الأنبياء»، وهو عبارة عن برنامج تلفزيوني قدمته في شهر رمضان عام (١٩٩٩م - ١٤٢٠ هـ) وقد تناولت البرنامج في ٣٠ حلقة، وأخذت كل نبي ومشاكله الزوجية والتربوية، وكيف عالجه منذ آدم وحتى عيسى عليهم السلام..

وقد فوجئت بردود فعل الناس على البرنامج، وجاءتني رسائل كثيرة مادحة للبرنامج وفكرته، مما شجعني في السنة التي تليها أن أقدم برنامج «بيوت سيدنا محمد ﷺ» في ٣٠ حلقة بشهر رمضان المبارك.. وكذلك لمست ردود فعل الناس، حتى قال لي أحدهم يوماً: أول مرة أعرف أن نبينا زوج حبيب يعلمنا كيفية التعامل مع المرأة وحسن معالجة المشاكل العائلية بطرق أثبتتها آخر الحقائق في علم النفس والتربية.

وقال لي آخر: لأول مرة في حياتي أشعر بأن زوجات النبي أحياناً يفضبن منه ويرفعن أصواتهن أمامه، ولكنه يتعامل معهن بحكمة وحلم.. وقال ثالث: لقد غير هذا البرنامج من حياتي العائلية نحو الأفضل، وردود الفعل كثيرة جداً. والحمد لله رب العالمين..

ولهذا أحببت أن ينتشر الخير، فسجلت المشروع على أشرطة الكاسيت، وكتب الآن هذا الكتاب، وفيه تفصيل أكثر، وبيان مفصل عن سيرة سيدنا محمد ﷺ مع زوجاته، ولو وجدت من يتبنى المشروع لوضعت على شبكة

الإنترنت كذلك حتى تعم الفائدة.

أمنية

أرجو أن تتبنى جهات أو مؤسسات أو أفراد هذا الخط من التأليف، فيتفرغوا لخدمة الإسلام والمسلمين في هذا المجال، وينقبوا عن المواقف الزوجية والتربوية في بيت سيدنا الحبيب محمد ﷺ، ثم يقارنوها بالواقع الإسلامي والواقع الغربي، حتى تعم الفائدة، ولا يقرأ الناس السيرة لمجرد الاطلاع والتسلية فحسب، وإنما تقرأ للعمل والتطبيق. كما أرجو أن يعتمد هذا المنهج في تدريس الشباب والفتيات المقبلين على الزواج والمتزوجين حديثاً.

دعاء

أسأل الله تعالى في نهاية هذا المطاف أن يتقبل منا هذا الجهد المتواضع في خدمة الإسلام والمسلمين، وأن لا يحرمنا القارئ من الدعاء. وأشهد الله تعالى أنه لم يدفعنا لكتابة هذا البحث إلا حب الحبيب سيدنا محمد ﷺ.

«اللهم إنا نحبك.. ونحب من يحبك.. ونحب كل ما يقربنا لحبك».

ونوصي من يقرأ هذا الكتاب أن يُصلي على سيدنا محمد ﷺ كلما ذكر اسمه، ففي ذلك فضل عظيم كما أخبر سيدنا محمد ﷺ «من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشراً» رواه مسلم وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

جاسم محمد المطوع

٢٠٠١/١/١

وتعاونوا على البر والتقوى

نرحب باتصالك بنا لإبداء:

- ملاحظاتك.
- اقتراحاتك.
- نقدك.
- إضافتك على الكتاب.
- أولنتواصل في الله.

على العنوان التالي:

تلفاكس: ٥٣١٠٤٢٢ - ٠٠٩٦٥

عنوان: الكويت ص.ب: ١٢٩١ الصفاة

الرمز: 13013

بريد إلكتروني: jalmutawa@arabia.com

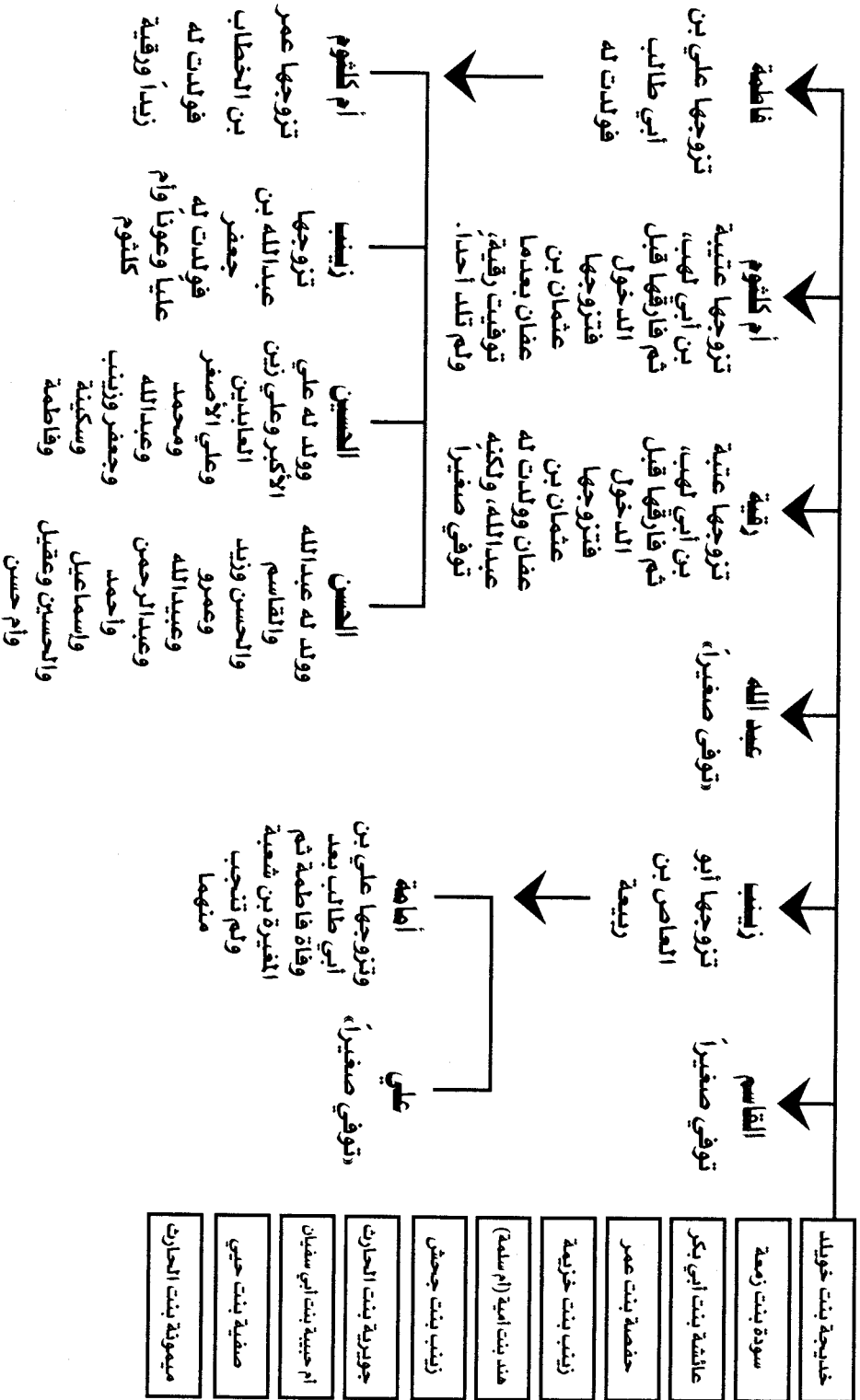
نحده بانتظارك...

الحالة الاجتماعية لبيوت النبي ﷺ

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

ظروف الزواج	عمر النبي وقت الزواج	العمر وقت الزواج	الحالة الاجتماعية	الإسم
هي التي طلبت للزواج فقبل الزواج منها لا تميزت به من أخلاق عالية	٢٥ سنة	٤٠ سنة	أرملة أبي هالة التميمي وعتيق المخزومي ولديها ٤ أولاد	خديجة بنت خويلد
من المؤمنات المهاجرات وخاف النبي عليها أن ردت لأهلها أن يدينوها	٥٠ سنة	٥٥ سنة	أرملة السكران بن عمرو ولديها ٥ أولاد	سودة بنت زمعة
التوسط الملاقاة مع أفضل خلق له، وكان من عادة العرب تحريم الزواج ممن يؤاخونه لأنه يعتبرونها أخوة م.	٥٣ سنة	٩ سنوات	بكر	عائشة بنت أبي بكر
مكافأة عمه بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small> ليقبل شرف الصحابة	٥٥ سنة	١٩ سنة	أرملة خنيس بن حذافة	حفصة بنت عمر
زوجة الشهيد في غزوة بدر وكانت من الصغيرات والتي ضعت بكل شيء من أجل الدين، فاحب النبي مكافئتها.	٥٦ سنة	٦٠ سنة	أرملة عبيدة بن الحارث ومطلقة الطفيل بن الحارث	زينب بنت خزيمة
أم الأربعة أيام وزوجها استشهد فأحب النبي أن يكفل الأيتام	٥٧ سنة	٦٥ سنة	أرملة عبدالله بن الأسد، ولديها ٤ أولاد	هند بنت أبي أمية «أم سلمة»
أمر الله نبيه بالزواج منها لإبطال فضيحة النبي	٥٨ سنة	٢٥ سنة	فارقها زيد بن حارثة	زينب بنت جحش
ابنة سيد بني المصطلق وزواجها أطلق الأسرى من غزوة بني المصطلق وأسلم والدتها وقومها.	٥٩ سنة	٢٠ سنة	أرملة مسافع بن صفوان	جويرية بنت الحارث
توفي زوجها بعدما ارتد في الحجة فاحتارت أين تذهب فترجعها النبي ووكل الجاشي بالزواج ببعث زواجه منها.	٥٩ سنة	٤٠ سنة	أرملة عبيد الله بن جحش	أم حبيبة بنت أبي سفيان
كانت من الأسرى بعدما وقعت خبير فاعتقها النبي ثم تزوجها.	٥٩ سنة	١٧ سنة	أرملة سلام بن مشكم، وكانته بن الربيع	صفية بنت حيي
هدفه من الزواج التقرب بين القبائل لأن قرابتها كانت مستثمجة بين القبائل في بني هاشم وبني مخزوم	٦١ سنة	٢٦ سنة	أرملة أبي رهم بن عبد العزى ومطلقة مسعود بن عمرو التميمي	ميمونة بنت الحارث

خزيرة النبي ﷺ



- خديجة بنت خويلد
- سودة بنت زمعة
- عائشة بنت أبي بكر
- حفصة بنت عمر
- زينب بنت خزيمة
- هند بنت أمية (أم سلمة)
- زينب بنت جحش
- جويرية بنت الحارث
- أم حنيفة بنت أبي سفيان
- صفية بنت حيي
- ميمونة بنت الحارث

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي...
القرشية الأسدية، أم المؤمنين زوج النبي محمد ﷺ.

الوقفات الأسرية مع السيدة خديجة رضي الله عنها

(١) نجاح الزوج بدعم زوجته:

- تذكير بالإنجازات.
- صنائع المعروف تقي مصارع السوء.
- ١٠ سنوات من الدعم المتواصل.
- ٦ وسائل لحماس الزوج ونجاحه.
- زوجة «فوردي» هي السبب.
- شركة «جراهام» للبتروول.
- الزوجة الثانية هي سبب النجاح.
- أفكار تربية تشجع أبناءك على دعم الآخرين ومساندتهم.

(٢) الوفاء الزوجي:

- مظاهر الوفاء الزوجي وعلاماته.
- هل من الوفاء.. عدم الزواج بعد الوفاة؟
- هل الزوجة الثانية ضد الوفاء للأولى؟
- وفاء فاطمة لزوجها.
- من أجل الوفاء لم يحدث الطلاق.
- من عجائب قصص الوفاء.
- الوفاء والقدر عند غير الإنسان.
- أفكار تربية تغرس في أبنائنا خلق الوفاء.

السيرة الذاتية

- أمها: فاطمة بنت زائدة بن الاصم.
- خديجة بنت خويلد - سيدة فاضلة ذات شرف ومال، كانت توظف أموالها في التجارة.
- تزوجت قبل النبي ﷺ برجلين: الأول عتيق بن عائد بن مخزوم وولدت له «عبد الله» و«جارية»، والثاني: أبو هالة التميمي وولدت له «هند» و«زينب».
- تزوجها النبي ﷺ وعمرها ٤٠ سنة.
- توفيت في مكة وعمرها ٦٠ سنة في شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنوات.
- أول صديقة في عالم المؤمنات وأول من صلّت مع رسول الله ﷺ.
- أول من نزل إليها جبريل ليبلغها من ربها السلام.
- أول من بشرت بالجنة.
- أول من أنجبت لرسول الله، وأبناؤها منه هم: (زينب - رقية - أم كلثوم - فاطمة - عبدالله - القاسم).
- لم يتزوج النبي ﷺ عليها حتى ماتت.
- قال رسول الله «خير نساء العالمين: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ» أخرجه الترمذي في السنن ٦٦٠/٥

أولاً: نجاح الزوج بدعم زوجته

من أين استخرجنا هذا المفهوم؟

تقول عائشة رضي الله عنها عن قصة نزول الوحي على الحبيب محمد ﷺ «فجاءه الملك»

(١) فقال: اقرأ..

فقال: ما أنا بقارئ.

قال: فأخذني فغطّني (٢) حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني.

فقال: اقرأ.

فقلت: ما أنا بقارئ.

فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني.

فقال: اقرأ.

فقلت: ما أنا بقارئ.

فأخذني فغطّني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني.

فقال: «اقرأ باسم ربك الذي خلق» حتى بلغ «ما لم يعلم». سورة العلق الآيات ١ - ٥.

فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة - رضي الله عنها - فقال:

زملوني، زملوني.. حتى ذهب عنه الروع.

فقال لخديجة، وأخبرها الخبر:

لقد خشيت على نفسي.

فقال له خديجة: كلا والله، ما يخزيك الله أبداً.

(١) كان الوحي يأتي رسول الله ﷺ على ستة أشكال الأول: الرؤيا الصادقة وكانت مبدأ وحيه. الثاني:

ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه وخطره من غير أن يراه، الثالث: كان يتمثل رجلاً ويخاطبه ويراه

الصحابة معه، الرابع: كان يأتيه مثل صلصلة الجرس وكان أشده عليه، الخامس: يراه في صورته

الحقيقية ووقع هذا مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء كما جاء في سورتي: النجم والتكوير.

السادسة: ما أوحاه الله إليه من دون واسطة ملك ووقع ذلك ليلة المعراج عند فرض الصلاة.

(٢) غطّني: غطّه غطاءً: ستره.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

إنك لتصل الرحم،

وتصدق الحديث،

وتحمل الكل^(١)

وتكسب المعدوم

وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق^(٢)

ثم انطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة وكان امرأً تنصّر في الجاهلية، وكان شيخاً كبيراً قد عمي.. فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى.

فقال له ورقة: هذا الناموس^(٣) الذي نزل على موسى، يا ليتني فيها جذع^(٤) ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك.

قال: أو مخرجي هم؟

قال: نعم.. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزرًا..

هذا هو النص الذي اعتمدها للاستفادة منه في موقف دعم الزوجة لزوجها في المواقف الصعبة من حياتها، فتعينه على النجاح والتفوق في أعماله وأهدافه وتحقيق طموحاته في الحياة.

ولو دققنا في موقف الزوجة العظيمة خديجة رضي الله عنها لوجدنا أنه يتلخص في بعدين:
الأول: الدعم الذاتي الذي قامت به عندما بشرت النبي محمد ﷺ بما وجدته، ثم مدحته بجميل أفعاله وصفاته الخيرية، لتطمئنه وتهدئ من روعه.

الثاني: الدعم الجماعي والذي قامت به عندما اقترحت عليه استشارة مختص في مثل

(١) الكل: المحتاج، أي تقوم بشأن العجزة والضعفاء.

(٢) النوائب: النائبة: ما ينزل بالرجل من كوارث وحوادث مؤلمة.

(٣) الناموس: جبريل عليه السلام.

(٤) جذع: الجذع من الرجال: الشباب والمراد يا ليتني يوم يخرجك قومك أكون شاباً.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

هذه الحالات النفسية ليسمع من غيرها الدعم كذلك، فيزداد يقيناً بأن ما لاقاه هو الحق. وأن ما قامت به خديجة - رضي الله عنها - هو ما استخلصته أحدث نظريات علم النفس اليوم في كيفية التعامل مع الشخص الذي يمر بموقف غريب عليه ويدخل الروع في قلبه، فتذكره بماضيه المشرق وتاريخه الخير وتدعمه بالعلاقات الخاصة.

أ - تذكير بالإنجازات

إن موقف خديجة - رضي الله عنها - والكلمات التي اختارتها هي سبب زوال الروع عن النبي ﷺ، وهذا ما نحتاجه من كل زوجة اليوم يأتيها زوجها ليشتكو إليها من المواقف التي تواجهه في حياته العملية أو الدعوية، فتضمه بحنانها وتذكره بإنجازاته العظيمة وجمال أخلاقه الكريمة وكثرة أعماله الخيرية، فتذكره بنقاط قوته وتاريخه المليء بالمواقف المشرفة، فيتذكر معها هذه الإنجازات وتسكن نفسه عند سماعها.

هذا ما فعلته خديجة - رضي الله عنها - وقد أعجبنى كثيراً تعليق بنت الشاطئ على هذا الموقف إذ تقول:

«هل كان لزوج عداها أن تستقبل دعوته التاريخية من غار حراء بمثل ما استقبلته هي به من حنان مستثار، وعطف فياض، وإيمان راسخ، دون أن يساورها في صدقه أدنى ريب، أو يتغلى عنها يقينها في أن الله عز وجل غير مخزيه أبداً؟»

هل كان في طاقة سيدة غير خديجة، غنية مترفة منعمة، أن تتخلى راضية عن كل ما ألفت من راحة ورخاء ونعمة لتقف إلى جانبه في أحلك أوقات المحنة.. كلا.. بل هي وحدها التي من الله عليها بأن ملأت حياة الرجل الموعود بالنبوة» (1)

ولنقف وقفة تحليلية مع الكلمات الذهبية والتي نطقت بها خديجة وكانت أول كلمات يسمعاها النبي ﷺ بعد كلام الله..

قالت، كلا.

وهذه أول كلمة قالتها بثقة وبصوت قوي بعدما قال لها النبي ﷺ: «قد خشيت على نفسي».

(1) تراجم سيدات بيت النبوة / ٢٣٥ (بنت الشاطئ) دار الكتاب العربي

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

وكان بإمكانها أن تخفف عنه بأسلوب آخر كأن تقول له:

الاحتمال الأول: لماذا خشيت على نفسك؟!.. لنصبر ونتأكد من الخبر..

الاحتمال الثاني: لعله خيال تخيلته أو حلم رأيت.

الاحتمال الثالث: هل كان معك أحد سمع معك هذا الكلام لتتأكد منه.

الاحتمال الرابع:

الاحتمال الخامس:

إن هناك احتمالات كثيرة وكلمات أكثر ولكنها رجحت كلمة «كلا» لتؤكد له وبثقة عظيمة أن ما جاءه هو الحق، ثم أتبعته هذه الكلمة بكلمة:

أبشر

وفي هذه الكلمة من المعاني ما يفيد يقينها بما جاء به وأنها البشارة من الله تعالى له..

إن هذه الكلمة لم تأت من فراغ، وإنما بنيت على ماضٍ عظيم حافل بالإنجازات الخيرية، ومن كان هذا تاريخه وسيرته الذاتية فحتماً يكون ما شاهده ليس بخرافة أو خيال، ثم بدأت تفصل هذه الإنجازات الإنسانية والخيرية بقولها:

إنك لتصل الرحم: (تقرب البعيد وتدني القاصي، وتغسل الأحقاد).

وتصدق الحديث.

وتحمل الكل: (تحمل ديون الضعيف وهمومه، ومساعدته وإعانتة فتتعش روحه وتحيا نفسه).

وتكسب المعدوم: (تمنح الفقير من جودك وإيثارك، فأنت الكريم).

وتقري الضيف.

وتعين على نوائب الحق.

كلمات موزونة وتدل على حسن معرفة وتقدير من خديجة رضي الله عنها لزوجها الذي عاشت معه خمسة عشر عاماً قبل هذه اللحظة، وقد مر عليها شريط حياتها معه منذ يوم أن حدثها وكيلها عندما أرسلته مع محمد إلى بلاد الشام للتجارة في مالها من أن سحابة

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

كانت تظله وهو يمشي، فهي لم تتس مثل هذه اللحظة، كما أنها لم تتس هذه الأعمال الخيرية التي كان يقوم بها، وقد ختمتها بكلمة «وتعين على نواب الحق»، وهي كلمة جامعة مانعة لأعمال الخير.

وهذا هو الدرس الذي تستفيده كل زوجة وزوج مع مطلع الأنفة الثالثة ليعملا على فهمه بينهما، فيدعم كل طرف منهما الآخر في طريق النجاح في الحياة الدنيوية والآخرة.

ب - صنائع المعروف تقي مصارع السوء

إن بعد النظر عند الزوجة الوفية وسعة الأفق التي تملكها خديجة - رضي الله عنها - هي التي جعلتها تتطرق بأن صنائع المعروف التي كان يقوم بها النبي ﷺ تجعله آمناً مطمئناً، ولهذا استقر قلب النبي لحديثها وهو يفكر في صنائع المعروف الذي قدمه للآخرين طوال الأربعين سنة الماضية.

و«صنائع المعروف تقي مصارع السوء» قاعدة عامة يعرفها المسلم وغيره وعاشها الكبير والصغير، ولو سألتنا القارئ عن رأيه بهذه القاعدة لذكر لنا قصة واقعية حدثت له تبين حفظ الله له من شر مقدر عليه بعد أن عمل معروفًا للآخرين.

ونحب هنا أن نذكر قصة واقعية حدثت للكاتب المصري المعروف «مصطفى أمين» وكان ممن أدخلوا السجن في زمن جمال عبدالناصر عام ١٩٦٥م قال يروي قصته:

«كان من بين وسائل التعذيب التي لجؤوا إليها أن أصدرنا قراراً بمعنى من الأكل والشرب، والحرمان من الأكل مؤلم ولكنه محتمل، ولكن العطش عذاب لا يُحتمل وبخاصة في أشهر الصيف والحرارة شديدة جداً، وأنا مريض بالسكر، ومرضى السكر يشربون الماء بكثرة، وفي اليوم الأول تحايلت على الأمر، دخلت إلى دورة المياه فوجدت فيها إناء للاستنجاء وشربت من مياه الاستنجاء، وفي اليوم التالي فوجئت بأنهم عرفوا أنني شربت ماء الاستنجاء فوجدت الإناء خالياً، ووجدت بدل الماء ورق تواليت، ومع شدة العطش اضطررت أن أشرب ماء البول حتى ارتويت، وفي اليوم الثالث لم أجد بولاً أشربه»

واشدد بي العطش، وأحسست بعذاب شديد مثل ضرب الشياطين، وكنت أسير في زنزانتني

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

كالمجنون لساني جف وحلقي جف، فكنت أهوي إلى الأرض أحياناً ألحسها لعل الحارس نسي نقطة ماء وهو يغسل البلاط!!

وشعرت أنني قد أشرفت على الهلاك، وبينما أنا في حالتي هذه لا أدري ماذا أفعل أدور حول نفسي وأنا أترنج، رأيت باب الزنزانة يُفتح في هدوء ورأيت يداً تمتد في ظلام الزنزانة تحمل كوب ماء بارد مثلج، ففزعت وتصورت أنني جنتت، بدأت أرى شبحاً لا يمكن أن يكون هذا ماء إنه سراب.. ومددت يدي ولمست الكوب فوجدته بارداً مثلجاً فعلاً، وقبضت على الكوب بأصابعي المرتعشة، ورأيت حامل الكوب يضع إصبعه على فمه وكأنه يقول لي: لا تتكلم.

شريت الماء ولكنه ليس كالمياه التي شريتها من قبل ومن بعد، لقد كان ألد ماء شربته في حياتي، لو كان معي مليون جنيه في تلك اللحظة لأعطيها للحارس المجهول. عادت الروح مع هذا الكوب، لقد أغناني هذا الكوب عن الطعام، بل أغناني عن الحرية، أحسست بسعادة لم أعرفها طوال حياتي كل ذلك من أجل كوب ماء مثلج. اختفى الحارس المجهول بسرعة كما ظهر بسرعة، وأغلق باب الزنزانة بهدوء ورأيت ملامح الحارس المجهول، شاباً أسمر قصير القامة، ولكنني أحسست أنه أحد الملائكة، إنني رأيت عناية الله بي في الزنزانة.

ومرت أيام التعذيب من دون أرى الحارس المجهول، ثم نقلت من غرفة التعذيب إلى الدور السفلي، وكانوا يغيرون الحارس كل يوم، وذات يوم رأيت أمامي الحارس المجهول وكنا على انفراد وقلت له هامساً: لماذا فعلت ما فعلت؟!
لو ضبطوك كانوا سيفصلونك.

قال باسمياً: يفصلونني فقط!! دول كانوا يقتلونني رمية بالرصاص.

قلت: ما الذي جعلك تقوم بهذه المغامرة؟!
قلت: إنني أعرفك وأنت لا تعرفني.. منذ تسع سنوات تقريباً أرسل فلاح من الجيزة خطاباً لك يقول فيه: إنه فلاح في إحدى القرى وإن أمنية حياته أن يشتري بقرة وأنه مكث سبع

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

سنوات يقتصد من قوته وقوت عياله حتى جمع مبلغاً، ثم باع حلي زوجته واشترى بالمبلغ بقرة، وكان أكثر أهل القرية تقوى وورعاً وصلاة وصياماً، وبعد ستة أشهر فقط ماتت البقرة، وفي ليلة القدر (❖) بعد ذلك بشهور دُق باب البيت الصغير الذي يملكه الفلاح، ودخلت محررة من جريدتك «أخبار اليوم» تجر وراءها بقرة، وكانت «أخبار اليوم» قد اعتادت أن تحقق أحلام مئات من قرائها في ليلة القدر من كل عام.

وسكت الحارس المجهول لحظة ثم قال: هذا الفلاح الذي أرسلتم له بقرة منذ تسع سنوات هو أبي. ألم أقل لك إن عناية الله كانت معي في الزنانة» (١) إن هذا العمل الخيري الذي عمله «مصطفى أمين» منذ سنوات حفظه الله له وجزاه عليه بعد ذلك، وهذا ما كانت خديجة - رضي الله عنها - تؤكد له لزوجها الحبيب محمد ﷺ. ولعل في هذا إشارة إلى تعاون الزوجين دائماً على صنائع المعروف إذا أرادوا مستقبلاً آمناً لهما ولأبنائهما، فيلتزما بأعمال الخير والبر والتقوى.

(ج) - ١٠ سنوات من الدعم المتواصل

إن خديجة - رضي الله عنها - وقفت مع النبي ﷺ في بداية نزول الوحي ودعمته بنفسها وأهلها، ثم استمرت بدعمها لزوجها طوال السنوات العشر في تبليغ الدعوة وكان من موافقها في دعم زوجها أنها:

- ١- أول من آمن بدعوته ومنهجه الذي بدأ ينشره.
- ٢- أول من أسلم معه وأول من تعلم الوضوء والصلاة.
- ٣- بدأت بنشر الدعوة بين النساء.
- ٤- سخرت مالها لخدمة الدعوة ونشرها وجعلته تحت تصرف زوجها.
- ٥- سخرت علاقاتها لحماية زوجها، فقد كانت صاحبة نفوذ.
- ٦- تحملت طلاق أبناء أبي لهب ابنتيها (رقية وأم كلثوم) وكان سبب الطلاق دعوة النبي ﷺ الجديدة إلى الإسلام.

(❖) لعله يقصد ليلة ٢٧ من رمضان.

(١) قصص واقعية من واقع الحياة/ ١٥ - ١٧ (سيد الرفاعي) من سنة أولى سجن

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

٧ - صبرها على هجرة ابنتها (رقية) إلى الحبشة مع عثمان بن عفان.

٨ - صبرت مع المسلمين في شعب أبي طالب ثلاث سنين وهي الغنية المترفة من أجل دعوة زوجها، وقد أنهكها الحصار فتوفيت بعده مباشرة.

كل هذا وغيره كثير كان له الأثر على حياة حبيبنا وحبیبها محمد ﷺ، فقد حفظت له بيته من الداخل، وسخرت كل جهدها ومالها وعلاقاتها في سبيل نجاح دعوته إلى الدين الإسلامي، ولقيت من أجل ذلك الآلام العظيمة، ولكنها كانت تستمتع بهذه التضحيات لزوج يقدر لها ذلك ويحترمها ويحبها، وهذا مما جعلها تعطيه أكثر وأكثر، فتعاون الاثنان على نجاح المشروع الذي أصبح رحمة للأمة وأنقذ البشرية من الضلال والضياع، ولهذا سمي العام الذي توفيت فيه هذه الزوجة الداعمة لزوجها في أعماله بعام «الحزن»، لأن النبي ﷺ فقد الكثير بوفاتها - رضي الله عنها - .

والجميل في كل ما قدمته خديجة - رضي الله عنها - أنها ما كانت تمنّ على زوجها بما قدمت، ولم تقل له يوماً: إنك أفقر مني، أو تقل له: أنت موظف عندي، بل كانت تقدم الدعم لزوجها وكأن المال ماله، وما قصرت قط في تقديم الجهد والدعم له كأنه واجب عليها.. لقد كانت علاقتهما الزوجية راقية جداً، ومتميزة ولهذا فإنها أرضته ولم تدعه يحتاج لشيء، فلم يتزوج عليها بأخرى.

قال المودودي رحمه الله:

«إن الحياة الزوجية إن خلت من المودة والرحمة أصبحت كالجسد الميت، إن لم يدفن فاح غفنه ونبته».

فالأصل في العلاقة الزوجية الحب والمودة والرحمة، ثم بعد ذلك نرى مثل هذه الأخلاق الراقية في دعم كلا الطرفين لبعضهما البعض، ولو دققنا في حياة أكثر العلماء والمفكرين المشهورين، لرأينا كمّاً من المواقف الزوجية التي كانت سر نجاحهم في الحياة وتحقيق آمالهم، بما قدمت زوجاتهم من تضحيات مادية ومعنوية..

فلا ينبغي للزوجين أن يلغي أحدهما الآخر أو ينكر الفضل الذي قدمه له، ولهذا حفظ النبي محمد ﷺ فضل زوجته خديجة وتضحياتها حتى بعد وفاتها، وتبين ذلك من موقفه

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

منها عندما غارت منها السيدة عائشة رضي الله عنها في حديث أخرجه الإمام أحمد، بعدما أتى النبي على خديجة رضي الله عنها، قالت عائشة: ما أكثر ما تذكرها.. حمراء الشدقين⁽¹⁾، قد أبدلك الله خيراً منها.

فقال: «ما أبدلني الله خيراً منها».

- قد آمنت بي إذ كفر الناس.

- وصدقتني إذ كذبني الناس.

- وواستني بما لها إذ حرمني الناس.

- وورزقني الأولاد منها.

وفي هذه اللحظات لا ينسى الزوج مواقف دعم زوجته له لإنجاح مساعيه وأهدافه في الحياة، حتى إنه كان عليه الصلاة والسلام لم يكن يسأم من الثناء عليها بعد وفاتها والاستغفار لها - رضي الله عنها - .

ر - وسائل لحماس الزوج ونجاحه:

لقد استفدت من «دوروثي كارنيجي» في كتابها المشهور: «ادفعي زوجك إلى النجاح» وقد تعرضت للوسائل الست الداعية لحماس الزوج ودفعه للنجاح، ولعل «دوروثي» لم تتحدث في كتابها من فراغ، فهي السبب في نجاح زوجها وحماسه، وهو الرجل المعروف عالمياً «ديل كارنيجي» صاحب الكتب الشهيرة «دع القلق وابدأ الحياة»، وكتاب «كيف تكسب الأصدقاء»، وكتاب «فن الخطابة»، وقد لاقت كتبه رواجاً كبيراً وترجمت إلى أكثر من لغة، وقد ألفها منذ أكثر من عشرين عاماً، وما زالت متداولة حتى اليوم، فألفت زوجته الكتاب الذي ذكرنا سابقاً وذكرت فيه تجربتها الشخصية في دعمه ونجاحه، ومما ذكرته كذلك ست وسائل استفادتها من تجربتها الخاصة ونصحت بها الزوجات ليساهموا في دعم أزواجهن.

وهذه الوسائل الست هي:

١ - اطلبني إلى زوجك أن يلم بكل ما يستطيع الإنام به عن العمل الذي يزاوله. «كوحدة»

(١) حمراء الشدقين: أي التي سقط أسنانها، وبقيت حمرة اللثة.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

وضريت مثلاً جميلاً في بناءين يعملان جنباً إلى جنب، سنلاً ماذا يصنعان، فأجاب الأول: «انتي أرض الحجارة». في حين أجاب الثاني: «انني أشيد ناطحة سحاب».

٢ - عاوني زوجك على أن يحدد هدفه، وألا يحيد عنه.

٣ - عوّدي زوجك على التحدث إلى نفسه كل يوم حديث الأمل والتفاؤل.

٤ - اطلبي إلى زوجك أن يدرب نفسه على إسداء الخدمات للآخرين.

٥ - دعي زوجك يخالط المتحمسين، فسرعان ما تسري الحماسة إليه.

٦ - دعي زوجك يتظاهر بالحماسة، إن لم يكن يحس بها فلن يلبث حتى يستشعرها، (١)

إنها كلمات معبرة من صاحبة خبرة وتجربة تستطيع كل زوجة أن تستفيد منها، فلا تكون معوّقة لزوجها في تحقيق آماله وطموحه..

وجلست أفكر في كلامها وأتذكر أكثر أصدقائي وأحبابي ومن أعرفهم من المتميزين والناجحين، وأعرف كذلك أن سر هذا النجاح والتميز والشهرة وراءه امرأة قد تكون أمه أو زوجته بمن فيهم كاتب هذه السطور، ولكن الفرق بيننا في العالم العربي وبينهم في الغرب أنهم يتحدثون عن أنفسهم من أجل توثيق تجاربهم ليستفيد منها الآخرون، بينما نحن لا نفضل ذلك، وأتمنى أن تكتب كل زوجة أو أم تجربتها في نجاح زوجها أو ابنها في عالمنا العربي، حتى نستفيد من هذه التجارب، وأستأذن القارئ في أن أتابع مع «دوروثي» ومن كتابها نفسه مع قصتين جميلتين في دعم الزوجة لزوجها ونجاحه، والأولى تحت عنوان «زوجة فورد هي السبب» والثانية «شركة جراهام للبترول»، ولنستمتع بالقصتين.

هـ - زوجة «فورد» هي السبب

في أواخر القرن الماضي، استخدمت شركة «الإضاءة الكهربائية» في «ديترويت»، عاملاً ميكانيكياً شاباً، كانت تسلمه أحد عشر دولاراً في الأسبوع لقاء عشر ساعات من العمل المتواصل كل يوم. وكان هذا الشاب إذ يعود إلى بيته مساءً، يقضي نصف الليل في حضيرة خلف منزله عاكفاً على محاولة صنع نوع جديد من المحركات.

(١) ادفعي زوجك إلى النجاح / ٢٨ - ٣٢ (دوروثي كارنيجي)

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

أما أبوه، الفلاح الكهل، فكان يرى أن هذا الذي يفعله ولده مستغرقاً فيه شطراً كبيراً من الليل، إنما هو ضرب من العبث بل لقد كان هذا أيضاً هو رأي جيران الشاب، وأهل الحي الذي يقطنه! كانوا يضحكون منه، وبهزؤون به، ولم يتصور أحد منهم أن ما يفعله الشاب قد يسفر عن شيء ذي بال.

ضحكوا منه، وهزئوا به جميعاً.. إلا زوجته! فقد كانت تقضي معه الوقت في الحظيرة، تسدي إليه المعونة، وتشد أزره.. وعندما يحل الشتاء، كانت تحمل له في يدها مصباح الغاز لتضيء له بينما أسنانها تصطك من فرط البرد، ويدها تسري فيهما الزرقة من شدة القُرّ^(١).. ولكنها كانت عامرة القلب بالإيمان، واثقة أن ما يفعله زوجها سينتهي إلى شيء رائع فريد.. حتى لقد كان زوجها يسميها بـ «المؤمنة»!

فلما انقضت ثلاث سنوات، لم يتخلف الشاب فيها يوماً واحداً عن العمل في حظيرته المبنية بالطوب، أشرف العمل على نهايته، وتناهى إلى سمع الجيران في يوم من الأيام عام ١٨٩٣، وكان الشاب يومئذ قد أشرف على الثلاثين، صوت غريب، هرعوا على إثره إلى نوافذهم فرأوا عجباً! رأوا الشاب الذي هزئوا منه، وكان يدعى «هنري فورد»، وزوجته يركبان عربة تجري بلا خيل! وشاهدوا بأعينهم المحملقة المذهولة هذه العربة العجيبة تصل إلى نهاية الشارع ثم تقفل عائداً!

وشهدت الدنيا يومئذ مولد صناعة جديدة! صناعة قدر لها أن تترك أثراً عميقاً على المدنية الحديثة.. وكان أبو هذه الصناعة هو «هنري فورد».. أما «المؤمنة» فقد استحقت عن جدارة أن تكون «أم» هذه الصناعة!

ولقد لبث حتى مماته يسميها «المؤمنة»، ويود لو يمكث بجانبها إلى الأبد^(٢)

و - شركة «جراهام» للبتروك

ولو أنك ذهبت إلى «ويتشيتا» لألفيت «وليم جراهام» يملك شركة ناجحة للزيت.. ولو سألت عن سبب نجاحها لعلمت أنه هو «وليم جراهام» نفسه، مالكا ومديراً، بالرغم من

(١) القُرّ: البرد.

(٢) ادفعي زوجك إلى النجاح / ٥٠ - ٥١ (دوروثي كارنيجي)

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

أنه مازال في مطلع العقد الرابع من عمره!
وينعم «وليم جراهام» وزوجته «مارجوري» بالكثير من نعم الله.. ينعمان بستة أطفال غاية في الظرف والرفقة، وينعمان بالصحة والمال، والشباب، والبيت الجميل، والعمل الممتع.
ولما كنت أعرف «وليم جراهام» معرفة وثيقة، فقد سألته ما هو العامل الأكبر في نجاحه، فأجاب: «وضع البرامج طويلة الأجل والعمل التعاوني على تحقيق هذه البرامج».
ولقد بدأ «جراهام» وزوجته عقب زواجهما مباشرة في الاشتغال ببيع العقارات بالعمولة.. ولم يكن لهما مورد سوى رغبة صادقة في النجاح، وقدرة على العمل والكفاح، واتخاذ لعملهما هذا مقراً، ركناً من مبنى تشغله مؤسسة تجارية، فكانت «مارجوري» تمكث في المكتب في حين يخرج «وليم» باحثاً عن الصفقات.
ومضت الأمور ببطء وتأنٍ في مبدأ الأمر، بل مرت عليهما أوقات أشرفا فيها على الجوع والإملاق، ثم لما تحسنت الأحوال رويداً، طفقاً يتاعان العقارات لحسابهما ويبيعانها لقاء ربح.. ثم ذهباً إلى حد بناء البيوت على نفقتهما الخاصة، ثم بيعها.. وراجت أعمالهما رواجاً حفز «وليم جراهام» على التطلع إلى ميدان آخر من ميادين العمل، قبل أن يصيبه الثراء بالخمول، ويستنفد طاقة نشاطه.
وتشاور الزوجان في الأمر، واستقر رأيهما على أن ميدان «البترول» هو أنسب الميادين «لوليم».. إذ فيه إشباع لرغبته في الكفاح، وفرصة متاحة لمواصلة نموه وتطوره.. وهكذا ولدت «شركة جراهام للبترول».. وحققت نجاحاً عريضاً (١)

ع - الزوجة الثانية هي سبب النجاح

وبعدما استفدنا من «دوروثي كارينجي» في كتابها القيم وجدت قصة طريفة في دعم الزوجة لزوجها في كتاب آخر ومؤلف آخر وهو زوجها «دايل كارينجي» في كتابه «كيف تكسب الثروة والنجاح والقيادة»، يقول فيه عن صديق له:
أخبرني صديق لنا، أنه كاد يخفق في عمله، لا لشيء إلا لأن زوجته كانت تحتقر عمله، وهو

(١) ادفعي زوجك إلى النجاح / ١٣ - ١٤ (دوروثي كارينجي)

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

توزيع السلع التي تنتجها إحدى المؤسسات، وكانت لا تفتأ تسخر من حبه لهذا العمل ونشاطه فيه، فلا تكاد تستقبله في المساء حتى تسأله:

«ماذا صنعت اليوم أيها العبقري، ألا تذكر أن إيجار المسكن مستحق في الأسبوع المقبل؟» وقد استمرت في مسلكها هذا سنوات، وعبثاً حاول إقناعها بالعدول عن هذا المسلك، فلم يسعه إلا أن طلقها وتزوج أخرى منحته من الحب والتشجيع ما جعله اليوم مديراً لقسم التوزيع في إحدى المؤسسات الكبيرة.

إن المشاكسة مرض عاطفي هدام، ولكن علاجه ممكن ميسور، بأن تروّض الزوجة نفسها على ألا تكرر طلب شيء من زوجها، فإذا اضطرت إلى ذلك فليكن الطلب مرة أخرى بلباقة وكياسة، لأن الإلحاح قد يأتي بعكس النتيجة المطلوبة، وعلى الزوجة في الوقت نفسه أن تظهر أمام زوجها دائماً بالابتسام والبشاشة، وأن يكون حديثها معه فكهاً مرحاً، ويحسن أن تسجل في مفكرتها كل شيء ترى أنه يضايقه، حتى إذا لم تجد هي فيه وجهاً للمضايقة، ثم لا بأس بعد أن تهدأ أعصابه، وأعصابها أيضاً، من أن تراجع معه ما سجلت من تلك الأشياء. (١)

وإننا نلاحظ الانسجام بين الزوجين واللغة المشتركة في ترادف الأفكار والمواضيع، وإنني أعرف شخصياً رجلاً تزوج زوجة ثانية في الكويت للسبب ذاته، وهو أن الأولى كانت تحقر عمله ونشاطه بينما كان يجد عند الثانية الدعم المعنوي والمادي، وحتى أوراقه في البيت كانت تنظّمها له وترتبها، فكان يقول لي: «ما أجمل الزوجة إذا كانت سكرتيرة خاصة لزوجها». وأعرف رجل أعمال سعودي يهرب من بيته ويتصنع السفر أحياناً بسبب عدم تقدير زوجته لأعماله وانشغاله في تحقيق آماله وطموحه، وقد استشارني أكثر من مرة في طلاق زوجته، وأنا أقول له: «تريث وتحاور معها»، حتى إنني جلست مع زوجته وحدثتها عن دعم السيدة خديجة - رضي الله عنها - للنبي ﷺ وقلت لها: «إنك لا بد وأن تدعمني زوجك للنجاح»، فقالت: «ليس لدي مانع على شرط أن يخصص لي زوجي يوماً في الأسبوع ويتحاور معي» واتفقنا على ذلك والحمد لله.

(١) كيف تكسب الثروة والنجاح والقيادة؟ / ٩٠ (ديل كارنيجي)

ز- أفكار تربوية تشجع أبناءنا على دعم الآخرين ومساندتهم

- ١- اغرس فيهم معاني النجاح والتفوق والابداع.
- ٢- اطلق عليهم أوصافاً فمثلاً « أحمد البطل » و« عبد الله المتميز » و« منال المبدعة » وهكذا..
- ٣- من خلال اختلاطه بالآخرين واللعب معهم يتعلم دعمهم له ومساندتهم.
- ٤- استشارة مشاعر العطف على الفقراء والمساكين واعطاؤه المال ليتصدق به عليهم، أو إذ رأى أعمى يمسك بيده ليعبر به الطريق، والمواقف في الحياة من هذا النوع كثيرة.
- ٥- الاستماع إلى قصص الرسل والأنبياء والصالحين في مساعدة الآخرين، مثل قصة موسى عليه السلام وسقي الماء للفتاتين وغيرها كثير.
- ٦- أن يكون الوالدان قدوة في دعم الآخرين ومساندتهم أمام أبنائهم فيقتدوا بهم.
- ٧- زيارة بعض المستشفيات والملاجئ وتقديم المعونة للمحتاج. (*)
- ٨- ذكر الحكايات والروايات التي فيها مساعدة الآخرين وأجر ذلك، فقد قال سعد بن أبي وقاص: «كنا نعلم أبناءنا السيرة والمغازي كما يعلمهم أحدنا الآية من القرآن».
- ٩- نعلمهم كيف يستمعون بإنصات إلى شكوى المشتكى ويتفاعلون معه.
- ١٠- أعلم الأبناء أنه ليس ضرورياً أن يكونوا هم البارزين في النجاح، بل قد يساهمون في صناعة النجاح، وقد لا يكونون في الصورة وإنما هم خلف الصورة.
- ١١- أدرّب أبنائي على الاعتقاد بأن الفشل ليس عيباً في الحياة وإنما هو طريق النجاح.

(*) يعجبني د. عبدالرحمن السميط حفظه الله أمين عام لجنة مسلمي أفريقيا لأنه يأخذ زوجته وأبناءه الذكور والإناث إلى أفريقيا كل صيف لمدة ثلاثة شهور تقريبا، لزيارة القرى الفقيرة وتفقد المشاريع الإغاثية والتنمية هناك، وقد تركت هذه الزيارات في نفسية أبنائه الأثر العظيم.

ثانياً: الوفاء الزوجي

وقد استخرجنا هذا المفهوم من هذه المواقف:

الأول: في صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ كان إذا ذبح الشاة قال: «أرسلوها إلى أصدقاء خديجة»، فذكرت له يوماً فقال: «اني لأحب حبيبها».

الثاني: روت عائشة رضي الله عنها، قالت: جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي، فقال لها رسول الله: «من أنت؟»

قالت: أنا جثامة المزنية.

فقال: بل أنت حسانة المزنية، كيف أنتم، كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟

قالت: بخير، بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

فلما خرجت، قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟

قال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان». (١)

الثالث: قالت عائشة: استأذنت «هالة بن خويلد» أخت خديجة على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة وتذكره، فارتاع فقال: «اللهم هالة بنت خويلد» فغرت فقلت: «وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر فأبدلك الله خيراً منها» (٢)

(وحمراء الشدقين)، أي: سقطت أسنانها وبقيت حمرة اللثة.

إن هذه المواقف ترشدنا إلى أهمية خلق الوفاء في العلاقة الزوجية وأهميته كذلك في العلاقات الاجتماعية، وقد علمنا حبيبنا محمد ﷺ كيف نكون أوفياء مع زوجاتنا وفي علاقاتنا، فالوفاء إنما سمي بالوفاء، لما فيه من بلوغ تمام الكمال، وقد أمر الله تعالى به فقال: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً﴾ (الإسراء/٣٤)، كما وصف ربنا تبارك وتعالى إبراهيم عليه السلام بهذا الخلق في سورة النجم الآية ٢٧ فقال: ﴿إبراهيم الذي وفى﴾

(١) فتح الباري ٣٦٥/١٠ والحاكم في المستدرک (١٦٥/١)

(٢) رواه الشيخان، وانظر التاج الجامع للأصول (٣٧٩/٣).

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

فهو إذن خلق الأنبياء في الصدق في الكلام والصدق في المشاعر والصدق في الأفعال، ولهذا قال الشاعر عن الأوفياء:

إذا قلت في شيء «نعم» فآتمه
فإن «نعم» دين على الحر واجب
والأفقل «لا»، تسترح وتُرح بها
لئلا يقول الناس: إنك كاذب (١)

فالوفاء بين الزوجين من دعائم استقرار البيوت وسعادتها، ويتحقق الوفاء في حال حياة الزوجين وحتى بعد وفاة أحدهما، ولكن في زماننا يعتبر الوفاء عملة نادرة في العلاقات الإنسانية.

أ - مظاهر الوفاء الزوجي وعلاماته:

لقد أعجبنى ما ذكره أبو مريم في الوفاء الزوجي وعلاماته في كتابه «حق المرأة على زوجها»، وقد ذكر فيه سبع علامات تدل على وفاء الزوج لزوجته وهي:

١ - دفع ما يوجه للزوجة من نقد يرى الزوج أنه لا مبرر للسكوت عليه، والتماس المعاذير ما أمكن، وهذا الدفاع يعظم قدره إذا كان في غيبتها، ومن أمثلة ذلك في حياة النبي ﷺ دفاعه عن زوجته السيدة صفية رضي الله عنها.

٢ - عدم تطليق الزوجة بغير سبب معقول، ككبر سنها، أو مرضها، أو فقرها، أو تغير مركزه الاجتماعي، فليس من الوفاء أن تقطف زهرتها، ثم تتركها، وفي معنى الطلاق تغير معاملته لها على خلاف عاداته السابقة معها.

٣ - امتداد الحب، أو التقدير للزوجة إلى ما بعد موتها.

٤ - إكرام صديقات الزوجة.

٥ - صلة رحم الزوجة وإكرام أقاربها.

٦ - الثناء على الزوجة والدعاء والاستغفار لها.

(١) المستطرف / ٢٨٥ (للإبشيهي).

٧- إنفاذ وصيتها بعد وفاتها (١)

ولا شك في أن ما ذكرنا من وفاء الزوج لزوجته ينطبق كذلك على وفاء الزوجة لزوجها، بالإضافة إلى حفظ أسرار كل واحد منهما للآخر وحسن تربية الأبناء، وحفظ ممتلكات الآخر أثناء وجوده وعند غيابه، كل ذلك من الوفاء الزوجي.

فمن هدي الحبيب محمد ﷺ نتعلم وسائل الوفاء الزوجي وكذلك الوفاء الوالدي، كما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟

قال: «نعم حجي عنها، أ رأيت لو كان على أمك دينٌ أكنت قاضيتيه»؟

اقضوا الله، فإله أحق بالوفاء» (٢)

فهذه علامة من علامات الوفاء الوالدي بعد وفاتهما.. وأما علامات الوفاء الزوجي فأحببت أن أؤكد على علامتين أرى أنهما في هذا الزمان الذي نعيش فيه مهمتان للغاية، وهما:

١ - امتداد الحب والتعبير عنه بين الطرفين.

٢ - عدم التطليق من الرجل وعدم طلب الطلاق من المرأة من غير سبب.

فأما العلامة الأولى فقد أضعفها اليوم ما انتشر من مفاهيم للحب المزيف والحب الكاذب والحب المؤقت والحب الهاتفي والحب عبر الإنترنت، وكل هذا يخدش الحب الصادق بين الزوجين، وأما العلاقة الثانية فكلنا يرى كم هي نسب الطلاق في مجتمعاتنا وارتفاعها بدرجة عالية، وكأن العلاقة الزوجية أصبحت اليوم لا أهمية لها، فاستبدل بها العشيقات وبنات الليل وبنات الهوى بالنسبة للرجال، وأما بالنسبة للنساء فقد استبدلن بأزواجهن الصداقات المؤقتة، وهذا ما تشيعه الإعلانات التجارية والبرامج الفضائية في بعض الأوقات، وإنني أعرف رجلاً طلق زوجته ومكث مدة بعد طلاقه لم يتزوج، فسألته مرة عن كيفية إشباع حاجته الجنسية، فقال: إنني لست بحاجة إلى زوجة، لأنني إذا شعرت بالرغبة

(١) حق المرأة على زوجها / ١١٤ - ١١٧ (بتصرف) ابو مريم مجدي السيد.

(٢) رواه البخاري في الفتح / ٤ (١٨٥٢)

الجنسية قضيتها في مشاهدة أحد البرامج التلفزيونية التي تهدف إلى إثارة غرائز الرجال. «نسأل الله العافية»

ب - هل من الوفاء.. عدم الزواج بعد الوفاة؟

إنه سؤال خطير ومهم.. وهناك مفهوم شائع بين الناس بأن الزوجة إذا توفيت ولم يتزوج زوجها بعدها فإن هذا من الوفاء، وكذلك الأمر بالنسبة للزوجة بأن لا تتزوج بعد زوجها وفاءً له.

وهذه مفاهيم غير صحيحة، وليس لها أصل في الدين والشرع، بل إن الدين يقر عكس ذلك، وهدي الحبيب محمد ﷺ والصحابة والصالحين يبين لنا أنه ليس من معاني الوفاء عدم الزواج بعد وفاة الزوج، فقد تزوج الحبيب محمد ﷺ من خديجة رضي الله عنها، وكانت من قبله متزوجة من اثنين وتزوج من غيرها كذلك مثل أم سلمة وأخريات كن متزوجات من قبله، وزوج ابنته الثانية «أم كلثوم» لعثمان رضي الله عنها بعد وفاة ابنته الأولى «رقية» رضي الله عنها.

وتزوج الحبيب محمد ﷺ بسودة وعائشة رضي الله عنهما، ولم يفت على وفاة خديجة شهر واحد، وتزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها بسبع ليال، وتزوج الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بعد وفاة زوجته «أم عبدالله» بيوم، وسعيد بن المسيب زوج ابنته لتلميذه عبدالله في ثاني يوم من وفاة زوجته، وغيرهم كثير..

فالزواج بعد وفاة أحد الزوجين ليس له علاقة بالوفاء، وأما لو أحب زوج أو زوجة أن لا يتزوجا بعد وفاة الطرف الآخر، فهذا قرار خاص بهما، ولكنه غير ملزم للآخرين.

وأما ما يشاع في أدبنا من قصص الوفاء بعدم زواج الزوجة بعد وفاة زوجها، فغير صحيح من حيث المعنى وليس الرواية، فقد «خرج سليمان بن عبد الملك يرافقه يزيد بن المهلب إلى إحدى مقابر الشام، فإذا بامرأة جميلة تبكي، فنظر إليها سليمان معجباً بحسنها، فقال لها يزيد:

يا أمة الله هل لك في أمير المؤمنين؟

فنظرت إليهما ثم نظرت إلى القبر وقالت:

فإن تسألاني عن هواي فإنه

بحوماء هذا القبريا فتیان

واني لأستحييه والترب بيننا

كما كنت أستحييه وهو يراني (١)

فكما ذكرنا فإن مثل هذه القصص قد تذكر وتتخذ الزوجة قراراً في نفسها بأن لا تتزوج بعد وفاة زوجها حباً له، وتصرفها صحيح، لكن الذي نريده أن لا ينسب تصرفها إلى عدم الوفاء فيما لو تزوجت ثانية، وأن توصم بأنها خائنة المهد.

ج - هل الزوجة الثانية ضد الوفاء الأولى؟

نستطيع أن نجيب على هذا السؤال بأكثر من إجابة، ولكن قبل الإجابة على هذا السؤال دعوني أنقل لكم انطباعات النساء والرجال على هذه المسألة، لأنني في أكثر من دورة تدريبية كنت أطرح هذا السؤال على النساء، وكانت إجابتهن دائماً: «نعم».. وأما الرجال فإجابتهم دائماً «لا». ويبدو أن كل جماعة تجيب بما في هواها ونفسها، وأعتقد أن الإجابة الصحيحة هي «نعم» و«لا».

فأما «لا» فهي الأصل، وإلا لما شرع نظام تعدد الزوجات في الإسلام، والإسلام لا يشرع ما فيه مخالفة للأخلاق الإنسانية الكريمة، والوفاء من أرقى الأخلاق.

ثم إن سيرة النبي محمد ﷺ تشهد لنا بأنه عدّد بين النساء، وهل يعقل أن ينتفي الوفاء من الحبيب محمد ﷺ وهو الذي أسس لنا هذا الخلق ووجهنا إليه، وكذلك فعل الصحابة والتابعون في التعدد، فهل نتهمهم بعدم الوفاء وهم أهل خير القرون؟

وإن كان البعض يحتج بقصة علي بن أبي طالب ﷺ عندما أراد أن يتزوج على فاطمة رضي الله عنها فمنعه النبي ﷺ. فنقول: إن هذا التحليل غير صحيح، ومن قرأ السيرة ودقق في القصة وأسبابها وخلفياتها علم أن القضية ليس لها علاقة بالوفاء أو تعدد الزوجات، وإنما منعه النبي ﷺ لأنه كان يريد الزواج من بنت أبي جهل، فقال: «لا تجتمع

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

بنت رسول الله و بنت عدو الله في بيت واحد» وذلك لسببين:
الأول: لأن هذا الزواج كان بتدبير إفساد بيت علي وفاطمة رضي الله عنهما من ابنة عدو الله أبي جهل، فهو زواج في ظاهره الرحمة وباطنه العذاب، فقد كان وراء هذا الزواج نساء يخططن له.

الثاني: أن النبي ﷺ قال: «إن فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني» ولهذا منع النبي ﷺ من وجود امرأة أخرى في حياتها حتى لا تغضب ويغضبها يغضب عليه السلام. فالموضوع إذن ليس له علاقة «بالوفاء» وإنما هو تقدير وموازنة بين المصالح والمفاسد.. ولهذا فإن القارئ يستغرب إذا علم أن من وصية فاطمة رضي الله عنها قبل وفاتها لزوجها علي ﷺ عنه، أن يتزوج «أمامة» ابنة أختها زينب رضي الله عنها، وقد تزوجها علي بعد سبع ليال من وفاة فاطمة رضي الله عنها.

وأما الإجابة بـ «نعم».. فذلك يكون عندما يستغل الزوج مال زوجته الخاص أو مسكنها الذي ساهمت في تأسيسه وتأتيه بمالها الخاص، فيتزوج الثانية من مال الأولى ويسكنها في المنزل الذي تملكه الأولى، فهذا اعتداء وظلم على الزوجة الأولى، كما أن هذا ليس من الوفاء، وإني أعرف قضية قد عرضت عليّ بهذا التصرف، بأن تزوج الزوج مستغلاً راتب زوجته وأسكن الثانية في المنزل الخاص بالأولى، والذي ساهمت بمالها في تأسيسه.

وأما الحالة الثانية فقد يكون الزوج غير وفي للأولى وذلك فيما لو كان قد أخذت منه العهد بعدم الزواج من أخرى ثم نكث هذا العهد، فهنا يكون زواجه من الثانية ضد الوفاء للأولى، لأنه خالف قول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (١).

د - وفاء فاطمة لزوجها:

من منا لا يعرف فاطمة زوجة الخليفة الخامس عمر بن عبدالعزيز رحمه الله. فاطمة هي بنت الخليفة، وزوجة الخليفة، وأخت لأربعة خلفاء، حتى قال فيها أحد الشعراء:

(١) سورة الإسراء آية ٣٤

بنت الخليفة، والخليفة جدها

أخت الخلائف، والخليفة زوجها (١)

هذه السيدة خرجت من بيت أبيها إلى بيت زوجها يوم زفت إليه وهي مثقلة بأثمن ما تملكه امرأة على وجه الأرض من الحلي والمجوهرات، ويقال إن من هذه الحلي قرطي مارية اللذين اشتهرا في التاريخ، وتغنّى بهما الشعراء، وكانا وحدهما يساويان كنزاً، وقد قيل إنه لو بيعت مجوهراتها لأشبعت بثمنها بطون شعب كامل برجاله ونسائه وأطفاله.

«ولكن كان أول قرار اتخذه زوجها أن يدخل في بيت مال المسلمين كل هذه المجوهرات والحلي واللآلئ والدرر».

ولما توفي عمر بن عبدالعزيز ولم يخلف لزوجته وأولاده شيئاً، جاءها أمين بيت المال، وقال لها: إن مجوهراتك يا سيدتي لا تزال كما هي، وإنني اعتبرت أمانة لك، وحفظتها لذلك اليوم، وقد جئت أستأذنك في إحضارها».

فأجابته بأنها وهبتها لبيت مال المسلمين طاعة لأمير المؤمنين ثم قالت:
«وما كنت لأطيعه حياً، وأعصيه ميتاً» (٢).

فهذا موقف لزوجته يستدل من خلاله على شرف معدنها ورفعة منزلها في وقت كانت بحاجة فيه إلى دريهمات لتعيش بها في حياتها بعد وفاة زوجها، ولكن خلق «الوفاء» منعها من ذلك.

هـ - من أجل الوفاء لم يحدث الطلاق

نذكر للقارئ قصتين في الوفاء الزوجي، الأولى في وفاء زوجة لزوجها ويرويه لنا العتبي، قال: قال رجل من ولد عليٍّ عليه السلام لامرأته: أمرك بيديك، ثم ندم. فقالت: «أما والله لقد كان بيديك عشرين سنة، فأحسنت حفظه وصحبتة، فلن أضيعه إذ كان بيدي ساعة من نهار، وقد رددته إليك،

(١) البداية والنهاية ج ٩ / ١٩٣ (لابن كثير)

(٢) عودة الحجاب ج ٢ / ٥٣٦ محمد المقدم

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

فأعجب بذلك من قولها وأمسكها». (١)

فهذا موقف يدل على وفاء الزوجة بالرغم من تفويض زوجها لها بالطلاق وجعله بيدها .
وأما قصتنا الثانية فمع وفاء زوج لزوجته، وهذه القصة حصلت في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وروىها ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة قال: بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت إذ رأى رجلاً يطوف وعلى عاتقه امرأة مثل المهابة - يعني حسناً وجمالاً - وهو يقول:

قُدْتُ لَهْدِي جَمَلاً ذُلُولاً مَوْطاً أَتَبِعُ السُّهُولاً
أَعْدِلُهَا بِالْكَفِّ أَنْ تَمِيلَا أَحْذِرُ أَنْ تَسْقُطَ أَوْ تَزُولَا
أَرْجُوكَ لَذَاكَ نَائِلاً جَزِيلاً

فقال له عمر رضي الله عنه: يا عبدالله، من هذه التي وهبت لها حجك؟

قال: امرأتي، يا أمير المؤمنين، وإنها حمقاء مرغامة (٢)، أأكل قمامة، لا يبقى لها خادمة.

فقال له: ما لك لا تطلقها؟

قال: إنها حسناء لا تُفرك، وأم صبيان لا تترك.

قال: فشأنك بها (٢)

وأذكر بهذه المناسبة بعض القصص الواقعية التي مرت عليّ في الوفاء الزوجي وهي كثيرة، فمنها «بو عبدالله» والذي كان مدمناً على المخدرات عشرين سنة، ثم تركها واستمر مع زوجته خمس سنوات، وهو يردد عليها دائماً: لا أعرف كيف أرد لك هذا الجميل، وأكون وفياً لك على صبرك ودعمك لي.

وأعرف زوجاً أصيبت زوجته بالمرض الذي أبقدها في الفراش لأكثر من ثلاث سنوات وهو يلازمها ويرعى أبناءه بعد مرضها، فقلت له يوماً لأختبره: لماذا لا تطلقها؟

فرد عليّ وفاءً لعشر سنوات صبرت عليّ وأكرمتني بها، أفلا أكرمها رداً للجميل ووفاء لتلك العشرة!!

ونماذج كثيرة تزخر بها مجتمعاتنا في الوفاء.

(١) الأذكياء / ٢٦٤ لابن الجوزي

(٢) مرغامة من المرأمة وهي المغاضبة والهجران

(٣) صفحات رائدة في مسيرة العدالة / ٢٨٥ (نذير مكتبي)

و - من عجائب قصص الوفاء

قضية الطائي وشريك نديم النعمان بن منذر وتلخيص معناها:

أن النعمان كان قد جعل له يومين، يوم بؤس، من صادفه فيه قتله وأرداه، ويوم نعيم من لقيه فيه أحسن إليه وأغناه، وكان هذا الطائي قد رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره، فأخرجته الفاقة من محل استقراره ليرتاد شيئاً لصبيته وصغاره، فبينما هو كذلك إذ صادفه النعمان في يوم بؤسه، فلما رآه الطائي علم أنه مقتول، وأن دمه مطلوب، فقال: حيّا الله الملك إن لي صبية صغاراً، وأهلاً جياً، وقد أرقّت ماء وجهي في حصول شيء من البلغة لهم، وقد أقدمني سوء الحظ على الملك في هذا اليوم العبوس، وقد قربت من مقر الصبية والأهل وهم على شفا تلف من الطوى، ولن يتفاوت الحال في قتلي بين أول النهار وآخره، فإن رأى الملك أن يأذن لي في أن أوصل إليهم هذا القوت، وأوصي بهم أهل المروءة من الحي، لئلا يهلكوا ضياعاً، ثم أعود إلى الملك وأسلم نفسي لنفاذ أمره، فلما سمع النعمان صورة مقاله، وفهم حقيقة حاله، ورأى تلهفه على ضياع أطفاله، رقّ له ورثى لحاله، غير أنه قال: لا آذن لك حتى يضمّنك رجل معنا، فإن لم ترجع قتلناه، وكان شريك بن عدي ابن شريحيل نديم النعمان معه، فالتفت الطائي إلى شريك وقال له:

يا شريك بن عدي ما من الموت انهزام

من الأطفال ضعاف عدموا طعم الطعام

بين جوع وانتظار وافتقار وسقام

يا أبا كل كريم أنت من قوم كرام

يا أبا النعمان جد لي بضمان والتزام

ولك الله بأني راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدي أصلح الله الملك، عليّ ضمانه، فمر الطائي مسرعاً، وصار النعمان يقول لشريك: إن صدر النهار قد ولى، ولم يرجع، وشريك يقول: ليس للملك عليّ سبيل حتى يأتي المساء، فلما قرب المساء قال النعمان لشريك: قد جاء وقتك، قم فتأهب للقتل،

فقال شريك: هذا شخص قد لاح مقبلاً، وأرجو أن يكون الطائي، فإن لم يكن فأمر الملك ممتثل، قال فبينما هم كذلك، وإذا بالطائي قد اشتد عدوه في سيره مسرعاً حتى وصل، فقال: خشيت أن ينقضي النهار قبل وصولي، ثم وقف قائماً وقال: أيها الملك مر بأمرك. فأطرق النعمان، ثم رفع رأسه وقال: والله ما رأيت أعجب منكما، أما أنت يا طائي فما تركت لأحد في الوفاء مقاماً يقول فيه، ولا ذكراً يفتخر به، وأما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في الكرماء، فلا أكون الأم الثلاثة، ألا وإني قد رفعت يوم يؤسي عن الناس، ونقضت عادتي كرامة لوفاء الطائي، وكرم شريك، فقال الطائي:

ولقد دعمتني للخلاف عشيرتي

فعددت قولهمو من الأضلال

إني امرؤ مني الوفاء سجية

وفعال كل مهذب مفضال

فقال له النعمان: ما حملك على الوفاء، وفيه إتلاف نفسك، فقال: ديني، فمن لا وفاء فيه لا دين له.

فأحسن إليه النعمان، ووصله بما أغناه مكرماً إلى أهله وأناله ما تمناه (١)

إن مثل هذه الأخلاق الراقية في الوفاء نحن بحاجة إليها الآن، وأذكر أنني ذكرت هذه القصة في مجلسي بين الأحاباب والأصحاب في الكويت، فقال أحد الحضور معلقاً على القصة بأنه يعرف قصة واقعية لامرأة في الكويت كانت وفية مع خادماتها فسألناه عن قصتها فقال:

لقد كانت إحدى الخادومات تعمل عند كفيلتها مدة ثلاثين سنة، وهي تطبخ وتخدم وتقوم بتنظيف المسكن حتى كبرت وعجزت، فقالت لها كفيلتها: أنا مستعدة أن أدفع لك معاشك شهرياً وتبقين عندي، وأحضر خادمة أخرى تخدمنا، وأسميك «خادمة متقاعد» وفاءً لتلك الفترة التي قضيتها معي.

(١) المستطرف في كل فن مستظرف ج ١ / ٢٨٧ (الأبشيهي)

ع- والوفاء والغدر عند غير الإنسان

عرف «الكلب» بالوفاء حتى إن الشاعر البدوي امتدح الخليفة العباسي به فقال:

أنت كالكلب في حفاظك للعهد

وكالتيس في قراع الخطوب

وهناك قصة قد تكون من نسج الخيال ولكنها تعبر عن وفاء الكلب، وهي أن كلباً عاش في بيت مزارع زمناً طويلاً يحرس البيت، ويبعد اللصوص، ويمشي وراء صاحبه في كل مكان، وكما كان يحب صاحبه كان يحب أولاده، ويلعبهم ويتحمل الأذى منهم، ومضت السنوات وكبر الكلب في السن.. وأصبح لا يستطيع أن يحرس المنزل، ويبعد اللصوص، كما كان يفعل من قبل، ورأى المزارع أن يتخلص منه، فأراد أن يبيعه، ولكن لم يقبل أحد أن يشتريه، لأنه كبير وضعيف، وفكر الرجل في طريقة يتخلص بها من الكلب فأخذه إلى مكان بعيد، خارج المدينة، وتركه هناك ورجع مسرعاً بسيارته، ولكن الكلب استطاع بذكائه أن يعود إلى منزل المزارع مرة ثانية، تضايق الرجل لأنه لم يستطيع أن يتخلص من الكلب، ولم تنفع كل الحيل التي عملها لإبعاده عنه، وأخيراً قال في نفسه: أحسن طريقة للخلاص من هذا الكلب، أن أخذه وأرميه في البحر، وركب قارباً وأخذ الكلب معه، ودخل في الماء مسافة بعيدة، وفي وسط البحر حمله بيديه ورماه في الماء، ولكن الكلب كان يفوص في الماء مرة ويظهر مرة أخرى، ويجري نحوه في القارب، والمزارع يدفعه بعيداً عنه، وفي هذه اللحظة جاءت موجة شديدة ضربت القارب، فقلبته وسقط الرجل في الماء وكاد يغرق، فرآه الكلب وجاء إليه مسرعاً وأنقذه، فأخذه إلى منزله، وندم على ما فعل وأكرمه حتى مات. (١)

وإن من أغدر الحيوانات «الضباع» وقد ذكر مؤلف الكتاب السابق ذكره «في الوفاء» قصةً طريفة للضباع وغدرها، وهي كالتالي:

أثار جماعة من الأعراب ضبعاً فدخلت خباء شيخ منهم، فقالوا: أخرجها، فقال: ما كنت لأفعل وقد استجارت بي. فانصرفوا، وكانت هزيلة فأحضر لها لبناً من لقاح، فجعل

(١) في الوفاء / ١٣٠ (عبدالرحمن عبداللطيف)

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

يسقيها حتى عاشت، فنام الشيخ ذات يوم فوثبت عليه فقتلته، فقال الشاعر:

ومن يصنع المعروف في غيره أهله
يلاقى الذي لاقى مجير أم عامر
أعد لها لما استجارت بقربه
غذاء من ألبان اللقاح الغزائر
وأسمنها حتى إذا ما تملأت
فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف: هذا جزاء من

يجود بمعروف إلى غير شاكر (١)

فهذا مثال لإحدى الحيوانات التي لا تعرف الوفاء، وأما مثال الحشرات «فالعنكبوت» معروف بعدم وفائه الأنثى منه للذكر.

ولهذا ضرب الله لها المثل عندما قال: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانَ يَعْلَمُونَ﴾ (٢) وأنثى العنكبوت إذا أرادت الذكر تخرج له رائحة، فإذا جامعها بثت فيه السم فقتلته، ثم إذا رزقت بالأبناء وجاعت أكلت نصفهم، فلا تعرف الوفاء أبداً، ولهذا ضرب الله بها المثل (٣).

ز - أفكار تربوية تغرس في أبنائنا خلق الوفاء

إن تصوير خلق الوفاء وتقريبه للأطفال فيه صعوبة، ولكن هناك أكثر من فكرة لتربية أبنائنا على خلق الوفاء، منها الطريقة السريعة والمباشرة من خلال:

(١) في الوفاء / ١٣١ (عبدالرحمن عبداللطيف).

(٢) سورة العنكبوت آية ٤١

(٣) من الطرائف في الوفاء أني كنت أعطي محاضرة عن الوفاء الزوجي، وبعد انتهاء المحاضرة جاءني رجل وقال لي: عندي لك طرفة في زوجة غير وافية لزوجها، فقلت له: أخبرني، فقال: كانت امرأة غير وافية لزوجها فخرج لها جني، وقال لها: لك ثلاث أمنيات أحققها لك، وكل أمنية أحققها لك أعطي لزوجك عشرة أضعافها، ففرحت وقالت له: أريد أن أكون جميلة فجعلها جميلة وأصبح زوجها أجمل منها عشرة أضعاف، ثم قالت: أريد مليون دينار فأعطاهم مليوناً وأصبح زوجها مليونيراً، ثم قالت: أريد أن تجعل في مخي تلفاً بسيطاً جداً فأتلف خلية واحدة وأتلف مخ زوجها فمات وورثته!

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

- ١ - تعريف خلق الوفاء لهم وبيان أهميته وأنه عملة نادرة في هذا الزمان.
 - ٢ - أن يكون الوالدان وفيين للآخرين أمامهم فيشاهدوا مواقف عملية في الوفاء.
 - ٣ - ذكر قصص الوفاء عند العرب والمسلمين وقصص الوفاء عند الصحابة ومواقف للنبي ﷺ في ذلك.
 - ٤ - ذكر قصص الغدر وعدم الوفاء سواء عند البشر أم الحيوانات، لأنه كما قيل: «تعرف الأشياء بأضدادها».
 - ٥ - التذكير بهذا الخلق بين حين وآخر والتكرار عليهم بأهميته.
 - ٦ - إرشاد الأبناء إلى معنى «العهد» و«الإنفاق» و«احترام الكلمة» و«احترام الوعد»، فإن الطفل يولد بفطرته السليمة ملتزماً بالعهد.
 - ٧ - تدريبهم على بعض علامات الوفاء مثل الصدق عند الحديث، والالتزام بالوعد إذا واعدوا.
- وهناك الطريقة البطيئة وغير المباشرة وذلك من خلال غرس العقيدة وحب الدين، لأن خلق الوفاء من قيم الدين.

سودة بنت زمعة

رضي الله عنها

سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن
نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، القرشية
العامرية، زوج النبي محمد ﷺ.

الوقففة الأسرية مع السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها

(١) العدل في التعدد:

- التعدد بين الفضل والنجاح.
- يتنافسان على التبرع بالكلية.
- هل ننصح الزوج بالتعدد اليوم؟
- لماذا الرجل يعدد والمرأة لا تعدد؟
- كيف تعامل أبناء زوجاتك؟
- أفكار تربية تغرس في أبنائنا خلق العدل.

السيرة الذاتية

- أمها الشموس بنت قيس بن زيد بن عمر.
- كانت قبل رسول الله متزوجة من ابن عم لها: السكران بن عمرو.
- أسلم زوجها معها وهاجرا جميعاً إلى أرض الحبشة.
- تزوجها رسول الله بعد موت خديجة، وقبل أن يعقد على عائشة رضي الله عنها.
- كانت معروفة «بطول اليد» أي كثيرة الصدقة، لا تستقر الدراهم بيدها.
- هاجرت إلى الحبشة والمدينة فهي من أصحاب الهجرتين.
- روت خمسة أحاديث شريفة.
- توفيت بالمدينة سنة ٥٤ هـ في شوال أواخر زمن سيدنا عمر الفاروق.
- وهبت يومها لعائشة تلتمس رضى النبي ﷺ، وأسنت عند رسول الله ولم تتجب منه ولداً.
- كان لديها روح مرحة وتضحك النبي ﷺ دائماً.

العدل في التعدد

من أين استخرجنا هذا المفهوم؟

قالت عائشة - رضي الله عنها: لما أسنت سودة عند رسول الله، خشيت أن يطلقها رسول الله، فقالت: لا تطلقني، وأنت في حلّ مني، فأنا أريد أن أحشر في أزواجك، وإني قد وهبت يومي لعائشة، وإني لا أريد ما تريد النساء.

فأمسكها رسول الله حتى توفي عنها مع سائر من توفي عنهن من أزواجه رضي الله تعالى عنهن. (١)

وفي رواية ابن سعد - رحمه الله - أن سودة قالت للحبيب: لكني أحب أن أبعث في نسائك، وإني قد جعلت يومي لعائشة. (٢)

وفي رواية مسلم: كان رسول الله يقسم لكل امرأة يومها وليلتها، غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لـ «عائشة» رضي الله عنها، تبتغي بذلك رضي رسول الله ﷺ.

ونستفيد من هذه المواقف حرص النبي ﷺ على تحقيق مبدأ العدل، وهو القائل: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» (٣)

يعني المحبة، ولهذا فإن الفقهاء ذهبوا إلى أنه يجب على الزوج العدل بين زوجاته في حقوقهن من القسم والنفقة والكسوة والسكنى، وهو التسوية بينهن في ذلك، والأصل فيه قول الله تعالى: ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾ عقب قوله تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾. (٤)

والأمر الثاني الذي نستفيدة من هذا الموقف سعة الأحكام الشرعية والنظام الزواجي في الإسلام لحاجات النفس الإنسانية، فقد تنازلت سودة رضي الله عنها عن ليلتها حتى لا

(١) الاستيعاب (٣١٧/٤ - ٣١٨)

(٢) طبقات ابن سعد (٥٤/٨)

(٣) أخرجه أبو داود (٦١٠/٢) والنسائي (٦٤/٧)

(٤) النساء / ١٢٩

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

تحمل زوجها مسؤوليتها مع تحقيق رغبتها ببقائها مع زوجات الحبيب محمد ﷺ، وهكذا فالإسلام يلبي حاجات النفس الإنسانية المشروعة، ولعل الحديث كثر عندنا عن «زواج المسيار» وأعتقد أنه من الخطأ أن نحكم عليه الآن، وإنما نترك الحكم عليه لكل بيئة ومناخ يصدر عن الحكم بما يتناسب وحاجة المجتمع الذي يعيشون فيه.

وأذكر مرة أنني كنت عند بعض الأسر المغتربة، وكانوا ينتقدون العرف الغربي في أن يكون للفتاة صديق (Boy friend) أو أن يكون للشاب (girl friend) فقلت لهم: وماذا يفعل شبابنا بالطاقة الجنسية عندهم والمجتمع المثير لديهم؟ لماذا لا نستحدث لهم (زوج فرند) فضحكوا، ثم فكروا بالموضوع فقال لي أحدهم: (والله فكرة تستحق البحث) فقلت: على الأقل إنها صداقة بإطار شرعي أفضل من الزنى والمحرمات. إن موقف سودة رضي الله عنها يعلمنا هذا الفقه في التعامل مع حاجات الإنسان ورغباته.

التعدد بين الفشل والنجاح

لا نستطيع أن نقول لكل زوج تزوج ثانية وستكون سعيداً، كما أننا لا نستطيع أن نقول لكل من تزوج ثانية بأنك ستفشل في التعدد، ولهذا فإن التعدد لا قانون له في النجاح والفشل، خاصة في واقعنا المعاصر. فقد رأيت رجالاً عمالقة فشلوا عندما تزوجوا بثانية، ورأيت رجالاً ضعافاً نجحوا عندما تزوجوا الثانية، فالقضية ليس لها علاقة بالرجولة بقدر ما ينبغي مراعاة أمور عدة:

١- البيئة التي يعيش فيها الرجل.

٢- شخصية الزوجة الأولى.

٣- شخصية الزوجة الثانية.

٤- شخصية الزوج (طريقة إدارته - عدالته - فقهه في التعامل مع الناس).

٥- الوضع المالي للزوج.

٦- وأمر خاص بكل حالة.

ومع ذلك كله فإن نسبة التعدد في البلاد العربية كما جاء في إحصائية جامعة الدول العربية (٧ - ١٠ من الألف)، وهي نسبة قليلة جداً.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

وقد عشت مع عائلات كثيرة معددة، ورأيت بعضهم سعداء، وبعضهم نادماً على القرار الذي اتخذته.

وأعرف أكثر من عائلة يعيش الزوج مع زوجته في مسكن واحد وبينهما تفاهم وتسيق، وهذه العائلة التي أعرفها في الكويت، وأعرف أخرى في السعودية تعيش الزوجات الثلاث في بيت واحد، وأعرف عائلة في الإمارات بين الزوجتين محبة وتعاون حتى إنهن يلبسن فستاناً من لون واحد إذا ذهبن إلى حفلة أو عرس، وتتعامل كل واحدة منهن مع أبناء الأخرى وكأنهم أبناءها.

وأعرف عائلات أخرى يعيش أفرادها في مشاكل كثيرة وبينهم حروب وعواصف، وأعرف زوجاً طلق كلتا زوجته أكثر من مرة، وجلس لوحده من غير زوجته، ويזור كل زوجة مرة في الأسبوع من أجل أولاده، وأصبح لديه ردة فعل ضد الزواج وضد كل النساء، حتى أصبح حاله كحال الأعرابي الذي نصح بالزواج من ثانية، وقيل له: من لم يتزوج اثنتين لم يذق حلاوة العيش، فتزوج امرأتين ثم ندم على ما فعل، وقال:

تزوجت اثنتين لفرط جهلي

بما يشقى به زوج اثنتين!

فقلت: أصير بينهما خروفاً

أنعم بين أكرم نعتين!

فصرت كنعجة تضحى وتمسي

تداول بين أخبث ذئبتين!

رضا هذي يهيج سخط هذي

فما أعرى من إحدى السخطين

وألقي في المعيشة كل ضر

كذاك الضرب بين الضرتين

لهذي ليلة، ولتلك أخرى

عذاب دائم في الليلتين^(١)

(١) أشهر قصص العشاق والمتيمين / ١٦٧ (محمد سليم)

يتنافسان على التبرع بالكلية

يقول الشيخ عبدالحميد البلالي:

عجبت وتعجبت للخبر الذي نُشر في الصحف عن تباري زوجتين لرجل سعودي على التبرع بكلية لزوجهما المريض، ولم يحسم التنافس بينهما إلا بالقرعة، وقالت صحيفة «أراب نيوز» السعودية إن إدارة المستشفى التي يعالج فيها الزوج اضطرت إلى إجراء القرعة بين الزوجتين لتحسم هذا التنافس بينهما، وقد فازت الزوجة الثانية بالقرعة. وسبب إعجابي بهاتين الزوجتين، كونهما تشكلان الاستثناء من قطاع كبير من الزوجات المقترنات بزواج له أكثر من زوجة، وتكثرت لزوجهما هذه المحبة الغامرة التي دعتهما للتبرع بإحدى كليتيهما له، بينما كثيرات من هذه الشريحة لا يصلن إلى هذا المستوى من الحب والإيثار. (١)

إنها قصة جديرة بأن نقف عندها خاصة ونحن نناقش تنازل أمنا سودة رضي الله عنها عن ليلتها لعائشة رضي الله عنها، فالعامل مع أحكام الشريعة يحتاج إلى بيئة ومناخ مهياً لها، وإلا أصبح الحكم عند تطبيقه يشوّه سمعة الإسلام والمسلمين، ولهذا أعجبتني ما ذكره الأستاذ فهمي هويدي عندما عقد مقارنة بين آيات القرآن الكريم وعددها ٦٢٠٠ آية، وآيات الأحكام وعددها ٤٠٠ آية، فقال:

إن القرآن الكريم ينبغي أن ينظر إليه في الأساس باعتباره كتاب هداية، وليس لائحة عمل أو موسوعة للنظم والتشريعات، وإذا كان عدد آيات القرآن قد تجاوز ٦٢٠٠ فإن آيات الأحكام والتكاليف لا تتجاوز ٤٠٠ على أبعد الفروض، والمقابلة بين الرقمين تعكس الأهمية القصوى التي يوليها القرآن لتربية القلب والضمير، وتشكيل الوعي والحس الإسلامي الصحيح عند الفرد، وهما حجر الزاوية في البناء كله ومفتاح التغيير وسره، وضمان الاستمرار والثبات على الطريق السوي.

(١) زواج من غير متاعب / ٥٠ (الشيخ عبدالحميد البلالي)

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

يتصل بذلك أن الحلول الإسلامية، في أي اتجاه، يتعذر فصلها عن جملة البيئة أو المناخ الإسلامي، ومن الخطأ والخطر بمكان أن يتم التعامل مع الشريعة أو الأحكام العملية بمعزل بعضها عن بعض أو بمعزل عن مختلف الأحكام الاعتقادية والخلقية الأخرى. فإقامة حد الزنى مثلاً يفترض وجود مجتمع مسلم ييسر طريق الزواج الحلال لمن أراد، ويسد طرق الحرام والغواية، ويرعى الفضيلة وينحاز إليها على الدوام، ومثل ذلك السرقة، فلا يجوز في منطق العدل أن يقام حد الله، بينما يهمل أمر الله بإيتاء الزكاة وإقامة التكافل الاجتماعي، ومقاومة البطالة والتظالم بين الناس.

لقد جاءت آية واحدة في القرآن الكريم تأمر بإقامة الحد على السارق، ولكن عشرات الآيات جاءت تأمر بإيتاء الزكاة والإنفاق في سبيل الله، وتحض على إطعام المساكين وتحذر من الكنز والشح والتطفيف والربا والميسر والظلم بكل أنواعه، وتقيم العدل والتكافل بحيث لا يسرق - في المجتمع المسلم الحق - محتاج أو محروم» (1)

نعم إن فهم هذا الموضوع مهم جداً للتعامل مع قضية تعدد الزوجات في واقعنا أو أي قضية إسلامية أخرى، وإنني أقول هذا الكلام وأنا أعرف رجلاً أراد أن يعدد وبيئته غير صالحة للتعدد، ولكنه عزم على التعدد ليثبت لمن حوله أن النظام الإسلامي فيه الخير الكثير، ولكنه ندم على قراره بعد أن لفظته بيئته لهذا التصرف، بينما يحدثني أحد المتدربين في دورة كنت أقدمها في جدة تحت عنوان: «النجاح الوظيفي والعائلي»، وكان المتدرب «موريتانياً» يقول لي: إن الوضع الطبيعي عندنا في موريتانيا هو التعدد، والاستثناء أن يبقى الرجل على زوجة واحدة، ثم بدأ يحدثني عن زوجاته الأربع وزوجات أخيه الأربع وزوجات أبيه الأربع، وكنت أستمع إلى هذه القصص والحكايات وكأنني أمام فيلم خيالي، وكان يرى علامات التعجب عليّ ويقول لي: إن لم تصدق كلامي فأنا أدعوك لزيارتنا حتى تشاهد كل ما حدثتك عنه بعينيك، وتجلس مع زوجاتي الأربع وتسمع منهن مباشرة، فقلت له: وهل تعاني من أي مشكلة معهن؟ قال: لا، سوى مشكلة الغيرة وهذا

(1) تزيف الوعي / ١٥٠ - ١٥١ (فهمني هويدي) نقلاً عن د. يوسف القرضاوي - شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان / ١٦٢

أمر طبيعي بين النساء، فالمرأة لو كانت لوحدها فإنها تغار من نفسها.

هل ننصح الأزواج بالتعدد اليوم؟!

سئل الشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله - عن أفضل سن للزواج، فقال للسائل: قبل أن أجيبك عن هذا السؤال أريد أن أسألك: متى تأكل؟ فقال السائل: عندما أجوع! فقال الشيخ علي الطنطاوي: وأنا أجيبك بأن أفضل سن للزواج عندما يحتاج الإنسان إلى الزواج.

أحببت أن أكتب هذه المقدمة لموضوع شائك في مجتمعنا وهو موضوع الزوجة الثانية، أو «التعدد» وعندما يُطرح هذا الموضوع بين الرجال فدائماً يكونون بين مؤيد له ومتحفظ عليه ومعارض لإجرائه بشروط، وأما النساء فرأيهن واحد غالباً.. ولكن القضية في رأيي قد حسمتها الشريعة الإسلامية عندما أباحت التعدد للرجل، وهنا ينبغي أن نلفت النظر إلى أن الظاهرة لا ينبغي أن نتعامل معها بأسلوب: هل أنت مؤيد أم معارض؟ وإنما السؤال الصحيح: هل التعدد مناسب لك أم لا؟!

ثلاثة أنواع

في كثير من الأحيان يكون الأمر مباحاً للإنسان ولكنه لا يستطيع فعله، وقد يكون حراماً ويضطر إلى فعله، فلا بد من مراعاة الظرف والمكان والذات عند تقديرنا للأمور، والرجال في تجربة التعدد على ثلاثة أنواع:

- منهم من جرب وفشل فندم وتراجع وشعر بأن التجربة التي خاضها كانت أكبر من قدرته واستطاعته، وأنه عاطفي جداً، فظلم الأولى على حساب الثانية، أو ظلم الثانية على حساب الأولى.

- والنوع الثاني من جرب التعدد وما زال يعيشه رغم مشاكله، وهو على أمل أن تستقر الأمور وتهدأ العاصفة، وهو متحير بين مواصلة المسير أو التراجع.

- ونوع ثالث جرب ونجح وأحسن التعامل والتصرف وبدأ ينصح غيره بالتعدد.

كيف نجح؟!

والسؤال الذي يطرح نفسه كيف ينجح من عدد بين النساء؟ والإجابة عن هذا السؤال

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

تحتاج منا إلى معرفة قدرات ومواهب كل رجل بالإضافة إلى الوقت الذي يمكن أن يعطيه لهذه المسألة الاجتماعية، ولهذا فإن القرار السليم في هذه المسألة، أن يقيس الإنسان قدراته ومهاراته في فن التعامل مع النساء، بالإضافة إلى قياس حاجته النفسية والاجتماعية إلى التعدد، ثم معرفة الواجبات والتكاليف الجديدة التي ستجد في حياته، وهل هو قادر على التوفيق بينهما والصرف عليهما من ماله، والعدل في التعامل معهما أم لا؟ عندما نعرف هذه المعايير الثلاثة نستطيع أن نحكم على الرجل قبل أن يعدد، ما إذا كان قراره في التعدد صحيحاً أم خاطئاً.

نصحته بالثانية

أحدهم جاءني شاكياً من حياته الزوجية وبدأ يذكر لي كيف كان في أيامه الخالية، وأنه كان يرتكب الفاحشة مع النساء بشكل مستمر لدرجة أنه لا يمر عليه أسبوع إلا وقد ارتكب الفاحشة مع ساقطة أيام دراسته بأوروبا، ثم هداه الله وتاب وتزوج وأصبح له الآن أربع سنوات في زواجه.. قال لي: المشكلة التي أعانيها أنني كنت أعدد بالحرام حتى تعودت التنوع وما عدت أصبر على زوجة واحدة، ثم بكى واستمر قائلاً: وإني أخاف على نفسي من الانحراف وارتكاب المنكرات مرة أخرى، وبدأت نفسي تحدثني كثيراً فما العمل؟
إني أحب زوجتي ولا أريد أن أجرحها وهي لم تقصر معي في شيء، فنصحته بمصارحة زوجته بحاجاته الخاصة والوصول معها إلى حل.

ثم جاءني بعد فترة والابتسامة على وجهه وقال لي: «زوجتي زوجتني من أخرى».. فقلت له: هذا علاجك، والعبد إذا اتقى ربه جعل الله له مخرجاً.

لا يعرف عدد أولاده!!

في إحدى القضايا التي أعالجها رفع الابن البالغ من العمر ١٢ سنة دعوى على والده يطالبه فيها بالنفقة عليه، وحضر عندي الابن والأب، وسألت الأب عن حالته المادية فقال لي: لا أستطيع أن أصرف على ابني، والتزاماتي المالية كثيرة، فقلت له: كم ابناً عندك؟ فنظر إليّ مستغرباً ثم قال: والله لا أذكر لكنني أعتقد أنهم ما بين ٢٠ - ٢٢ ولداً، فقلت

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

له: وكم امرأة عندك؟ فقال: ثلاث نساء، ففضبت عليه وعلى قراره بالتعدد، وقلت له: ألا تخاف الله؟ ألا تتقي ربك في زوجاتك وأبنائك؟ أنت والله في حقل التعدد حرام. ليس التعدد من أجل تفريغ الشهوة الجنسية ورمي الأولاد في الشوارع، بل من أراد أن يعدد فعليه أن يتحمل تربية أبنائه ومصاريهم وحقوقهم ومسئولياتهم. لكنني شعرت بأنه غير مبالٍ بغضبي وكلامي.. فإله المستعان.

حتى السحر!!

إن موضوع التعدد أو الزوجة الثانية قد ظلم بين معاول هدم كثيرة، منها وسائل الإعلام، وبت مفهوم أن الزواج الثاني خيانة ونقض للعهد، وأنه ضد الوفاء للزوجة الأولى وكفران للعشير وعدم الشكر لها، وبين ممارسات خاطئة وظالمة لا تحترم مشاعر المرأة ونفسياتها كأن يتزوج الرجل في السر على زوجته ثم تكتشف بعد وفاة زوجها أن شخصاً غريباً عنها بدأ يطالب بنصيبه بالإرث وأنه ابن المتوفى، ومنهم من يتزوج جهاراً نهاراً ويهجر الأولى ويهددها بالطلاق، والممارسات من الرجال كثيرة ولكل فعل خاطئ ردة فعل خاطئة، مما حدا ببعض النساء الآن للتعامل بالسحر حيث (يعقدن) على أزواجهن حتى لا يتزوجوا بأخريات، والمشاكل في هذا الباب كبيرة وكثيرة.. ولكن إذا تعامل الإنسان مع قضية التعدد بالمنطق السليم والعدالة المطلقة فإن الأمر سيكون على خلاف ذلك.

يحدثني أحد أصدقائي من مدينة (بلوشستان) وهو من سنّة إيران بأن التعدد عندهم هو الأصل، وأنه لا توجد عندهم المشاكل الزوجية التي يسمع بها عندنا.

شقاء مع واحدة

أنا أعتقد أن الموضوع ليس موضوع تعدد وإنما من وُقِّق للسعادة وأخذ بأسبابها، وعرف كيف يتعامل مع الخلق فهو السعيد، أعرف صديقاً متزوجاً من ثلاث زوجات وهو في غاية السعادة، وأعرف صديقاً آخر متزوجاً بواحدة وهو في شقاء ما بعده شقاء.. مرة أخرى نعود إلى أن الزمان والمكان والحال لها الأثر في اتخاذ القرار والنجاح فيه، فليس من يعدد وهو في أوروبا أو الأمريكتين مثل من يعدد في مصر أو الجزائر أو من يعدد في الخليج،

فالبينة لها أثر والمفهوم السائد عند الناس له أثر، فكيف يتعامل من يريد التعدد مع الواقع الذي يعيشه وحاجاته الشخصية؟

هذا هو المحور الذي ينبغي أن يُراعى في موضوع التعدد والله الموفق. (١)

لماذا الرجل يعدد والمرأة لا تعدد؟

لقد استوقفتني امرأة وقالت لي: لماذا يعدد الرجل والمرأة لا تعدد؟ فقلت لها: ومن قال لك بأن المرأة لا تعدد؟ فاستغربت من سؤالها وشعرت بأنها قد صدمت، ثم تماكنت نفسها وقالت: أفهم من كلامك أنه يمكنني أن أعدد؟

قلت: نعم، قالت: لم يقل أحد قبلك مثل هذا الكلام.

قلت: بل إن كل الفقهاء يقولون ذلك؟ قالت: ومازلت مصمماً على رأيك؟ قلت: نعم.. قالت: كيف ذلك؟

قلت: يحق للزوجة في الشريعة الإسلامية إذا تعلق قلبها عاطفياً برجل آخر وأرادت الزواج منه أن تطلب من زوجها الفراق، أو أن تلجأ إلى القضاء فيفترق بينهما بالطرق التي نظمتها الشريعة في الفراق.

وقالت وهل هذا الكلام صحيح؟ قلت: نعم.. قالت: ولكنني أريد أن أعدد في الوقت نفسه بأكثر من رجل، قلت: فإذا حملت وولدت فالولد يكون ابن أي زوج منهم؟ سكتت برهة ثم قالت: والله كلامك صحيح، قلت لها: لأن عمود النسب عند الرجل فلذلك لو أجازت الشريعة تعدد الأزواج لأصبح عندنا فوضى في النسب، قالت: ولكن نستطيع أن نسمح بالتعدد لبعض النساء اللواتي بلغن سن اليأس أو عملن عملية ربط عنق الرحم، قلت: كلامك صحيح، ولكن كيف سنطبق نظام القوامة إذا كان للمرأة زوجان أو ثلاثة، قالت: يا أبو محمد.. كلما فتحت عليك باباً أغلقته عليّ.

قلت: يا أختي الفاضلة..

إن الله تعالى «عادل» فلا يظلم الناس شيئاً، وعندما شرع لنا الدين فإن في تشريعه

(١) مقال نشرته في مجلة الفرحة عدد (٨) إبريل ١٩٩٧ ص ٢٨ - ٢٩

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

العدالة المطلقة ولو كان في تعدد الأزواج عدالة لشرعه الله تعالى، ومع ذلك فقد أعطى للمرأة أكثر من طريقة للتعامل مع نظام التعدد منها:

١ - أن الزواج في الإسلام لا يتم بالإكراه، وتستطيع أي كارهة للتعدد أن ترفضه بأن تطلب الطلاق، فهو حق لها، فالإسلام لم يجبرها على التعدد.
٢ - كما أن الإسلام أعطى للمرأة التي تخشى من زوجها أن يعدد عليها أن تشتترط في العقد ألا يكون لها ضرة.

٣ - وفي حالة وجود علاقة عاطفية محرمة بين المرأة ورجل آخر غير زوجها لها أن تطلب الفراق ولورفض زوجها، فستجد في القضاء الشرعي كل تأييد (وهذا ما سبق ذكره).
٤ - ثم إن تشريع التعدد وجد حاجة المجتمعات والأفراد إليه، وهناك ضوابط وشروط للتعدد، فالباب ليس مفتوحاً على مصراعيه ومن تزوج ثانية فعليه بالعدل ويلزم بالنفقة وتأمين السكن وغير ذلك من الحقوق الشرعية.

قالت: والله كلامك جميل ولكن: ما ذنب الأولى إذا تزوج عليها زوجها بثانية ولماذا لم يراع الإسلام مشاعرها وعواطفها؟ قلت: وما ذنب الثانية من عدم زواجها، أليس جميلاً أن يراعي الإسلام كذلك حاجاتها ومشاعرها وعواطفها؟ ثم أين ما تذكرين من أسئلة والواقع الغربي الاجتماعي وما فيه من فوضى وتعدد في الفساد من غير ضوابط ولا شروط ولا حقوق حتى وصل أبناء السفاح إلى ٦٠٪ في بعض البلدان الغربية، ويدخل يومياً في نادي مرضى الإيدز ٧٥٠٠ مصاب جديد من جراء الفوضى الجنسية.

قالت: ولكني لم أقل بأن النظام الغربي الاجتماعي هو الصحيح.
قلت: إنك تنتقدين نظام التعدد في الإسلام وقد حدثتك عنه وعن النظام الاجتماعي في الغرب، فهاتان رؤيتان فإذا كان عندك رؤية لعلاج المشكلات الاجتماعية فقدميها حتى نناقشها ونرى هل مشروعك أفضل أم المشروع الإسلامي أم الغربي؟! فإن من قواعد النقد أن يقدم الناقد البديل. قالت: ليس عندي حل أو بديل، ولكنني ناقدة.

قلت: إذن ما رأيك في هذه الأرقام؟

في أمريكا كل ذكر يقابله ٤ إناث، وكذلك في السويد وروسيا فكل ذكر يقابله ٤ إناث

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

وكذلك في أفريقيا وفي الخليج كل ذكر يقابله ٢ إناث، وبعض مناطق الصين كل ذكر يقابله ١٠ إناث، وفي اليابان كل ذكر يقابله ٦ إناث، فما هي رؤيتك؟

ثم قلت: إن ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية طلبت من الأزهر في مصر نظام التعدد حتى تعمل به، ولكن الفاتيكان وقف في وجهها في هذا المشروع (١) فما رأيك؟
قالت: لا أعرف ماذا أقول لك.. ولكني أستطيع أن أقول لك بأن النظام الإسلامي في التعدد جيد وعين العدالة ولكني لا أرضاه لنفسي.

قلت: هذا ما كان ينبغي أن تقوليه في بداية اللقاء، فلا تحكمين على النظام من انطباع شخصي يراود نفسك وهواها، وأضيف لك أنه حتى هذا الشعور الذي بداخلك كفلك به الإسلام، وأعطاك حريتك فيه كما ذكرنا.

كيف تعامل أبناء زوجاتك؟

من المناسب ونحن نتحدث عن العدل بين الزوجات أن نتحدث كذلك عن أبناء الزوجات وذلك لما شاهده من تفاضل بين الأبناء، وخصوصاً تقديم أبناء الزوجة الثانية على أبناء الزوجة الأولى، بل إنني أعرف عائلة كويتية بعد أن تزوج الأب قاطعه الأبناء كلهم، وكان ذلك بتوجيهات من الأم حتى كان الأب ينام في الليلة الثانية معها، وأما في ليلة الأولى فينام في المسجد، واستمر على هذا الحال أكثر من ثلاثة أشهر، حتى قبل ابنه الكبير أن يتحدث معه. وأحياناً يتزوج الرجل ثانية فيكثر العطايا والهدايا لأبناء الثانية، ويقتر على أبناء الأولى، وهذا ليس من العدل، فقد روى البيهقي عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً كان جالساً مع النبي ﷺ فجاء بُنيُّ له، فقبله، ثم جلسه في حجره، ثم جاءت بُنيّة فأخذها، فأجلسها إلى جنبه، فقال النبي ﷺ «فما عدلت بينهما» ونلاحظ هنا العدل حتى في القبلة، فكيف بالتعامل والمصروف والعطايا والهدايا.

(١) إن نظام التعدد ليس أمراً جديداً فقد كانت بعض المناطق في جنوب وشمال الهند تقوم على نظام وحدة الزوجة وتعدد الأزواج، أما في الشعوب البدائية بهضبة التبت وجبال هماليا في الهند وأستراليا فكان عندهم تعدد الأزواج والزوجات، أما الصينيون والهنود والمصريون والعرب القدماء فكان عندهم تعدد الزوجات من غير حد، فلما جاء الإسلام وضع ضوابط وشروطاً للتعدد.

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

ولكن هل يجوز التفضيل بين الأبناء؟

يرى الإمام أحمد - رحمه الله - حرمة التفضيل بين الأولاد، ما لم يكن هناك داع، أو مقتض للتفضيل، فإنه لا مانع منه، قال في «المغنى»: فإن خص بعضهم لمعنى يقتضي تخصيصه مثل اختصاصه بحاجة أو زمان أو عمى أو كثرة عائلة، أو اشتغاله بالعلم، ونحو ذلك من الفضائل، أو صرف عطية عن بعض ولده لفسقه أو بدعته، أو لكونه يستعين بما يأخذه على معصية الله، أو ينفقه فيها، فإنه يروي عن أحمد ما يدل على جواز ذلك. (١)

ولكن هذا يقدر بقدره وهو في الحالات الاستثنائية الخاصة، أما ما أشيع في زماننا هذا من تفضيل الذكور على الإناث في العطايا والهدايا، فهذا لا يجوز شرعاً وإنما العدل التام هو المطلوب، وحديث النبي ﷺ في ذلك واضح، فعن حصين بن عامر أنه قال: سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنهما وهو على المنبر يقول: أعطاني أبي عطية، وقالت عمرة بنت رواحة - أم النعمان - لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ، فأتى رسول الله فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله؟

قال: أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟

قال: لا.

قال: «فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» قال: فرجع فرد عطيته». (٢)

فالعدل واجب ومطلوب بين الإخوة والأخوات وأن لا نفرق بين ذكر وأنثى.

وإني أعرف رجلاً في الإمارات يفضل ابنه الذكر على ابنته، وكتب كل ممتلكاته باسم ولده، وهو يملك الملايين، ثم مرت الأيام فأقعده المرض في فراشه فتخلى عنه ولده، وقامت على رعايته ابنته، فمات بعدها حسرة وندامة على ما فعل.

فالتفضيل بين الأبناء يوِّد الكراهية بينهم، ويوجد العداوة والحقد والحسد وكذلك قطيعة الرحم، فإذا كبروا لا يتزاورون ويتقاطعون.

ولهذا حرص سلفنا الصالح على العدل بين الأبناء، حتى إن عمر بن عبدالعزيز - رحمه

(١) المغنى / ج ٥ / ٦٠٤ (لابن قدامة)

(٢) المغنى / ج ٥ / ٦٠٤ (لابن قدامة)

الله - ضمّ ابناً له، وكان يحبه، فقال: يا فلان! والله إنني لأحبك، وما استطع أن أوثرك على أخيك بلقمة» (١)

أفكار تربوية تغرس في أبنائنا خلق العدل

- ١ - تعرفهم بمعنى العدل وضده الظلم.
- ٢ - يحرص الوالدان أن يكونا قدوة في تطبيق العدل أمامهما. (٢)
- ٣ - تعريف الأبناء بمواقف النبي ﷺ في تحقيق العدالة.
- ٤ - التركيز على تدريس الأبناء سيرة الفاروق وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما، لأنهما اشتهرا في تحقيق العدالة ولديهما قصص كثيرة.
- ٥ - الاستفادة من الأحداث اليومية والأخبار التي تنشر في الصحافة أو في التلفزيون بالتعليق عليها، وما أكثر الاعتداءات التي فيها الظلم الواضح وخاصة على الإسلام والمسلمين.
- ٦ - توسيع معنى العدل بشموله العلاقات بين الحاكم والمحكوم وبين الوالدين والأبناء، وبين الإخوة والأخوات، وبين الأصدقاء والأحباب، وعلاقة الإنسان بالأرض وعلاقته بالنبات والحيوانات.
- ٧ - ذكر قصص نهايات الظالمين والظلمة، مثل نهاية فرعون والنمرود وأبي جهل وأبي لهب وهتلر، ونهايات الأمم الظالمة مثل قوم لوط وقوم نوح، وهناك قصص واقعية ومعاصرة كثيرة في نهايات الظلمة.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال ج ١ / ١٧٦ وقال محقق الكتاب: إسناده مقبول.

(٢) أعرف أما غنية كلما أرادت أن تعطي أحد أبنائها عطية جمعت كل أبنائها واستأذنتهم بالعطية، ثم تعطي أحد أبنائها المحتاج.

عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها

عائشة بنت أبي بكر، عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر
بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي.

الوقفات الأسرية مع عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها

(١) تعليم الزوجة:

- تعليم زوجتك واجب عليك.
- اتركها جاهلة أفضل.
- رجال طلبوا العلم على أيدي النساء.
- عائلة علم بسبب والدهم.
- طرائف ومواقف في العلم العائلي وطلبه.
- لا تهمل نفسك بعد الزواج.
- أفكار تساعدك في تعليم الزوجة والأبناء.

(٢) الحب الزوجي:

- هل الحب قبل الزواج حرام؟
- لماذا ينتهي زواج الفئانات بالطلاق؟
- قصة حب.
- عيد الحب.
- أثر الحب في تغير النفوس!
- أفكار تساعدك في تربية أبنائك على الحب.

(٣) الترفيه العائلي:

- لماذا يمرح مع أصحابه ويعبس لزوجته؟
- مدمن مخدرات بسبب عدم الترفيه.
- عاقب اللعبة لا اللاعب.
- عائلة كثيرة الضحك والترفيه.
- أفكار تساعدك لتحقيق الترفيه العائلي.

(٤) حسن الاستماع:

- انتحروطن أن زوجته لا تسمعه.
- كيف نستمع لأبنائنا عندما يتحدثون؟
- شتمت ابنها ٧٢ مرة في ٢٥ دقيقة
- من يسمع أكثر الصغار أم الكبار؟

السيرة الذاتية

- هي عائشة بنت أبي بكر الصديق خليفة رسول الله القرشية المكية.
- أمها: أم رومان بنت عامر بن عويمر.
- أحب النساء إلى الحبيب محمد ﷺ وابنة أحب الرجال إليه.
- خطبها النبي ﷺ وهي بنت ٦ سنوات ودخل عليها وهي بنت ٩ سنوات.
- برأها الله تعالى من فوق سبع سماوات في حادثة الإفك.
- توفى النبي وهو بين سحرها ونحرها ودفن في بيتها، وكان عمرها ١٨ سنة.
- توفيت في ١٧ رمضان سنة سبع وخمسين هجرية وعمرها ٦٦ سنة.
- جاء جبريل عليه السلام إلى النبي بصورتها وأخبره بأنها زوجته.
- كان الناس يهدون النبي في يومها، ونزل القرآن على النبي في بيتها.
- لم يتزوج بكاراً غيرها عليه السلام.
- من بركتها أن وسع الله على الأمة برخصة التيمم.
- كانت من مراجع كبار الصحابة ومشايخهم في العلم، وكانت من المكثرات في رواية الحديث.

أولاً: تعليم الزوجة

من أين استخرجنا هذا المفهوم؟

روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ، وأبي بكر، وعمر بن الخطاب، وفاطمة الزهراء، وسعد بن أبي وقاص، وحمزة بن عمرو الأسلمي، وجدامة بنت وهب رضي الله عنهم (٢٢١٠) أحاديث.

وقد ألف «الزركشي» كتاباً قائماً بذاته، بين فيه الأمور التي استدركتها عائشة رضي الله عنها، على أعلام الصحابة» (١)

بل إنها عدت من المكثرين في رواية أحاديث رسول الله ﷺ وأنشد فيهم:

سبع من الصحب فوق الألف قد نقلوا

من الحديث عن المختار خير مضر

أبو هريرة سعد جابر أنس

صديقة وابن عباس كذا ابن عمر (٢)

قال الحاكم أبو عبد الله: فحمل عنها ربع الشريعة. (٣)

قال أبو بردة ابن أبي موسى الأشعري عن أبيه رضي الله عنه: «ما أشكل علينا أصحاب محمد أمر قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً».

وقال مسروق: رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكابر يسألونها عن الفرائض.

قال عروة بن الزبير (ابن أختها): ما رأيت أحداً أعلم بالقرآن ولا بفرائضه، ولا بحلال، ولا بحرام، ولا بشعر، ولا بحديث العرب، ولا بنسب من عائشة.

وقال ابن عبد البر: «إن عائشة كانت وحيدة عصرها في ثلاثة علوم، علم الفقه، وعلم الطب، وعلم الشعر». (٤)

(١) عناية النساء بالحديث / ٥٣ (أبي عبيدة آل سلمان).

(٢) الإجابة / ١٢٣ للزركشي.

(٣) الإجابة / ٥٩ للزركشي.

(٤) عناية النساء بالحديث / ٥٤ (أبي عبيدة آل سلمان).

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

وإني أتساءل بعد ذكر هذه الشهادات والتزكيات من أين لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها هذا العلم كله؟! وقد خرجت من بيت أبيها إلى بيت زوجها الحبيب محمد ﷺ وعمرها تسع سنين، ولم تدخل مدرسة نظامية، ولم يكن لديها مكتبة تزخر بالمراجع أو كمبيوتر تدخل فيه إلى مواقع المعرفة عبر شبكة الإنترنت.

إنه زوجها ﷺ كان حريصاً على تعليمها القرآن والحديث والفقهاء كما أنها تعلمت الشعر والأنساب من أبيها.. ومن طرائف ما يذكر من الشعر الذي حفظته عن أبيها أنها رأت النبي ﷺ يوماً يصلح نعله في يوم قائظ (١)، فتتدى جبينه وتحدر العرق على خده، وهي تلحظه من قريب وكأن لها وجدأ عليه فسألها: مالك بُهت؟ فقالت: لو رآك «أبو كبير الهذلي» يعلم أنك أحق بقوله. فسألها: أي قوله؟ فأجابته: حين يقول:

ومبراً من كل غير حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل
وإذا نظرت إليّ أسره وجهه برقت بروق العارض المتلهل

فقام النبي إليها يقبل ما بين عينيها، ويقول لها: سررتي يا عائشة سرّك الله. (٢)

أ - تعليم زوجتك واجب عليك

إن تعليم الزوجة ليس أمراً مستحباً أو مباحاً في الشريعة الإسلامية، بل هو واجب وهذا ما نص عليه الألويسي عند تفسير قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (٣).

قال: واستدل بها على أنه يجب على الرجل تعلم ما يجب من الفرائض وتعليمه لهؤلاء، وأدخل بعضهم الأولاد في الأنفس لأن الولد بعض من أبيه.

بل إن المتتبع لسيرة النبي ﷺ يرى أنه كان يخصص يوماً للنساء ويعلمهن ويوجههن إلى ما يحتجن إليه، وأنه عليه السلام أمر الحِيض بالخروج لحضور خطبة العيدين، حتى قالت له

(١) قائظ: شديد الحرارة.

(٢) عبقرية الصديق / ١٤٧ (العقاد).

(٣) سورة التحريم آية ٦.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

إحداهن وهي أم عطية الأنصارية كما جاء في الصحيحين: إحدانا لا يكون لها جلباب؟ قال: لتلبسها أختها من جلبابها».

فالإسلام حث على تعليم المرأة، ومن يكون مسؤولاً عن المرأة يكون هو المسؤول عن تعليمها وتتميتها، بل كانت العروس في السابق يوضع لها من ضمن جهازها الكتب النافعة، كما ذكر الإمام الذهبي أن البكر كان في جهازها عند زفافها نسخة من كتاب «مختصر المزنى»^(١) وهو كتاب شرعي مفيد..

فتعليم الزوجة واجب على الزوج حتى يتحقق الانسجام بينهما أكثر، وأذكر أنني عشت مشكلة زوجية مع رجل مثقف ودكتور، وكان يسعى لتنمية نفسه وثقافتها، بينما كان يهمل زوجته وتعليمها، ولما انتهى من دراسته العليا وبعد مرور عشر سنوات على زواجه، شعر بأن زوجته لا تتاسبه فكراً ولا ينسجم معها ثقافياً، فتزوج ثانية تحمل شهادة الدكتوراة لكي يجد نفسه معها، فعاش في حَيْصٍ بَيْصٍ (٢)، فلم يستمتع بثقافة الثانية ولم يستقر مع الأولى، فطلق الزوجتين.

وأعرف زوجة حصلت على شهادة الثانوية، وعندما تجلس تتحدث معها تستغرب من منطقتها وثقافتها وعلمها، ولديها ستة من الأبناء قد أحسنت تربيتهم، ولكنك إذا بحثت عن السبب وجدت أن لزوجها المثقف دوراً كبيراً في تعليمها وتنمية ثقافتها من خلال الحوار العائلي اليومي.

ب - اتركها جاهلة أفضل

استغربت سماع هذه الجملة أكثر من مرة بعد أن اجتمعت مع بعض الرجال وتداولوا معي في برنامج «البيوت السعيدة»، أو يناقشونني في مواضيع مجلة «الفرحة الزوجية» فيقولون لي: إنك تسعى لتبصير زوجاتنا وتعليمهن، ونحن لا نوافقك على ذلك. وكنت أسمع من بعضهم جملة «اتركها جاهلة أفضل» ولا تفتح علينا أبواباً مغلقة.

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٤ / ٢٣٣ (الذهبي).

(٢) عبارة تُقال للدلالة على الاضطراب والحيرة.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

إن هذا المنطق ليس بجديد بل كان يتبناه بعض الشعراء والحكماء في الماضي، فقد روي عن بعض الحكماء أنه رأى امرأة تتعلم الكتابة، فقال: أفعى تُسقى سماً، وأنشدوا الآتي:

ما لِلنِّسَاءِ وَلِلْكِتَابَةِ وَالْعَمَالَةِ وَالْخِطَابَةِ
هذا لنا ولهنّ منّا أن يبيتن على جنابه

ومثله ما قاله المنفلوطي:

يَا قَوْمَ لِمَ تُخْلَقُ بِنَاتُ الْوَرَى
لِلدَّرْسِ وَالطَّرْسِ وَقَالَ وَقِيلِ
لَنَا عُلُومٌ وَلَهَا غَيْرُهَا
فَعَلَّمُوهَا كَيْفَ تَشْرُ الْغَسِيلِ
وَالثَّوْبُ وَالْإِبْرَةُ فِي كَفِّهَا
طرس عليه كلُّ خطٍّ جميل

بل وكان هذا هو المنطق في دول أوروبا إلى عهد قريب، فقد أصدر البرلمان الإنجليزي قراراً في عهد هنري الثامن (ملك إنجلترا) يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب العهد الجديد، أي يحرم عليها قراءة الأناجيل، وكتب المسيح.

فأين هذا الفكر والمنطق والرؤية من واقع رسول الله ﷺ وأصحابه، وقد حفظ أول مصحف مكتوب في التاريخ في يد امرأة، وهي حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

كما وأمر النبي ﷺ «الشفاء بنت عبد الله» بتعليم الكتابة لحفصة.

أما منطق «اتركها جاهلة أفضل» فهو منطق يخالف الشرع والعقل واحترام الإنسان وكرامته، فقد فضل الله الإنسان على الحيوان بالعلم والبيان.

وما زال بعض الناس يتعامل مع المرأة أشد من ذلك بحرمانها من حقوقها الأخرى.

ولعل القارئ يستغرب أن البرلمان الاسكتلندي في سنة ١٥٦٧م أصدر قراراً بأن المرأة لا يجوز أن تمنح أي سلطة على أي شيء من الأشياء، وكان الرجال في بريطانيا يبيعون زوجاتهم إلى أن صدر قانون عام ١٩٣٠م منذ سبعين سنة يحرم ذلك.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

إن التعامل مع المرأة أزمة سواء في الشرق أو في الغرب، ولكن المرأة الغربية نالت بعض حقوقها من خلال الثورات والمظاهرات، والإسلام أعطى المرأة كافة حقوقها من غير مظاهرة واحدة.

ج - رجال طلبوا العلم على أيدي النساء

إن التاريخ يذكر لنا عاملات جليلات من النساء وفقهيات وأديبات منهن:

سكينة بنت الحسين.

ونفيسة من نسل الحسن.

وزينب طيبة بنتي أود في زمن بني أمية.

وذكر ابن عساكر أن عدد شيوخه من النساء كان بضعاً وثمانين امرأة، وكريمة المروزية كانت من شيوخ الإمام البخاري.

وأم الحسن بنت القاضي أحمد بن عبد الله الطنجالي اشتهرت بالشعر وحفظ القرآن والطب.

ويكفي القارئ أن يرجع إلى كتاب «أعلام النساء» ليرى الثروة العظيمة في مكتبتنا من إبداعات النساء وتميزهن في العلوم.

ولكي يكون حديثنا دقيقاً أكثر أردت أن أبين للقارئ شيوخ عالمين جليلين من علماء الأمة، وهما الإمام الحافظ «المنذري» الراوي المعروف، والإمام العلامة «ابن القيم» رحمهما الله تعالى، فقد كان من بين شيوخهما النساء، وطلبا العلم على أيديهما، ونستطيع أن نتعرف عليهم من خلال الجدول المبين والذي فيه اسم البلد الذي سافر إليه لطلب العلم، والمرأة الفقيهة التي التقى بها ليطلب على يديها العلم.

الحافظ المنذري (المتوفى سنة ٦٥٦ هـ)

اسم الشیخة	البلد
صفاء العیش عبدالله الأشرفیة الخمریة (متوفاة ٦٢٧ هـ) أم حسن غفیبة بنت عنان السعدیة (متوفاة ٦٢٥ هـ) أم فضل کریمة بنت الحق الشافیة (متوفاة ٦٤١ هـ) أم مفتوح بنت إبراهیم الشامیة المصریة (متوفاة ٦٢٥ هـ) أم أبی العباس عزیزة بنت عبدالمملک القرشیة (متوفاة ٦٣٤ هـ) أم محمد خدیجة بنت المفضل المقدسیة (متوفاة ٦١٨ هـ) خدیجة بنت الحافظ أبی الطاهر السلفی (متوفاة ٦٢٢ هـ)	مصر (القاهرة) الاسکندریة
نعمة بنت علی یحیی الطـراح (٦٠٤ هـ) کریمة عبدالوهاب علی الأسدیة (٦٤١ هـ)	دمشق
أم الحیة فرحة قراطاش العونی (٥٩٨ هـ) عاتکه بنت الحافظ أبی العلاء الهمدانیة (٦٠٩ هـ) أم عبدالرحمن یحیی بن علی الهمدانی (٦١١ هـ) حفصة أحمد البغدادیة (٦١٢ هـ) لامعة أبی بکر المبارک البغدادی (٦١٣ هـ)	بغداد
أم هانئ عذیفة أحمد الفارفانیة (٦٠٦ هـ) عائشة معمر الفاخر الاصبهانیة (٦٠٧ هـ) عین الشمس أحمد الثقفی (٦١٠ هـ)	أصبهان
أم المؤید زینب عبدالرحمن الجرجانی (٦١٥ هـ)	نیسابور
فاطمة الحسن أحمد الهمدانی (٦١٧ هـ)	همدان
زهراء عبدالقادر الرحفاوی (٦٢٢ هـ) (١)	حران

الإمام ابن القيم (المتوفى سنة ٦٥٦ هـ)

اسم الشخنة	البلد
ست الكتبة نعمة علي الطراح البغدادي (متوفاة ٦٠٤ هـ) كريمة عبدالوهاب القرشية (متوفاة ٦٤١ هـ)	دمشق
أم عبدالكريم فاطمة سعد الأنصاري (متوفاة ٦٠٠ هـ)	القاهرة
خديجة أحمد محمد الأصبهاني (متوفاة ٦٢٣ هـ)	الاسكندرية
فرحة قراطاش العوني (متوفاة ٥٩٨ هـ) عائكة الحسن الهمدانية (متوفاة ٦١٨ هـ) أم عبدالرحمن يحيى علي البغدادي (متوفاة ٦٢٣ هـ) حفصة أحمد الأزجية (٦٤١ هـ) لامعة أبو بكر الخفاف	بغداد
عفيفة أحمد الفارفانية (٥٩٨ هـ)	أصبهان
زينب عبدالرحمن النيسابوري (٦٠٩ هـ)	نيسابور
فاطمة الحسن الهمداني (٦١١ هـ) (١)	همدان

(١) عناية النساء بالحديث / ٤٥ (أبي عبيدة آل سلمان).

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

وكذلك كان «ابن الجوزي» رحمه الله تعالى فقد ذكر في مشيخته أنه سمع من ثلاث نسوة، وأورد بسنده ثلاثة أحاديث عن كل واحدة منهن حديثاً:

الأولى: فاطمة بنت محمد بن الحسين بن فضلوويه الرازي البزاز.

قال عنها: كانت شيختنا فاطمة واعظة متعبدة، لها رباط تجتمع فيه الزاهدات، سمعت أبا جعفر بن المسلمة، وأبا بكر الخطيب وغيرهما، وتوفيت في ربيع الأول من سنة إحدى وعشرين وخمسة مئة.

الثانية: فاطمة بنت أبي حكيم عبدالله بن إبراهيم الخيري.

قال عنها: كانت شيختنا هذه خالة شيخنا أبي الفضل بن ناصر، وكانت خيرة، وتوفيت في رجب سنة أربع وثلاثين وخمس مئة.

والأخيرة: شهدة بنت أحمد بن الفرج بن عمر الإبري، قال: «سمعت شهدة من جعفر بن السراج وطراد وغيرهما، وكان لها خط حسن، وعاشت مخالطة لدار الخلافة، وكان لها بر ومعروف وقاربت المئة، وتوفيت في محرم سنة أربع وسبعين وخمس مئة، ودفنت بمقبرة باب بيرز». (١)

فالنساء تميزن في التاريخ الإسلامي بالعلم وتعليم الناس، حتى قال الإمام الشوكاني مادحاً النساء العالمات والمحدثات: إنه لم ينقل عن أحد من العلماء بأنه رد خبر امرأة لكونها امرأة، فكم من سنة قد تلقتها الأمة بالقبول من امرأة واحدة من الصحابة، وهذا لا ينكره من له أدنى نصيب من علم السنة» (٢)

بل إن العجب في الأمر أن الإمام الذهبي رحمه الله كان يتحسر على عدم لقياء العالمة الجليلة «أم محمد سيدة بنت موسى بن عثمان المارانية المصرية (المتوفاة سنة ٦٩٥ هـ) قال رحمه الله تعالى في ترجمتها: «وقد رحلت إلى لقيائها، فماتت وأنا بفلسطين في رجب سنة خمس وتسعين وست مئة»، وقال أيضاً: «كنت أتلهف على لقيائها،

(١) عناية النساء بالحديث / ٣٨ (أبي عبيدة آل سلمان).

(٢) نيل الأوطار ج ٨ / ٢٢ (الشوكاني).

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

ورحلت إلى مصر وعلمي أنها باقية، فدخلت فوجدتها قد ماتت من عشرة أيام، توفيت يوم الجمعة سادس رجب وأنا بوادي فحمة». (١)

د - عائلة علم بسبب الوالد

عائلة ابن حجر العسقلاني فيها كثير من طالبات علم الحديث النبوي.

الحافظ ابن حجر العسقلاني خاتمة أمراء المؤمنين في الحديث، اسم مشهور عند من له أدنى عناية بالحديث النبوي، وكتابه «فتح الباري» من الكتب النافعة المانعة الجامعة، ويعدّ - بحق - شرحاً للكتب الستة (الصحيحين، والسنن الأربعة)، وقد قيل فيه: «لا هجرة بعد الفتح».

هذا الإمام العلامة كانت له عناية فائقة بتدريس زوجاته وبناته الحديث النبوي، وبرز في عائلته غير واحدة أتقنت هذا العلم واشتهرت بالرواية، وإليك بيان ذلك بالتفصيل:

● أخته

أخته ست الركب بنت علي بن محمد بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٧٩٨ هـ) كانت قارئة كاتبة، أعجوبة في الذكاء، أتى عليها، قال: «وكانت أمي بعد أمي»، وذكر شيوخها وإجازاتها من مكة ودمشق وبعليك ومصر، وقال: «تعلمت الخط، وحفظت الكثير من القرآن، وأكثرت من مطالعة الكتب، فمهرت في ذلك جداً»، وكان لها أثر حسن عليه، قال: «وكانت بي برة رفيقة محسنة»، وقد رثاها بقصيدة عند موتها.

وقد ذكر السخاوي تحصيلها وإجازاتها وزواجها وأولادها، وأفاد أن لها ابنة اسمها موز (ت ٨٥٠ هـ)، أخذت عن خالها ابن حجر، وأخذ عنها السخاوي، ولكنها لم تعمّر، وماتت في حياة خالها وصلى عليها رحمها الله تعالى.

● زوجته

زوجته أنس ابنة القاضي كريم الدين عبد الكريم بن عبد العزيز ناظر الجيش

كان الحافظ ابن حجر حريصاً أشد الحرص على نشر العلم بين أهل بيته وأقاربه كحرصه على نشر العلم بين الناس، ومن بين الذين حرص عليهم زوجته أنس هذه، فقد أسمعها من شيخه حافظ العصر عبدالرحيم العراقي الحديث المسلسل بالأولية، وكذا أسمعها إياه من

(١) عناية النساء بالحديث / ٤٤ (أبي عبيدة آل سلمان).

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

لفظ العلامة ابن الكويك، وأجاز لها باستدعاء عدد من الحفاظ، منهم: أبو الخير ابن الحافظ العلائي، وأبو هريرة عبدالرحمن ابن الحافظ الذهبي، ولم تكن الاستدعاءات لها لتقتصر على المصريين فقط، بل من الشاميين والمكيين واليمنيين. وقد لمع نجم أنس هذه في علم الرواية في حياة زوجها، وكان في بعض الأحيان يداعبها بقوله: «قد صرتِ شيخاً»، وكان زوجها يكن لها الاحترام الكبير، كما كانت هي عظمة الرعاية له.

وقد حدثت بحضور زوجها، وقرأ عليها الفضلاء، وكانت تحتفل بذلك وتكرم الحاضرين، وقد خرج لها السخاوي أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً وقرأها عليها بحضور زوجها، وكانت كثيرة الإمداد للعلامة إبراهيم بن خضر ابن أحمد العثماني، (ت ٨٥٢ هـ)، العلامة المتفنن، الذي كان يقرأ لها «صحيح البخاري» في رجب وشعبان من كل سنة، وتحتفل يوم الختم بأنواع من الحلوى والفاكهة، ويهرع الصغار والكبار إلى حضور ذلك اليوم قبيل رمضان بين يدي زوجها الحافظ، ولما مات الحافظ ابن خضر، قرأ لها سبوطها يوسف ابن شاهين ولم تضبط لها هفوة ولا زلة.

• بناته

ابنته زين خاتون (ت ٨٣٣ هـ)

اعتنى بها أبوها واستجاز لها في سنة ولادتها (٨٠٢ هـ) وما بعدها، وأسمعها على شيوخه كالعراقي والهيثمي، وأحضرها على ابن خطيب دارياً، وتعلمت القراءة والكتابة، وولدت يوسف بن شاهين المعروف بـ (سبط ابن حجر) الذي كانت له عناية بكتب جده، وكتب من أماليه، وصنف ونسخ كتب ابن حجر.

ولم تظهر لابنته زين خاتون رواية، ولم تشتهر بذلك لوفاتها شابة سنة (٨٢٢ هـ) عن نحو ثلاثين سنة وهي حامل، بالطاعون رحمها الله تعالى.

• ابنته فرحة (ت ٨٢٨ هـ)

استجاز لها أبوها مع أمها واعتنى بها، وأسمعها من مشايخه.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

• ابنتاه فاطمة وعالية (كلاهما ت ٨١٩ هـ) بالطاعون.

استجاز لهما أبوهما ابن حجر من جماعة.

• ابنته رابعة (ت ٨٣٢ هـ)

أسمعها والدها على المراغي بمكة سنة ٨١٥ هـ، وأجاز لها جمع من الشاميين والمصريين. (١١)

وبالمناسبة فإن ابن حجر رحمه الله سمي بذلك لأنه كان يطلب العلم ويكتبه على حجر من شدة فقره، ولم يكن لديه وسيلة أخرى يدون عليها العلم فهذا نموذج لعائلة متميزة علمياً، كان الأب العالم على رغم كثرة انشغاله إلا أنه يهتم بتعليم زوجته وأخته وبناته.

هـ - طرائف ومواقف في العلم العائلي وطلبه

١ - زوجة تمدح كتاب زوجها

في «مسالك الهداية» لأبي سالم العياشي: أنشدني بعض الإخوان بالقاهرة لبنت الباعوني زوجة القسطلاني في كتابه «المواهب»:

كتاب المواهب ما مثله

كتاب جليل وكم قد جمع

إذا قال غُمر له مشبه

يقول الورى منك لا يستمع (٢)

٢ - كان المهر شرح كتاب أبيها

أورد العلماء في ترجمة أبي بكر الكاساني قصة حسنة تتبئ عن نبوغ بعض النساء في العلم، قالوا:

تفقه عليه الإمام أبو بكر السمرقندي وقرأ عليه معظم تصانيفه مثل «التحفة في الفقه» وغيرهما من كتب الأصول، وزوجه شيخه المذكور ابنته فاطمة الفقيهة العاملة، قيل: إن

(١) عناية النساء بالحديث ١٢٦ / ١٢٨ (أبي عبيدة آل سلمان).

(٢) فهرس الفهارس والإثبات ج ٢ / ٩٦٨ ترجمة (ابن الباعوني).

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

سبب تزويجه بابنته أنها كانت حسناء النساء، وكانت حفظت «التحفة» من تصنيف والدها، طلبها جماعة من ملوك بلاد الروم، فامتتع والدها، فجاء الكاساني ولزم والدها واشتغل بطلب العلم عليه، وبرع في علمي الأصول والفروع، وصنف «كتاب البدائع» وهو شرح «التحفة» وعرضه على شيخه، فازداد فرحاً به وزوجه ابنته وجعل مهرها منه ذلك، فقال الفقهاء في عصره: «شرح تحفته فزوجه ابنته»، وجعل مهرها منه في ذلك. (١)

٣ - بنات متميزات

ألا ترى إلى بنت سعيد بن المسيب رضي الله عنهما لما أن دخل بها زوجها وكان أحد طلبة والدها، فلما أن أصبح، أخذ رداءه يريد أن يخرج، فقالت له زوجته: إلى أين تريد؟ فقال: إلى مجلس سعيد أتعلم العلم، فقالت له: اجلس أعلمك علم سعيد.

وكذلك ما روي عن الإمام مالك رحمه الله حين كان يقرأ عليه «الموطأ» فإن لحن القارئ في حرف أو زاد أو نقص تدق ابنته الباب، فيقول أبوها للقارئ: ارجع فالغلط معك، فيرجع القارئ فيجد الغلط.

وكذلك ما حكى عن أشهب أنه كان في المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وأنه اشترى خضرة من جارية وكانوا لا يبيعون الخضرة إلا بالخبز، فقال لها: إذا كان عشية حين يأتينا الخبز، فأتنا نعطيك الثمن، فقالت: ذلك لا يجوز، فقال لها: ولم؟ قالت: لأنه بيع طعام بطعام غير يد بيد، فسأل عن الجارية، فقيل له إنها جارية بنت مالك بن أنس رحمه الله تعالى.

٤ - أب يدعو الله أن يرزق ابنته زوجاً عالماً

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى في ترجمة القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي البغدادي البزاز الأنصاري (ت سنة ٥٢٥ ببغداد): قال الشيخ الصالح أبو القاسم الخراز الصوفي البغدادي: سمعت القاضي أبا بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزاز الأنصاري يقول:

(١) طبقات الفقهاء / ١٢٠ (طاش زاده)

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

كنت مجاوراً بمكة حرسها الله تعالى فأصابني يوماً من الأيام جوع شديد ولم أجد شيئاً أدفع به عني الجوع، فوجدت كيساً من إبريسم مشدوداً بشرابة من إبريسم أيضاً، فأخذته وجئت به إلى بيتي، فحللته فوجدت فيه عقداً من لؤلؤ لم أر مثله، فخرجت فإذا بشيخ ينادي عليه، ومعه خرقة فيها خمسمئة دينار وهو يقول: هذا لمن يرد علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤ، فقلت: أنا محتاج، وأنا جائع، فأخذ هذا الذهب فأنقذ به، وأرد عليه الكيس. فقلت له: تعال إليّ فأخذته وجئت به إلى بيتي، فأعطاني علامة الكيس وعلامة الشربة، وعلامة اللؤلؤ وعدده، والخيط الذي هو مشدود به، فأخرجته ودفعته إليه، فسلم إلي خمسمئة دينار، فما أخذتها، وقلت: يجب علي أن أعيده إليك، ولا آخذ له جزاء، قال لي: لا بد أن تأخذ وألح عليّ كثيراً، فلم أقبل ذلك منه، فتركني ومضى.

وأما ما كان مني، فإني خرجت من مكة وركبت البحر، فانكسر المركب وغرق الناس وهلكت أموالهم، وسلمت أنا على قطعة من المركب، فبقيت مدة في البحر لا أدري أين أذهب، فوصلت إلى جزيرة فيها قوم، فقعدت في بعض المساجد، فسمعوني أقرأ، فلم يبق في تلك الجزيرة أحد إلا جاء إليّ وقال: علمني القرآن، فحصل لي من أولئك القوم شيء كثير من المال.

ثم إنني رأيت في ذلك المسجد أوراقاً من مصحف، فأخذتها أقرأ فيها، فقالوا لي: تحسن تكتب؟ فقلت: نعم، فقالوا: علمنا الخط، فجاءوا بأولادهم من الصبيان والشباب، فكنيت أعلمهم، فحصل لي أيضاً من ذلك شيء كثير، فقالوا لي بعد ذلك: عندنا صبية يتيمة ولها شيء من الدنيا نريد أن تتزوج بها، فامتعت، فقالوا: لا بد والزموني، فأجبتهم إلى ذلك.

فلما زفوها إلى مددت عيني أنظر إليها، فوجدت ذلك العقد بعينه معلقاً في عنقها، فما كان لي حينئذ شغل إلا النظر إليه، فقالوا: يا شيخ! كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد، ولم تنظر إليها، فقصصت عليهم قصة العقد، فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة، فقلت: ما بكم؟ فقالوا: ذلك الشيخ الذي أخذ منك العقد أبو هذه الصبية، وكان يقول: ما وجدت في الدنيا مسلماً إلا هذا الذي رد عليّ هذا العقد، وكان يدعو ويقول: اللهم اجمع بيني وبينه حتى أزوجه بابنتي، والآن قد حصلت، فبقيت معها مدة، وورقت منها بولدين.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

ثم إنها ماتت فورثت العقد أنا وولداي، ثم مات الولدان، فحصل العقد لي، فبعته بمئة ألف دينار، وهذا المال الذي ترونه معي من بقايا ذلك المال. (١)

و - لا تهملني نفسك بعد الزواج

قالت لي وهي تشتكي من زوجها: إنني تفرغت بعد الزواج لخدمته وترتيب منزله وتربية أبنائه وتركت دراستي ومواصلة تعليمي من أجله، ثم أصبح يرد عليّ بعد عمر أفنيته معه بأنه يريد أن يطلقني، لأنني أقل منه ثقافة وعلماً.

قلت لها: ألم تحاولي أن تستثمري وقتك لمتابعة تحصيلك العلمي أو تنوير نفسك ثقافياً وأنت تقومين بالواجبات المنزلية؟

قالت: لا.. لم أفكر بذلك بل ضحيت بعمرتي ووقتي من أجل زوجي وأبنائي.. أقول: بعد هذه الحادثة والتي لم تنته إلى الطلاق، وإنما كانت نهايتها عدم انسجام الزوجين فكرياً بسبب ما هو شائع عندنا في مجتمعاتنا العربية من أن الزوجة بعد زواجها تنقطع عن مواصلة تعليمها وتثقيف نفسها، ويستمر الزوج بحكم علاقاته الخارجية وكثرة أسفاره بزيادة ثقافته وتنوع معارفه، فينظر إلى نفسه بعد خمسة عشر عاماً من الزواج، على أنه أفضل من شريكه وأنها لا تصلح له، لأن كل همها ما يلبس الأولاد وما يأكلون وما هي آخر صرعة للموضة وآخر تصميم للساعات اليدوية والمجوهرات.

وهكذا يبدأ الرجل بالبحث عن شخص آخر يسايره في الثقافة والمعرفة، وقد يكون هذا الشخص صديقاً أو زوجة أخرى أو عشيقاً بالحرمان.

أقول للزوجات: لا تهملني نفسك بعد الزواج ثقافياً وعلمياً، بل إن نموك العلمي من نمو أبنائك وزوجك، وأن تنوع معارفك يجعل الحياة بعينيك متجددة دائماً، وإنني أعرف امرأة في مدينة «جدة» تابعت تحصيلها العلمي بعد زواج آخر ابن من أبنائها ونالت درجة الدكتوراة وعمرها ٥٢ سنة، وهي لم تتوقف عن حضور الندوات والدورات وقراءة الكتب والمجلات منذ زواجها.

(١) ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ١٩٦ (ابن رجب الحنبلي)

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

إن الأوقات البينية لو جمعت ببرنامج علمي مفيد لأثر على شخصية كل إنسان، وقد كتبت «دوروثي كارينجي» عن بعض الشخصيات أصحاب الاختراعات والاكتشافات العالمية، وكان اكتشافهم هذا يتم من خلال استغلال الأوقات البينية ومنهم:

«جون هنتر»، وكان نجاراً.. ثم شرع يدرس «التشريح المقارن» في أوقات فراغه، مخصصاً لنومه أربع ساعات وحسب من الليل، حتى أصبح حجة في هذا الميدان. واستطاع «سيرجون لابوك» أن يقطع من يومه المزدحم بالعمل بوصفه مديراً لأحد المصارف، ساعات يقضيها في دراسة التاريخ حتى أصبح علماً بين المؤرخين. وتعلم «جورج ستيفنسون» الحساب في أوقات نوباته الليلية بصفته مهندساً، ووسعه، مستعيناً بهذا العلم، أن يخترع القاطرة! ودرس «جيمس واظ» الكيمياء والرياضة أثناء اشتغاله بالتجارة، فأمكنه أن يخترع المحرك البخاري» (١)

ثم قالت معلقة بعد طرح هذه النماذج «والله يعلم كم كان يخسر المجتمع الإنساني لو أن هؤلاء الرجال قنعوا بأعمالهم ولم يجدوا في أنفسهم دافعاً للاستزادة من العلم والمعرفة». وأنا أقول: كم من المتزوجات خسرهن المجتمع الإنساني بسبب ضياع أوقاتهم وعدم استغلالها بطلب العلم، حتى ولو لم يكن للزوج دور في تعليم زوجته فينبغي للزوجة أن لا تهمل نفسها.

أفكار تساعدك في تعليم الزوجة والأبناء

- ١- حبيب إليهم العلم والمعرفة والثقافة وبين لهم فوائدها على شخصيتهم ونموها.
- ٢- اعمل مسابقات عائلية ثقافية.
- ٣- اختر كتاباً تقرؤه معهم. (٢)

(١) ادفعي زوجك إلى النجاح / ٦٥ (دوروثي كارينجي)
(٢) أعرف صديقاً يقرأ كتاب رياض الصالحين كل يوم بعد صلاة العصر لمدة خمس دقائق وتجتمع العائلة كلها حوله وهو يقرأ.

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

- ٤ - وفرلهم وسائل المعرفة والعلم على أنواعها (شريط كاسيت - فيديو - الدخول في الإنترنت - الكتاب - المجلة) ..
- ٥ - ليكن حوارك معهم ثقافياً وعلمياً حول ما قرأت وتعلمت، فقد كان النبي ﷺ يتحاور مع السيدة عائشة رضي الله عنها ثقافياً وفكرياً، مثل قوله لعائشة كما جاء في رواية البخاري ومسلم: (ألم تر أن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد إبراهيم؟ فقالت: يا رسول الله، ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ قال: لولا حدّثان قومك بالكفر لفضلت).
- ٦ - نفذ برنامجاً سياحياً في الصيف يرجع بعده الأهل والأولاد وقد استفادوا ثقافياً وعلمياً بالتعرف على بلاد جديدة، والاحتكاك بثقافات أخرى، وزيارة المتاحف والمكتبات في تلك الدولة.
- ٧ - أحسن الاستفادة من المواسم مثل شهر رمضان وإجازة نصف السنة وإجازة الصيف.
- ٨ - استفد من الفرص المتاحة للحديث، كما في أثناء المشي بالسيارة (١)، أو الركوب بالطائرة والطريق طويل. (٢)
- ٩ - اتفق مع معلمة تجويد تأتي إلى البيت لتعلم الزوجة، أو إحضار شيخ يعلم الأبناء القرآن، أو التنسيق مع معلم للخط.
- ١٠ - عرفهم بشخصيات بارزة علمياً وثقافياً فيتصلوا بها ويكونوا معها صداقة أو مع أبناء الشخصيات العامة.
- ١١ - احرص على إدخال الأبناء في مدارس متميزة في تعليمهم وثقافتهم.
- ١٢ - دريهم على الإمساك بالكتب وتقليب الصفحات منذ الصغر، واجعل من ضمن ألعاب الأطفال + القصص والكتب. (٣)

(١) أعرف صديقاً ساهم في حفظ ابنته لجزء الثلاثين من القرآن الكريم أثناء توصيلها للمدرسة.

(٢) أعرف صديقاً قرأ مع زوجته الجزء العاشر من فتح الباري في الطائرة على مراحل.

(٣) تقول لي إحدى الأمهات بأن ابنها مدمن قراءة الكتب، والسرف في ذلك أني كنت أضع له القصص والكتب منذ كان عمره شهراً معه في السرير مع ألعابه، وكنت أقرأ عليه وهو طفل.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

- ١٣- بين لهم كيف سهر علماءنا وتعبوا من أجل تبليغ العلم وتوصيله لنا، وأنتا ينبغي أن تحفظ هذه الأمانة. (١)
- ١٤- بين لهم أن محبة الله تعالى للعبد تتحقق عندما يزداد الإنسان علماً.
- ١٥- بين لهم أن أهل الجنة يتفاوتون في الدرجات بسبب العلم الذي معهم ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾. (٢)
- ١٦- ربّ الكبير على أنه مسؤول عن نقل العلم والمعرفة التي معه إلى الابن الأصغر منه.
- ١٧- بين لهم أن طلب العلم هدف في الحياة، ووضح لهم الفرق بين العلم والثقافة، واحرص على أن لا يربطوا بين كراهيتهم للمدرسة أو أحد المدرسين وبين كراهيتهم للعلم.
- ١٨- حُبب لهم القراءة من خلال القراءة معهم والقراءة أمامهم، وأنشئ مكتبة خاصة بهم في غرفتهم، واذهب معهم إلى المكتبات العامة واقراء معهم.

(١) أخبرني أحد الأصدقاء أنه أخذ أبناءه في عطلة الربيع إلى البر ولعب معهم لعبة (طلب العلم) ووضع في كل ٥٠٠ متر كتاباً وبدأ يمشي مع أبنائه إلى الكتب وهو يتحدث معهم في تعب العلماء في طلب العلم.

(٢) سورة فاطر آية ٢٨.

ثانياً: الحب الزوجي

من أين استخرجنا هذا المفهوم؟

الهدايا في يوم عائشة رضي الله عنها:

عن عروة رضي الله عنه أنه قال: كان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة، فإذا كان عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ، أخرها حتى إذا كان رسول الله ﷺ في بيت عائشة، بعث صاحب الهدية إلى رسول الله ﷺ في بيت عائشة. (وفي رواية: إن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بها - أو يبتغون بذلك - مرضاة رسول الله ﷺ). (١)

وفي هذا الحديث قصة مطوّلة في صحيح مسلم ترويها عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل أزواج رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ، فاستأذنت عليه وهو مضطجع في مرطبي، فأذن لها، فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، وأنا ساكتة. قالت: فقال لها رسول الله ﷺ: أي بنية ألتست تحبين ما أحب؟ قالت: بلى.

فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبداً.

قالت عائشة رضي الله عنها: فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش إلى رسول الله ﷺ، وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ في المنزلة عند رسول الله ﷺ، لم أر امرأة في الدين خيراً من زينب وأتقى لله عز وجل وأصدق حديثاً وأوصل للرحم، وأعظم صدقة وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به ويقرب.. ما عدا سودة من حدة كانت فيها، تسرع منها الفيئة (٢).

فاستأذنت على رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ مع عائشة رضي الله عنها، في مرطها، الحال التي كانت دخلت فاطمة رضي الله عنها عليهما فيه..

(١) رواه البخاري ج ٦ / ١٣٣

(٢) والمعنى: تعود عن الغضب الذي يصيبها بسرعة.

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

فأذن لها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلتني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة.

ووقعت فيّ، واستطالت، وأنا أرقب رسول الله ﷺ وأراقب طرفه هل أذن لي فيها؟ فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر، فلما وقعت بها لم أنشب حتى أتختنها، فقال رسول الله ﷺ: «إنها ابنة أبي بكر».

يريد يوم عائشة

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه، يقول: أين أنا غدأ؟ أين أنا غدأ؟ يريد يوم عائشة، (وفي رواية: استبطاء ليوم عائشة)، فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها. (١)

جمع ريقها بريقه

عن ذكوان.. أن عائشة كانت تقول: إن من نعم الله عليّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته، ودخل عليّ عبدالرحمن (ابن أبي بكر) وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فلينته فأمره. (وفي رواية ثانية: فقضمته ونفضته وطيبته، ثم دفعته إلى النبي ﷺ فاستنّ به، فما رأيت رسول الله ﷺ استنّ استناناً قط أحسن منه). (وفي رواية ثالثة: فجمع الله بين ريقى وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة)، وبين يدي رسول الله ﷺ ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات، ثم نصب يده فجعل يقول: الرفيق الأعلى، حتى قبض ومالت يده. (٢)

وهناك أحاديث وروايات كثيرة في حب النبي ﷺ لعائشة وحبها له ويكفي الحديث الصريح الذي يرويه الشيخان عن عمرو بن العاص أنه أتى النبي ﷺ فقال: أي الناس أحب إليك يا

(١) رواه البخاري ج / ١٣٣

(٢) رواه البخاري ج ٩ / ٢٠٩ باب: مرض النبي.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

رسول الله؟

قال: عائشة.

قال: من الرجال؟

قال: أبوها.

قال: ثم من؟

قال: «عمر».

وهو حديث مشهور وصريح في حب النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها، وكان يصرح بذلك أمام أصحابه.

وقد علق (أ. عبدالحليم أبو شقة) على سبب حبه لها بقوله: قد يتساءل البعض ما السر في اختصاص عائشة بهذا الحب الكبير، والحقيقة أنه كما كانت خديجة شخصية عظيمة كانت عائشة شخصية لها قدرها.

لم تكن مجرد فتاة جميلة، بل كانت في صغرها وجمالها ذات عقل ناضج وقلب كبير، نشأت منذ طفولتها في بيت هو أقدم وأصلح بيوت الصحابة جميعاً، بيت أبي بكر الصديق، وقد اختارها الله زوجة لرسول الله ﷺ وأراها له في المنام مرتين في سُرقَة من حرير (١).

ثم بين خصائص وميزات عائشة رضي الله عنها فقال:

حرصها على طلب العلم.. شواهد كثيرة على علمها.. عقد مجالس العلم في بيتها.. استدراكها على الصحابة بل على كبارهم.. طموحها إلى المعالي.. حرصها على المشاركة في الجهاد قبل الحجاب وبعده.. حرصها على كسب العمرة مع الحج.. ذكرها الفضل لأهلها، سواء أكانت إحدى ضرائرها، أو كان ممن أسرف في حديث الإفك، أو كان قد قتل أخاها.. زهدا وبذلها السخي.. ورعها.. رباطة جأشها.. صدق الرواية ولو على نفسها.. محنتها الكبرى وتبرئة الله تعالى لها في كتابه العزيز.. وأخيراً تكريم الله تعالى لها. (٢)

فهذه من خصائص أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقد ذكرت هي عن

(١) السرقة: القطعة. أي في قطعة من حرير جيدة ببيضاء، كما فسره أبو عبيد.

(٢) تحرير المرأة في عصر الرسالة ج ٥ / ١٤٦ (عبدالحليم أبو شقة)

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

نفسها عشر خصال فضلت فيها عن باقي أمهات المؤمنين.. قالت:

- ١ - لم ينكح بكراً قط غيري.
- ٢ - ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري.
- ٣ - وأنزل الله عز وجل براءتي من السماء.
- ٤ - وجاءه جبريل بصورتني من السماء في حريرة وقال: تزوجها فإنها امرأتك.
- ٥ - وكنت أغتسل أنا وهو في إناء واحد، ولم يكن يصنع ذلك بأحدٍ من نسائه غيري.
- ٦ - وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه، ولم يكن يفعل ذلك بأحدٍ من نسائه غيري.
- ٧ - وكان ينزل عليه الوحي، وهو معي، ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحدٍ من نسائه غيري.
- ٨ - وقبض الله تعالى نفسه وهو بين سحري ونحري.
- ٩ - ومات في الليلة التي كان يدور علي فيها.
- ١٠ - ودفن في بيتي. (١)

فالحب هو أساس الحياة، وهو طعم الحياة وروحها، والذي يعيش من غير حب فهو محروم، وتراثنا مليء بالحب وقصص المحبين لأن الحب حاجة من حاجات الإنسان، فالإنسان يحب أن يُحَبَّ وأن يُحِبَّ، ومن أجمل ما كتب في الحب كتاب ابن حزم المشهور «طوق الحمامة» وكذلك ابن الجوزية في رائعته «روضه المحبين».

فالحب أساس العلاقات، ويتوفر بين الزوجين إذا تحدث الزوجان عن مستقبلهما وأحلامهما فهذه من علامات الحب، وكذلك اللمسة الحانية والنظرة الدافئة، وحفظ الأسرار والاحترام والتقدير والقرب النفسي والجسدي، كل ذلك من علامات الحب الزوجي وهو الحب الحقيقي المطلوب، وخير العلاقات الزوجية ما قام على الحب في الله، لا الحب من أجل مصلحة دنيوية أو قضاء شهوة إنسانية، بل هو حب مجرد، فيه الإخلاص

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٨ / ٦٣ - ٦٤

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

والصدق، وهو بخلاف حب العاشق كما وصف قيس ليلى فقال:

أحبها وتحبني ويحب ناقتها بعيري

فهذا حب أعمى مرفوض في عالم العلاقات الزوجية.

هل الحب قبل الزواج حلال؟

قبل أن نجيب على هذا السؤال لابد أن نفرق بين الحب كسلوك وتصرف وممارسة، وبين الحب بمعنى: الميل القلبي، فإن الحب بمعنى الأخير لا غبار عليه، ويجوز لإنسان أن يحب قبل الزواج لأن المشاعر مازالت محبوسة في نفسه، أما الحب بمعنى الأول وهو الممارسة فإننا كذلك نفرق بين ممارستين الأولى أن يخرج المحب مع حبيبته ويلمس يدها ويسافر معها فهذا لا يفتي أحد بجوازه، أما الممارسة بمعنى إخبار المحب لمن يحبه بمشاعره ويطلب منه الطرف الثاني أن يوافق على هذه المشاعر بإطار شرعي فهذا لا بأس به، وهناك ما يؤيده من كتاب الله تعالى الآية (٢٣٥) من سورة البقرة.

قال تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَتَذَكَّرُونَهِمْ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُمْ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَمْرُمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجْلَهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

الآية الكريمة جاءت مجملة تحتمل كل مستويات الرغبة، والأقوال الواردة - في تفسير الطبري - في تأويل الآية تحتملها كذلك، ومن هذه الأقوال:

عن السدي: يدخل فيسلم ويهدي إن شاء، ولا يتكلم بشيء.

وعن القاسم بن محمد يقول: إني فيك لراغب، وإني عليك لحريص، وإني بك لمعجب.

وعن ابن عباس يقول: إني لأحب امرأة من أمرها وأمرها.

وعن مالك يقول: إني بك لمعجب ولك محب.

كما أنه صح عن النبي ﷺ أنه قال: «لَمْ يَرُ لِلْمُحِبِّينَ مِثْلَ النِّكَاحِ» وقصة هذا الحديث يرويها لنا ابن عباس رضي الله عنه فيقول:

عن ابن عباس: أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن عندنا يتيمة وقد خطبها رجل معدم

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

ورجل موسر، وهي تهوى المعدم ونحن نهوى الموسر، فقال ﷺ: «لم يرَ للمتحابين مثل النكاح». (١)

وفي هذا المعنى يقول **الحافظ ابن حجر** خلال شرحه لحديث الواهبة: وأن من رغبت في التزوج ممن هو أعلى منها، لا عار عليها أصلاً، ولا سيما إن كان هناك غرض صحيح أو قصد صالح، إما لفضل ديني في المخطوب، أو لهوى فيه يخشى من السكوت عنه الوقوع في محذور». (٢)

فالإسلام يتعامل مع واقع إنساني فطري ولا يلغى العواطف والمشاعر وإنما يوجهها ويهدبها نحو الإطار الشرعي فيتحقق كل محب ومحبوب رغبته من خلال وسائل شرعية تحفظ حقوق الطرفين.

وقد لفت نظري جرأة شيخنا الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي - حفظه الله - وتبرعه للقيام بالتوفيق بين رأسين بالحلال عندما سألته فتاة عن حبها لشاب هل هذا الشعور حلال أم حرام؟

وأعرض للقارئ نص السؤال والجواب لينتفع به ويسترشد برأي الشيخ، وهذا نص الفتوى: ما حكم الفتاة إذا شغف قلبها بحب شاب تريد الزواج منه، هل في تفكيرها ذنب تقترفه، وإذا عرضت نفسها عليه في حدود الدين والشرع فهل يعد ذلك ذنباً؟

فقال: إن مشاعر الحب ليست أكثر من انفعالات قسرية، والانفعال لا يتعلق به تكليف، ولا يدخل في الأحكام أو المحظورات الدينية، وتفكير المحب بمحبوبه كذلك، بل الأفكار الداخلية أياً كانت، خارجة عن نطاق التكليف ولا يحاسب الله عليها، ولقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به نفسها، ما لم تقل أو تفعل».

والذي أراه لحل مشكلتك النفسية، أن تبليغي هذا الشاب عن طريق أي من أفراد أهلك أو أي صديقاتك اللاتي تثقين بهن، هذه المشاعر التي تحسین بها تجاهه، وليس في ذلك أي غضاضة أو عيب ما دام السبيل إلى ذلك بعيداً عن الانحراف والانزلاق إلى ما لا يرضي

(١) رواه ابن ماجه رقم ١٤٩٧ - سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٦٢٤

(٢) فتح الباري ج ١١ / ١٢٢ (لابن حجر).

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

الله، فإن صعب عليك ذلك، فلا مانع لديّ من أن أكون أنا هذا الوسيط، وليس عليك إلا أن ترسلي إليّ عنوانه، مع اسمك وعنوانك، واعلمي إن الإسلام ليس له أي انتقاد على الحب، ولكنه ينتقد الانحرافات التي قد يسوق إليها الحب». (١)

هذا الفقه الواقعي والعملي هو ما نحن بحاجة إليه اليوم، أما أن تحكمننا عادات وتقاليد ليس لها أصل في الدين في موضوع الحب قبل الزواج، فهذه من مآسي هذا القرن الذي نعيشه، وإني أعرف أباً هدد ابنته بالقتل عندما أخبرته بأنها تحب شاباً، وأعرف أمّاً حبست فتاة عندما أخبرتها بأنها تحب شاباً ويحبها ويريدان الزواج، وكان تحليل تصرف الأب في القصة الأولى من منطلق أن الحب حرام وأما تصرف الأم في القصة الثانية فلأن البنت مازالت صغيرة على الحب ولا تفهم الحب، وعمر البنت ثمانية عشر عاماً، وهو عمر عائشة رضي الله عنها عندما توفي عنها النبي ﷺ.

لماذا ينتهي زواج الضانان بالطلاق؟

لقد التقط المخرج السينمائي الفرنسي «روجيه فاديم» «بريجيت بارود» وعمرها ١٥ سنة ليقدمها في فيلم «وخلق الله المرأة» فأصبحت في يوم واحد نجمة للسينما العالمية، وكان من الطبيعي أن تحب الفتاة من كان سبباً في شهرتها ونجاحها وغناها في الحياة، وتزوج «فاديم» من «بريجيت» وأنجبا ولداً، ثم طلقها أو هي طلبت الطلاق.

وأغلب أحوال النجوم في السينما من تنتهي علاقتهم الزوجية بالطلاق بعد أن يكونوا قد تعرفوا بعضهم على بعض أمام الكاميرا وعلى المسرح وهناك أمثلة عديدة نذكر منها: نيازي مصطفى صنع من «كوكا» نجمة وتزوجها ثم طلقها.

حسين فوزي وجد «نعيمه عاكف» واقعية مغمورة فقدمها للسينما، فأصبحت نجمة، وتزوجها ثم طلقها.

وعاطف سالم اختار فتاة مجهولة ليجعل منها نجمة باسم «نبيلة عبيد» وتزوجها ثم طلقها.

(١) مع الناس فتاوى ومشورات / ٦٩ (البوطي).

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

ورمسيس نجيب رأى طالبة في الجامعة الأمريكية اسمها «لبنى عبدالعزيز» أعجبتة فأنتج لها عدة أفلام فتقدم لزواجها فرفض والدها لأنها مسلمة وهو مسيحي، فغير دينه من أجلها وتزوجها ثم حصل الطلاق.

«وقصة فيروز والرحباني وموسيقاه مشهورة وقد تزوجا ثم حصل الطلاق». (١)

إن الممثلين والفنانين هم الذين يروجون الحب في أفلامهم لشبابنا وبناتنا، فيفترض أنهم أفضل الناس في فهم الحب ونشره للآخرين، ولكن الواقع يشهد خلاف ذلك، لأنهم يعيشون تناقضاً بين ما يقدمونه للناس على وجه التمثيل والخيال، وبين ما يعيشون من لحظات مع ذواتهم وأزواجهم في حياة متقلبة بين الحلو والمر، فيصطدمون بهذا الواقع وتنتهي قصة زواجهم بالطلاق على الرغم من نجاح قصة الحب التي مثلوها في السينما. ولعل المخرجين كذلك يصدمون بالواقع عندما يتزوج أحدهم بفنانة كان يأمرها على خشبة المسرح أن ترقص وتضحك وتتمايل وتظهر السعادة، فصدق هذا التمثيل وظن أنه حقيقة فلما تزوجها واجتمع معها في بيت واحد أراد أن يجعل البيت مثل الاستديو فلم ينجح، يريد لها جارية ترقص له طوال الليل والنهار ولكنها ليست كذلك.

إنه الحب المزيف الذي يعرضه المخرجون ثم يصدقونه ويعتقدون أنه حقيقة، مثل جحا الذي كذب على أصدقائه وقال لهم: إن في بيت فلان عزيمة غداء، فلما ذهبوا قال لنفسه لأذهب معهم لعل كذبتني تصبح حقيقة !

هذا هو واقع الفنانين والفنانات والراقصين والراقصات، ولهذا لعل القارئ يستغرب السيرة الاجتماعية للفنانات والراقصات عندما يعلم عدد الأزواج الذين عقدوا عليهن وهم يبحثون عن الحب الحقيقي والسعادة الحقيقية، ولكن كطالب السراب الذي يحسبه ماء، ونذكر بعض الأمثلة:

(١) من مقال محسن محمد عنوانه «لماذا ينتهي زواج الفنانات بالطلاق»، من مجلة الأسرة العصرية / ٥٦ - ٥٧ (بتصرف)

١ - نجوى فؤاد .. تزوجها:

فؤاد حسن

ثم أحمد رمزي

ثم كمال نعيم

ثم سامي الزغبى

ثم عماد عبدالحليم..

وكل هذه الزوجات انتهت بالطلاق.

٢ - ميرفت أمين .. تزوجها:

موفق بهجت

ثم عمر خورشيد

ثم حسين فهمي

ثم حسين القلا

ثم مصطفى البلبيدي..

وكل هذه الزوجات انتهت بالطلاق.

٣ - سهير رمزي .. تزوجها:

حلمي بكر

ثم محمد الملا

ثم محمود قابيل

ثم سيد متولي

ثم فاروق الفيشاوي..

وكل هذه الزوجات انتهت بالطلاق.

٤ - هالة صدقي .. تزوجها:

مجدي مكرم ثم وقع الطلاق بعد ثلاثين يوماً.

٥ - رانيا فريد شوقي .. تزوجها:

وليد السعيد ثم وقع الطلاق بعد شهرين.

٦ - نهلة سلامة ونورا .. وغيرهم كثير يتزوجون ثم لا يستمرون في زواجهم ويقع الطلاق. (١)

وإنني أتساءل ما هو سبب كثرة زواج الفنانات وكثرة الطلاق؟ هل لأسباب مادية أم نفسية أم اجتماعية أم كما ذكرنا من أنهم يريدون لتمثيلهم ورقصهم أن يصبح حقيقة، ويريدون حياتهم الزوجية فيلماً يستمتعون به.

إن الحب المزيّف يستطيع كل إنسان أن يقدمه للآخرين، ولكن الحب الحقيقي لا يستطيع أن يعيشه إلا الصادق والمخلص.

قصة حب

أحببنا أن ننقل قصة حب عاشها اثنان وتوسط فيها ابن بنت رسول الله ﷺ وهو «الحسين بن علي» رضي الله عنه وهدفنا من ذكر هذه القصة المشهورة بيان سعي «الحسين» رضي الله عنه للتوفيق بين متحابين، والقصة أبطالها «قيس ولبنى» ونقلها بتفاصيلها:

هو قيس بن ذريح، كان أختاً بالرضاعة للحسين بن علي رضي الله عنهما، أرضعته أم قيس بنت الذاهل بن عامر الخزاعي.

كان منزل قومه في ظاهر المدينة أو في «سرف»، فمر قيس لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خزاعة، فوقف على خيمة منها والحي خلوف. (٢)

والخيمة خيمة لبنى بنت الحباب الكلبية، فاستسقى ماء فسقته، وخرجت إليه به، وكانت امرأة مديدة القامة، حلوة المنظر والكلام، فلما رآها وقعت في نفسه، فقالت له: أتزل فتبترد عندنا؟

(١) اعترافات ممثلين وممثلات / ٧ - ٩، ١٨ (محمد رشيد العويد).

(٢) غائبون متخلفون.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

قال: نعم، وجاء أبوها، فنحر له، وأكرمه، فانصرف قيس، وفي قلبه من «لبنى» حرٌّ لا ينطفئ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع، وصار على لسان الرائح والغادي.
ثم أتاها يوماً آخر، وقد اشتد وجده بها، فسلم فظهرت له، واحتضت به، فشكا إليها ما يجده، وشكت إليه مثل ذلك فأطالت، وعرف كل واحد ماله عند صاحبه، فانصرف قيس إلى أبيه، وأعلمه حاله، وسأله أن يزوجه إياها، فأبى عليه، وقال: «يا بُني، عليك بإحدى بنات عمك فهن أحق بك».

وكان «ذريح» كثير المال موسراً، فأحب ألا يخرج إلى غريبة، فانصرف قيس وقد ساء ما خاطبه أبوه به!

فأتى إلى أمه فشكا إليها، واستعان بها على أبيه، فلم يجد عندها ما يحب!

فأتى الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - وابن أبي عتيق، فشكا إليهما ما به، وما رد عليه أبوه، فقال له الحسين: أنا أكفيك.

فمشى معه إلى أبي لبني، فلما بصر به أعظمه، وقال:

يا ابن بنت رسول الله ﷺ: «ما جاء بك، ألا بعثت إليّ فأتيك! قال: إن الذي جئت فيه يوجب قصدك، وقد جئتك خاطباً ابنتك لبني لقيس بن ذريح.

فقال: يا ابن بنت رسول الله، ما كنا لنعصي لك أمراً، وما بنا رغبة عن الفتى، ولكن أحب الأمر إلينا أن يخطبها أبوه ذريح، وأن يكون ذلك عن أمره، فإني أخاف إن لم يسع أبوه في هذا أن يكون عاراً وسبة علينا!

فأتى الحسين ﷺ ذريحاً وقومه، وهم مجتمعون فقال لذريح: أقسمت عليك إلا خطبت لبني لابنك قيس، قال: السمع والطاعة لأمرك!

فخرج معه في وجوه من قومه، حتى أتوا لبني، فخطبها ذريح لابنه من أبيها، فزوجه إياها، وزفت إليه بعد ذلك، فأقامت معه مدة لا يُنكر أحد من صاحبه شيئاً.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

وكان قيس أبر الناس بأمه، فألهته لبني وعكوفه عليها عن بعض ذلك! فوجدت (١) أمه في نفسها، وقالت:

لقد شغلت هذه المرأة ابني عن بري! ولم تر للكلام في ذلك موضعاً حتى مرض قيس مرضاً شديداً، فلما برئ من علته قالت أمه لأبيه:

لقد خشيت أن نفجع في قيس، وما يترك خلفاً، وقد حرم الولد من هذه المرأة، وأنت ذو مال، فمن يرثه!

فزوجه بغيرها لعل الله يرزقه ولداً، وألحت عليه في ذلك، فأمهل ذريح قيساً حتى إذا اجتمع هومه دعاه، وقال:

يا قيس، إنك اعتللت هذه العلة، فخضت عليك ولا ولد لك، ولا لي سواك، وهذه المرأة ليست بولود، فتزوج إحدى بنات عمك لعل الله يهب لك ولداً تقر به عينك وأعيننا. فقال قيس: لست متزوجاً غيرها أبداً.

فقال له أبوه: فإن في مالي سعة، فاتخذ جارية سرية لك تكون أم ولد. قال: ولا والله لا أسوؤها بشيء!

قال أبوه: لا أرضى أو تطلقها، وحلف لا يكنه سقف بيت أبداً حتى يطلق لبني! فكان يخرج، فيقف في حر الشمس، ويجيء قيس فيقف إلى جانبه فيظله بردائه ويصلى هو حر الشمس حتى يفيء الضيء فينصرف عنه، ويدخل إلى لبني فيمانقها وتعانقه، ويبكي، وتبكي معه!

ويقال: إنه مكث كذلك سنة حتى طلقها.

قال أبو الفرج: قال الحسين بن علي رضي الله عنهما لذريح أبي قيس: أحل لك أن فرقت بين قيس ولبني!

أما إنني سمعت عمر بن الخطاب يقول: «ما أبالي أفرقت بين الرجل وامرأته، أو مشيت إليهما بالسيف».

(١) حزنت.

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

قالوا: فلما بانَّت لبني بالطلاق، لم يلبث قيس حتى استطير عقله، ودُهب به، ولحقه مثلُ الجنون، وتذكر لبني وحالها معه، فأسف وجعل يبكي وينشج أحر نشيج! وأرسلت لبني إلى أبيها ليحتملها، وقيل بل أقامت حتى انقضت عدتها. وأقبل أبوها بهودج على ناقة وبإبل تحمل أثاثها، فلما علم بذلك قيس أقبل ليُلمَّ بخباء لبني وسألها عن رحيلها، فمنعه قومها، فأقبلت عليه امرأة من قومه، فقالت له: «ويحك! تسأل كأنك جاهل أو تتجاهل، هذه لبني ترحل الليلة أو غداً!» فسقط مغشياً عليه لا يعقل!

قال أبو الفرج: فلما ارتحل قومها اتبعها ملياً، ثم علم أن أباه سيمنعه، فوقف ينظر إليها ويبكي حتى غابوا، ففكر راجعاً، ونظر إلى خف بغيرها، فأكب عليه يقبله، ورجع يقبل موضع مجلسها، وأثر قدمها قائلاً:

وما أحببت أرضكم ولكن أقبل إثر مَنْ وطئ الترابا
فما جنّ الليل، وانفرد، وأوى إلى مضجعه لم يغمض له جفن، وظل يتقلب في فراشه، ويتململ كالملدوغ، ثم وثب حتى أتى موضع خبائها، فجعل يتمرغ فيه ويبكي، ويقول:

بت والهمّ يا لبني ضجيعي
وجرّت مذ نأيت عني دموعي
وتنفست إذ ذكرتك حتى
زالت اليوم عن فؤادي ضلوعي
يا لبني فدتك نفسي وأهلي
هل لدهر مضى لنا من رجوع!؟

وقالوا: فلما طال على قيس ما به، أشار قومه على أبيه أن يزوجه امرأة جميلة، فلعله يسلو بها عن لبني! فدعاه إلى ذلك، فأبى، فأقسم عليه أبوه أن يسير وينتقل في أحياء العرب، فلعل عينه تقع على امرأة تعجبه، ففعل حتى نزل بحي من فزارة، فرأى جارية حسناء، قد حسرت برقع خز عن وجهها، وهي كالبدرة ليلة تمامه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: لبني.. فسقط على وجهه مغشياً عليه!

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

فارتاعت لما عراه وأصابه، وقالت: «إن لم يكن هذا قيس بن ذريح إنه لمجنون». ثم أقبل أخ لها فعرض عليه الصهر، فقال: يا هذا إن فيك لرغبة، ولكنني في شغل لا ينتفع بي معه.

فلم يزل يعاوده حتى أجابه، وشخص قيس إلى أبيه وساق إليهم المهر، ثم رجع إلى الفزاريين حتى أدخلت عليه زوجته، فلم يروه هشاً إليها، ولا دنا منها ولا خاطبها بحرف، ولا نظر إليها، وأقام على ذلك أياماً كثيرة، ثم خرج إلى قومه بالمدينة، فأخبره صديق له من الأنصار أن نبأ زواجه بلغ لبني فغمها وقالت: «إنه لغدار، ولقد كنت أمتنع عن إجابة قومي إلى التزويج، فأنا الآن أجيبهم».

وقد كان أبوها شكاً قيساً إلى «معاوية» وأعلمه تعرضه لها بعد الطلاق، فكتب إلى «مروان بن الحكم» أو «سعيد بن العاص» يهدر دمه إن تعرض لها، وأمر أباهما أن يزوجها رجلاً من آل كثير بن الصلت الكندي حليف قريش.

وقالوا: إن قيساً اقتطع قطعة من إبله، وأعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعهها ويمتار^(١) لأهله بثمنها، فعرف أبوه أنه إنما يريد «لبنى»، فعاتبه.. وزجره عن ذلك، فلم يقبل منه، وأخذ إبله، فأتى بها المدينة، فبينما هو يعرضها إذ ساومه زوج لبني بناقة منها، وهما لا يتعارفان، فباعه إياها، فقال له: إذا كان غد فأتني في دار كثير بن الصلت، فاقبض الثمن. قال: نعم.

ومضى زوج لبني إليها، وقال لها: إني ابتعت ناقة من رجل من أهل البادية، وهو يأتينا غداً، فأعدي له طعاماً، ففعلت، فلما كان من الغد جاء قيس فصوت بالخادم «قل لسيدك: صاحب الناقة بالباب».

فعرفت لبني نعمته، فلم تقل شيئاً، فقال زوجها للخادم، قولي له: ادخل، فدخل وحين سمع صوتها عرفها، فبهت قيس ساعة لا يتكلم، ثم انفجر باكياً، ونهض فخرج، فدست له لبني بعد خروجه رسولاً يسأله: لم تزوج بعدها؟

(١) يمتار: يشتري الميرة والطعام وحاجات البيت.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

فحلف له قيس أن عينه ما اكتحلت بالمرأة التي تزوجها، وأنه لو رآها في نسوة ما عرفها!
وأنه ما مد إليها يده ولا كلمها، ولا كشف لها عن ثوب!

واشتهر أمر قيس بالمدينة بعد لقائه لبني، فلم يبق شريف ولا وضيع إلا سمع بشعره فيها،
وحزن لقيس مما به، وجاء لبني زوجها، فأنبها على ذلك، فغضبت، وقالت: لقد علمت أنني
كنت زوجته قبلك، وأنه أكره على طلاقي، والله ما قبلت التزويج حتى أهدر دمه إن ألم بنا!
وطاف بحينا!

قالوا: وارتحل قيس إلى «معاوية» فدخل إلى «يزيد» فشكا ما به، وامتدحه، فرق له وقال:
سل ما شئت، فقال: أحب أن أقيم بحيث تقيم في البلاد، أتعرف أخبارها وأفتع بذلك من
غير أن يهدر دمي!

فأجابه إلى ذلك، وأزال ما كان كتب به أبوه في إهدار دمه!

النهاية

قال أبو الفرج، قالوا: وقد اختلف في آخر أمر قيس ولبنى، فذكر أكثر الرواة أنهما ماتا
على افتراقهما. (١)

فهذه قصة أحببنا أن نذكرها بتفاصيلها حتى يعيش القارئ مع أحداثها ويعرف
كيف تدخل حفيد رسول الله ﷺ بين متحابين اثنين ليجمع بينهما بالخير.

وإن هذا الفعل غير مستغرب، فقد تدخل رسولنا ﷺ كذلك بين طرفين في قصة حب
شهيرة حصلت في أيام النبي ﷺ ولكن الحب فيها كان من طرف واحد، وقد شهد النبي
ﷺ وعمه العباس أحداثها، وأبدى عجبه مما دار بين أطرافها، وود لو يجمع بين الشيتين!
يروى البخاري عن ابن عباس:

أن زوج «بريرة» كان عبداً يقال له: مغيث.

كأنني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي! ودموعه تسيل على لحيته!

فقال النبي ﷺ لعمه العباس:

(١) أشهر قصص العشاق والمتيمين / ٩٢ - ٩٧ (محمد اسيم).

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

يا عباس، ألا تعجب من حب مغيث بريرة؟ ومن بغض بريرة مغيثاً؟!

فقال النبي ﷺ: لو راجعته!!

قالت: يا رسول الله، تأمرني!!

قال ﷺ: إنما أنا أشفع!!

قالت: لا حاجة لي فيه. (١)

لقد كانت بريرة جارية لعتبة بن أبي لهب، وزوجها سيدها عبداً من عبيد المغيرة، ما كانت لترضاه لو كان أمرها لها، فأشفقت عليها «أم المؤمنين عائشة» - رضي الله عنها - فاشتريتها، وأعتقتها، فقال لها النبي ﷺ: ملكت نفسك فاختاري، وكان زوجها مغيث يطوف خلفها سكك المدينة يبكي عليها، وهي تأباه!

فقال لها النبي ﷺ: لو راجعته فإنه أبو ولدك؟ قالت: يا رسول الله أتأمرني؟ فقال ﷺ: لا إنما أنا شافع، قالت: فلا حاجة لي فيه، لو أعطاني كذا وكذا ما كنت عنده.

عيد الحب

إن ديننا الإسلامي يركز على الجوهر مع عدم إهمال الشكل في أي شيء حتى في اللباس، فالإسلام أوصى بستر العورة والتزين والتجمل باللباس، ومع حرصه على الشكل، ركز ولفظ النظر إلى الجوهر فقال تعالى: ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾. (٢)

أما الحضارة الغربية اليوم فإنها تركز على الشكل في كل شيء في اللباس والمكياج والزينة والديكور وشمل ذلك حتى العلاقات الإنسانية، فهي حضارة مزيفة ويسوقون هذه الأفكار على مستوى العالم، حتى شمل ذلك «الحب» على الرغم من أنه خلق قلبي، الأصل فيه الجوهر لا المظهر، ولكنهم لا يفرقون في ذلك حتى جعلوا له عيداً سموه «عيد الحب» (سان فالنتين) وفلسفته أن يتذكر العشاق بعضهم بعضاً من خلال هدية تهدى من أحدهم للآخر ورده أو بطاقة بريدية أو أي شيء آخر، وقد كشفت الإحصاءات أن الأميركيين أنفقوا (٢,٦

(١) رواه البخاري في كتاب الطلاق. (١٦)

(٢) سورة الأعراف/ ٢٦

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

مليار دولار) على شراء الهدايا عام ٢٠٠٠ ميلادية في يوم عيد الحب، حتى ابتكرت بعض الجهات والشركات مناسبات في هذا اليوم تعبر عن الحب منها (شركة فايزر لصناعة الأدوية) حملة دعائية عن (الفايغرا) وكيف أنه يزيد الحب، وأعلنت «الجمعية الأمريكية للحياة البرية» على الخط الرومانسي الساخن عشرة مواقع طبيعية بأمریکا يمكن للعشيقين أن يطلقوا شرارة الحب من جديد عند الزيارة الأولى للموقع، كما:

حقق حبيبان سابقان كانا يعشقان بعضهما منذ الطفولة، هما كانت روز (٢٨ عاماً) ودارين ويلسون (٢١ عاماً) حلمهما في نيل هدية عيد الحب أمس الأول.. بعد فوزهما بالطلاق في مسابقة أجرتها إحدى الإذاعات المحلية في مدينة مانشستر ببريطانيا، وسيكون في مقدور الزوجين الفكاك من قيد الزواج بعد فوز قصتهما عن الأسباب التي جعلتهما يريدان الانفصال، بمعظم الأصوات في مسابقة قصص مستمدة من الحياة أجرتها إذاعة مستقلة في مانشستر.

وبينما ذكرت روز أن أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى فشل الزواج من وجهة نظرها كان عادة زوجها المتمثلة في دأبه على عدم تغطية مقعد التواليت بعد استخدامه. قال الزوج: إنه بات يشعر بالنفور من زوجته إلى حد لا يطيق معه سماعها وهي تتنفس.

وبمجرد إتمام إجراءات الانفصال سوف تمنح الإذاعة كلاً منهما تذكرة مجانية لقضاء «شهر غسل طلاق»، كل مع شريكه الجديد، وقال كل منهما إنهما يريدان الذهاب إلى المكسيك، وإن كان إلى جهات مختلفة من البلاد. (١)

بمثل هذه المظاهر يعبرون عن حبهم، وهو مفتعل ولهذا جعلوا لهم عيداً، فالحضارة الغربية أعيادها تؤسس على أزمات ومشاكل (فعيد العمال) جاءت فكرته من ظلم العمال (وعيد الأم)، جاءت فكرته من ظلم الأم وعدم تقديرها، وكذلك (عيد الحب)، أرادوا أن يحيوا الحب الحقيقي في نفوس أبنائهم وأجيالهم، وأذكر أنني جلست مرة مع عائلة أمريكية، كان الوالدان يتحدثان عن الحب الزائف في الأجيال الصاعدة، وأن الحب الحقيقي هو ما عاشه الوالدان في زمانهم.

(١) جريدة الرأي العام الكويتية بتاريخ ٢٠٠٠/٢/١٨

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

أما نحن المسلمين فأعيادنا انبثقت من فرح وانتصار (فعيد الفطر) فرح المسلم بطاعته التي أداها من صيام وصلاة وقيام وذكر لله، (وعيد الأضحى) فرح المسلم بنجاة إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وفرحه بعطايا الفقراء والمساكين.

فهناك فرق جوهري بين أعيادنا وأعيادهم ولهذا فإننا لا نحتاج لأن يكون الحب عيداً عندنا، لأن حياتنا قائمة على الحب بدءاً من حبنا لله تعالى ورسوله ﷺ والأنبياء والصحابة والصالحين.. وحبنا ديننا وحب أهلنا ووالدينا وأبنائنا وزوجاتنا وأنفسنا، فديننا دين الحب وأول عمل عمله نبينا محمد ﷺ عند تأسيس الدولة في المدينة أنه وثق علاقة حب الإنسان بربه والناس، فالحب الأول للرب تمثل في بناء المساجد، والحب الثاني تمثل في المؤاخاة بين الأوس والخزرج.

وإني أتساءل عن زماننا لماذا كثرت فيه الخيانة الزوجية والمعاكسات الهاتفية وخيانة المشاعر؟!

لأن الحب أصبح غير حقيقي ومزيفاً، وحب الأفلام والسينما هو المسيطر على العقول من خلال روايات الأدب المنشورة، والتي يترى عليها شبابنا وبناتنا، فهم لم يتربوا على منوال ومثل حب النبي لأزواجه والحب العفيف وإنما حب العشاق والحب المؤقت، وقد أعجبتني كلمة قالها الشيخ «علي الطنطاوي» رحمه الله في تعليقه على السؤال: هل يبني الزواج على الحب؟ فقال: وأنا من مدمني النظر في آداب الأمم كلها ولا أحصي القصص التي قرأتها لكبار الأدباء، في موضوع الزواج الذي يبني على الحب، ونهايتها كلها الشقاق والفرق، ولا تغتروا بأمثال آلام فوتر ورفائيل وماجدولين وبول وفرجينى وكرازيبلا وجوسلان والأجنحة المتكسرة، فهذه كلها صور لمرحلة الرغبة التي تكلمت عنها، ولو تزوج كل واحد من أبطالها بالتي يعشقها زواج حب فقط لكانت خاتمة القصة الطلاق.

لا، لا يصح أن يبني الزواج على الحب وحده إلا إن صحَّ أن تبني العمارة الضخمة على أساس من الملح في مجرى الماء.

إنما يبني الزواج على التوافق في التفكير والسلوك والوضع الاجتماعي والحالة المالية، وبعد هذا كله تأتي العاطفة، فينظر إليها وتُنظر إليه، أي ينظر إلى وجهها وكفيها فقط

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

بحضور وليها أو أحد محارمها: لا كما أفتى ذلك الشيخ الخياص الباقوري، فإن ألقى الله في قلب كل منهما الميل إلى الآخر صار هذا الميل مع الزواج حياً هادئاً مستمراً، وإن أحسا نفرة أو عزوفاً أغنى الله كلاً منهما عن الآخر. (١)

أثر الحب في تغيير النفوس

هناك طريقتان لتغيير سلوك أي إنسان إلى سلوك آخر ومن عقيدة إلى عقيدة أخرى..

فأما الوسيلة الأولى فهي: الترغيب والترهيب، وهذه الوسيلة تتفع في التغيير ولكن عمرها قصير، فبمجرد أن يزول الترغيب أو الترهب يرجع الإنسان إلى طبعه وسلوكه القديم..

وأما الوسيلة الثانية فهي: الحب، وهذه الوسيلة تتفع للتغيير الدائم المستمر.. ولهذا نلاحظ أن النبي ﷺ كان يفرس الحب ويشيعه طوال فترة وجوده بمكة وتأسيس الدولة في المدينة، حتى تغيرت الجزيرة كلها، فالحب هو أفضل سلاح لتغيير معتقدات البشر وسلوكهم.

وبالحب يستطيع الزوج أن يغير زوجته.

وبالحب تستطيع الزوجة أن تغير زوجها.

وبالحب يستطيع الوالدان أن يغيرا أبناءهما.

وبالحب يستطيع الأبناء أن يغيروا والديهم.

وبالحب تُعالج المشاكل، بل وحتى عند الأطباء فإن الحب يداوي من الأمراض، ولهذا فإننا

نعرض أربعة مواقف وقصص حصلت في عهد الصحابة رضي الله عنهم، تبين كيف أن

الحب كان سبباً في تغيير النفوس والعقيدة، فالقصة الأولى بطلتها زينب بنت رسول الله

رضي الله عنها، والثانية بطلها الطفيل بن عمر الدوسي رضي الله عنه.

(١) جزء من مقال نشر في جريدة عكاظ في ١٠ / رمضان / ١٤١٨ هـ في زاوية تحت عنوان (على مائدة الإفطار).

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

والثالثة بطلتها أم حكيم بنت الحارث بن هشام رضي الله عنها .

والرابعة بطلتها أم سليم رضي الله عنها .

١ - فهذا أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت النبي ﷺ يخرج من مكة فراراً من الإسلام، فتبعث إليه ليرجع إلى مكة ويدخل في الإسلام، فيبعث إليها برسالة هذا بعض نصها:
والله ما أبوك عندي بمتهم، وليس أحب إلي من أن أسلك معك يا حبيبة في شعب واحد، ولكني أكره لك أن يقال: إن زوجك خذل قومه فهلا عذرت وقدرت.
وواضح من الرسالة أنّ أبا العاص كان يحب زينب بدليل أنه يود ويحب أن يكون معها في طريق واحد أياً كان هذا الطريق، كما أنه كره لها أن يقال فيها ما يضايقها، ثم إنه يطلب منها في النهاية أن تعذر وتقدر، ومن أجل هذا الحب فإن زينب استطاعت أن تذهب إليه وتأتي به مسلماً.

٢ - وهذا الطفيل بن عمر الدوسي يدخل في الإسلام فتأتي امرأته لكي تقترب منه فيمنعها ويقول لها: لقد أصبحت عليّ حراماً.

قالت: ولم؟ قال: أسلمت فكان ردها: أنا منك وأنت مني وديني دينك.. وأسلمت.
وواضح من هذا الرد أنها اعتنقت الإسلام من خلال إحساسها بزواجها حيث قالت: أنا منك وأنت مني وأخذت من إحساسها أساس اعتناقها للإسلام عندما قالت: وديني دينك.
٣ - وهذه أم حكيم بنت الحارث بن هشام أسلمت يوم الفتح بمكة، وهرب زوجها عكرمة بن أبي جهل من الإسلام حتى قدم اليمن، فارتحلت أم حكيم حتى قدمت عليه باليمن، فدعته إلى الإسلام فأسلم فقدم على رسول الله ﷺ مسلماً.

٤ - وهذه أم سليم يأتي أبو طلحة ليتزوجها وهو مشرك فتأبى، وتقول له: إن أسلمت تزوجتك وصدّاقي إسلامك، فأسلم فتزوجته. (١)

وإني أتذكر الآن أن إحدى الزوجات جاءت تشتكي من زوجها وسلوكه السيئ فقلت لها: كيف حبه لك؟ فقالت مستغربة: وما علاقة هذا السؤال بسلوكه؟ فشرحت لها أن أفضل

(١) بيت الدعوة / ٤٣ - ٤٥ (رفاعي سرور).

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

طريقة للتغيير الدائم «الحب، الحب، الحب»، فتحول الحوار معها إلى: (كيف أجعله يحبني؟! ومن ثم يتكفل الحب بتغيير سلوكه).
فإذا كان الحب موجوداً بين الزوجين تنفر الأخطاء والعيوب البسيطة، وتصغر العيوب والأخطاء الكبيرة وعندها تحلو الحياة بالحب.

أفكار تساعدك على تربية الأبناء على الحب

إن موضوع الحب واسع وكبير وخاصة في تربية الأبناء، وواجب الوالدين أن يربوا أبناءهم على:

١ - حب أنفسهم؛ لأن الطفل إذا أحب نفسه أحب لها الخير، وإذا كره نفسه أحب لها الشر والانتقام.

٢ - حب إخوته؛ فهو أساس التعاون معهم في الحياة.

٣ - حب الوالدين؛ وهو أصل العلاقة الوالدية.

٤ - حب الذي لا يحب؛ المعاصي والمنكرات والمحرمات ويكره المفسدين والظالمين.

٥ - حب الله ورسوله؛ وهو رأس الحب وأصله.

ولكننا نريد أن نركز على الأفكار التي فيها يحب الابن الآخرين وهي:

١ - تعويده على أن يفصح عن حبه لمن يحبه ويعبر عنه بالقول.

٢ - تدريبه على إعطاء هدية لمن يحب.

٣ - تقوية عقيدته الدينية حتى يحب للآخرين ما يحب لنفسه.

٤ - تعليمه أن المشاركة في الألعاب والترفيه من المحبة.

٥ - بيان قصص الظالمين والمفسدين وأنهم مبعوضون من الله والناس.

٦ - إرشاده إلى محبة من يتفوق عليه وتعليمه مبادئ التنافس الشريف والخيري.

٧ - إعطاؤه مكافأة من حين لآخر إذا تصرف بسلوك فيه حب.

٨ - استماعه لكلمات الحب من الوالدين تربي عنده التعبير عن الحب، فكل إناء بما فيه ينضح.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

- ٩- ذكر القصص التي فيها الإيثار والحبّة مثل قصة الماء في غزوة تبوك.
- ١٠- الإكثار من احتضانه وتقبيله حتى يشبع عاطفياً، فالشبعان يعطي الآخر عاطفياً.
- ١١- تدريسه أحاديث النبي ﷺ في الحب.

ثالثاً: الترفيه العائلي

من أين استخرجنا هذا المفهوم:

رؤية اللعب بالسلاح

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق (١) والحراب، فإما سألت النبي ﷺ وإما قال: تشتهين تنظرين؟ قلت: نعم.
فأقامني وراءه خدي على خده وهو يقول: دونكم يا بني أرفدة (٢)، حتى إذا مللت قال: حسبك؟ قلت: نعم. قال: فاذهبي. (٣)

سباق الزوجة

وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر وهي جارية (قالت: لم أحمل اللحم ولم أبدن (٤) فقال لأصحابه: تقدموا، ثم قال: تعالي أسابقك، فسابقته فسابقته على رجلي، فلما كان بعد، خرجت معه في سفر فقال لأصحابه: تقدموا، ثم قال: تعالي أسابقك، ونسيت الذي كان، وقد حملت اللحم فقلت: كيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال؟ قال: تفعلين. فسابقته فسبقني فجعل يضحك وقال: هذه بتلك السبقة. (٥)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ، وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعات (٦) (وفي رواية: وليستا بمغنيتين) (وفي أخرى: تدفغان وتضريان)، فاضطجع على الفراش وحول وجهه، وجاء أبو بكر فانتهرني وقال: مزمار الشيطان عند النبي ﷺ فأقبل

(١) الدرق: جمع درقة وهي ترس مصنوعة من الجلد.

(٢) - بني أرفدة: أرفدة لقب الحبشة.

(٣) رواه البخاري ج ٣ / ٩٢

(٤) أسمن.

(٥) رواه الإمام أحمد انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٣١

(٦) يوم من أيام الحروب قبل الإسلام بين الأوس والخزرج في المدينة المنورة.

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

عليه رسول الله ﷺ فقال: دعهما، فلما غفل غمزتهما فخرجتا. (١)

فهذه بعض المواقف بين الحبيب محمد ﷺ وزوجته عائشة رضي الله عنها في الترفيه واللعب، كما ورد في مداعبته لها كذلك أنها إذا شربت من الإناء أخذه منها ووضع فمه في موضع فمها فشرب، وكان كذلك إذا تعرقت عرقاً - وهو العظم الذي عليه اللحم - تأكل منه أخذه منها ووضع فمه موضع فمها، وكثيرة هي الروايات في الترفيه والمداعبة، ولم يكن هذا هديه ﷺ مع زوجته عائشة رضي الله عنها فقط، وإنما كان يمزح مع الآخرين كذلك، مثل مزاحه مع خادمه أنس بن مالك ويقول له: يا ذا الأذنين. (٢)

وكذلك أتى رجل النبي ﷺ وطلب منه أن يحمله، أي: يعطيه ما يركبه، فقال عليه الصلاة والسلام: إنا حاملوك على ولد الناقة، فقال الرجل: يا رسول الله: ما أصنع بولد ناقة؟ فقال رسول الله: وهل تلد الإبل إلا النوق. (٣)

وأنت عجوز النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع لي أن يدخلني الله الجنة، فقال: يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز، فوئلت العجوز تبكي، فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، فإن الله يقول: ﴿إنا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً عربياً أتراباً﴾. (٤)

وكان زاهر رجلاً دميماً، وكان رسول الله ﷺ يحبه، فأتاه يوماً وهو يبيع متاعه، فاحتضنه الرسول من خلفه، ولا يبصره الرجل، فقال زاهر: أرسلني، من هذا؟ فالتفت، فعرف النبي ﷺ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر رسول الله حين عرفه، وجعل رسول الله يقول: من يشتري العبد؟ فقال: يا رسول الله إذن والله تجدني كاسداً، فقال رسول الله: لكن عند الله لست بكاسد. (٥)

(١) رواه البخاري ج ٣ / ٩٢

(٢) رواه الترمذي في البر والصلة وأبو داود في الأدب باب المزاح.

(٣) رواه أبو داود في الأدب باب المزاح.

(٤) رواه الترمذي في الشمائل باب المزاح.

(٥) رواه الترمذي في الشمائل وابن حبان في صحيحه.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

والترفيه واللعب من حاجات الإنسان الأساسية، ولهذا لم يفغل عنها الحبيب محمد ﷺ مع زوجاته وأصحابه، وقد أعجبنى تفسير محمد رشيد رضا في قوله تعالى: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾^(١)، حيث قال: «أي يجب عليكم أيها المؤمنون أن تحسنوا عشرة نساءكم بأن تكون مصاحبتكم ومخالطتكم لهن بالمعروف الذي تعرفه وتألفه طباعهن.. ثم قال: وكثرة عبوس الوجه وتقطييه عند اللقاء، كل ذلك ينافي العشرة بالمعروف».^(٢)

فالعيب والترفيه والمداعبات والمرح والضحك كلها كلمات يحتاجها الإنسان في حياته مع ذاته وأصحابه وأبنائه وعائلته.

ونختم برواية لمزاح حدث بين النبي ﷺ وزوجته (سودة) رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله: «صليت خلفك البارحة، فركعت بي حتى أمسكت بأنفي مخافة أن يقطر الدم».

قال: فضحك، وكانت تضحكه بالمشي أحياناً.^(٣)

لماذا يمرح مع أصحابه ويعبس لزوجته؟

اتصلت إحدى الزوجات مرة تسأل عن زوجها تقول: إنه شخصية مرحة ويحب الترفيه، ولكنه يمارس ذلك مع أصحابه وأصدقائه، أما إذا دخل بيته انقلبت شخصيته وأصبح رجلاً آخر، جاداً في كلامه مقطباً حاجبيه ويفضب لأتفه الأسباب.

وعندما تحاورتُ معها قليلاً اكتشفت أن السبب في ذلك أصل تربية هذا الرجل من صغره على مفهوم أن النساء إذا ضحكت ولعبت معهن فإن ذلك يسقط من هيبتك ومكانتك ورجولتك أمامهن.

وهذه الأفكار من مفاهيم دكتاتورية الأعراف التي نعيشها في مجتمعاتنا، وما زالت موجودة ونحن على أبواب الألفية الثالثة، وهي مخالفة لمنهج الحبيب محمد ﷺ.

لقد استطاع علماء النفس أن يحصوا من أنواع الضحك (١٨٠) نوعاً، ألا يكفي هذا الزوج

(١) سورة النساء آية ١٩

(٢) تفسير المنارج ٤ / ٤٥٦

(٣) الطبقات ٨ / ٥٤ وقال عنه الحافظ في الإصابة ٧ / ٧٢١ وهذا مرسل رجاله رجال الصحيح.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

أن يختار نوعاً واحداً فقط يسعد زوجته وأبناءه؟

لقد قرر علماء النفس من أنواع الضحك: ضحك السرور، وضحك السخرية وضحك الرضى، وضحك الطرب، وضحك الإعجاب، وضحك التربية والتشجيع، وضحك المفاجأة، وضحك البلاهة، والضحكة الصفراء للمنافقين، وضحك الاستمتاع، وضحك الحب، وغيرها من الأنواع الكثيرة.

بل إن هذا الرجل يخالف الفطرة، فالطفل تظهر عليه الابتسامة في أواخر الشهر الثاني وتظل معه إلى الموت.

وإني أعرف عائلة مرحلة، الزوج والزوجة والأبناء تدور فيما بينهم النكتة والطرفة كل يوم مما جعل علاقتهم ببعضهم قوية جداً، حتى قال لي الأب يوماً بأن مشاكل ابنه الجنسية يصارحه بها، ويرجع السبب في ذلك إلى قوة العلاقة بينهم من خلال الترفيه واللعب.

إنّ الضحك علاج نفسي للإنسان، فقد ابتكر الطبيب الأمريكي (ج. هيلمان) طريقة لعلاج الأمراض العضوية بالنكتة، فهو يكتب لمرضاه بدلاً من الأدوية نصائح مثل:

- شاهد مسرحية أو فيلماً فكاهياً قبل النوم.

- أو اسمع نكتة كل ساعتين.

وفي باريس افتتح معهد للعلاج النفسي يعقد كل صباح يوم الأحد درساً يستغرق نصف ساعة يضحك فيها الطبيب مرضاه بكل الوسائل.

بل إن هناك دراسة تثبت العلاقة بين الضحك والذكاء، وتقول إنه كلما نما ذكاء الإنسان، أضحكته مفارقات الحياة أكثر.

ولي صديق يقول: إنني حريص على أن أخبر زوجتي كل يوم نكتة، ورأيت لذلك أثراً عظيماً في علاقتنا الزوجية عندما نضحك معاً، فهذا من فوائد الضحك، وإن كانت فوائده الصحية على الطرفين أكثر.

فالضحكة تبدأ بانقباض عضلات الفم يصحبها نفس عميق، وقد تهتز اليدين والجسم كما تهتز عضلات البطن اهتزازات قوية متواصلة، مما يساعد على طرد أكبر كمية من الزفير واستنشاق كميات كبيرة من الأوكسجين، وتزداد الدورة الدموية نشاطاً أثناء الضحك،

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

وتعمل جميع الغدد والخلايا بنشاط، وتزداد العصارات في المعدة، ويتلقى الجسم إشارات اهتزازية من عضلات الحجاب الحاجز، وقد تتساقب بعض الدموع فتغسل العين، كما تنظم ضربات القلب وينخفض ضغط الدم وتسترخي جميع الأعضاء، لأن الضحك يقوم بنوع من التدليك للأعضاء الداخلية للجسم.

والآن فهمنا لماذا أوصى النبي ﷺ بكثرة التبسم فقال: تبسمك في وجه أخيك لك صدقة»^(١) فكيف إذا تبسم الزوج لزوجته أو الزوجة لزوجها.

فالضحك نعمة من نعم الله علينا، فقد قال تعالى: ﴿وأنه أضحك وأبكى﴾. ^(٢)

فنقول للزوجين: اضحكا وابتسما والعبا وافرحا في حياتكما، فإن الترفيه العائلي يفيدكما من الناحية الاجتماعية والنفسية والتربوية والصحية.

ويكفي أن نعرف أن الإنسان إذا ضحك تحركت ١٢ عضلة في وجهه، بينما إذا عبس وكشر تحركت ٤٧ عضلة، وأن العبوسين تصيبهم تجاعيد الوجه بسرعة.

فنأمل من الأزواج الذين يعبسون في وجوه زوجاتهم أن يقتدوا بحبيبهم محمد ﷺ، وأن يشجعوا الطرف الآخر بابتساماتهم وضحكهم حتى يزيدوا في العطاء للأسرة، وهذا ينطبق كذلك على الزوجة مع زوجها.

مدمن بسبب عدم الترفيه

من أبرز الخطب والمحاضرات التي قمت بها وكان لها تفاعل كبير من الحضور استغريته وتعجبت منه، محاضرة ألقيتها بعنوان «ضحك الحبيب محمد ﷺ»، فإن من يقرأ السنة ويتعرف على السيرة يجد مواقف فكاهاية كثيرة بين النبي ﷺ والآخريين، حتى قاربت أحاديث الضحك في السنة أكثر من ٢٠٠ حديث، وأكثرها تحمل الفكاهة والدعابة ولاسيما حين يخلو مع أهله.

«كما أن الكتاب والشعراء تركوا لنا آثار أدبية فنية في الدعابة والمرح، كرسالة

(١٠) جزء من حديث رواه الترمذي وابن حبان وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٩٠٥).

(١١) سورة النجم / ٤٣

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

الغفران لأبي العلاء المعري^(*)، وقصص البخلاء للجاحظ، وكتاب الأمير للأديب الإيطالي النهضوي ميكافيللي، كما شهد القرن السادس الهجري ظهور العالم ابن الجوزي وكان له الفضل على الفكاهة العربية.

فقد ألف كتابه الأول «الأذكىاء» ثم كتابه الثاني «أخبار الحمقى والمغفلين»، ثم «أخبار الطراف والمتماجنين»، وكل كتاب اختص بنوع من أنواع الفكاهة^(١) أحببت أن أذكر هذه المقدمة قبل أن أدخل في قصة المدمن الشاب بسبب عدم الترفيه حتى نتعرف على قواعدها الشرعية المتمثلة بالنبي ﷺ وعلى تراثنا وأدبنا وكل ذلك يدعم الترفيه والضحك والدعابة.

وقصتنا حدثت مع الشيخ عبدالحميد البلالي رئيس لجنة بشائر الخير المختصة في علاج مدمني المخدرات بالعلاج الإيماني وترك الشيخ ليحدثنا عما رأى وشاهد.. يقول:
أثناء زيارتنا لمستشفى الطب النفسي للقاء المدمنين مررنا بشاب لا يتجاوز عمره التاسعة عشرة، كان مدمناً للحشيش، وسبب إدمانه ضغط الوالدين اللذين لم يراعي حاجته للعب أثناء طفولته، فكانا يمنعاناه من الخروج حتى لأقربائه، وأكثر من ذلك أنهما كانا أثناء السفر للسياحة يرغبانه على عدم الذهاب إلا إلى الأماكن العلمية والمتاحف، التي تعتبر جزءاً من اهتمام الوالدين، وباختصار شديد كانت رغبة الوالدين وأملهما أن ينشأ الطفل كما نشأ، ويصبح دكتوراً يدرس بالجامعات كما حدث لهما.

النتيجة: أنه انفجر بسبب الضغط والرغبة الخيالية، والحلم الذي كانا يريدان أن يتحقق في أرض الواقع قسراً.^(٢)

إنها قصة مؤثرة ومن منا يتخيل هذه النهاية السيئة لشاب في مقتبل عمره بسبب عدم تلبية احتياجاته من الترفيه واللعب عند الصغر، إنه لموضوع خطير وجرس إنذار لكل الآباء

(*) رسالة الغفران فيه سخرية من الجنة والنار واعتبره بعض الفقهاء زنديقاً.

(١) الفكاهة والضحك في التراث العربي / ٩٤ - ٩٥ (د. رياض قزيحة).

(٢) فنون تربية الأبناء / ٦٢ (عبدالحميد البلالي).

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

والأمهات المشغولين عن أبنائهم فلا يلعبون معهم أو يخرجون معهم للترفيه، فقد يرى الوالد أن هذا الوقت ضائع بالنسبة له لا يحقق من خلاله مكسباً مادياً أو قد يفوت عليه صفقة تجارية، ولكنه نسي أنه يفوت عليه وعلى ابنه صفقة نفسية تعينهما على توازن حياتهما من جديد، فاللعب يحتاجه الكبير والصغير، واللعب يجعلنا أقدر على الإنتاج ويكسبنا الصحة والوقاية من الأمراض، يقول البروفيسور «ماندل شرممان» العالم النفسي: إن الرجل الذي يفخر بأنه لم يأخذ إجازة طيلة خمس سنوات، إنما مثله كمثل سائق سيارة يفخر بأنه لم يغير الزيت فيها خلال قطعها خمسة آلاف ميل».

ويقول كذلك: إن كثيرين يعدون «اللعب» ترفاً لا فائدة منه، كما يعدونه مضيعة للوقت، ويرون أنه لا ينبغي لهم أن يمارسوه إلا حينما لا يكون لديهم عمل، ولا شك في أن هؤلاء الذين يحرمون أنفسهم من متعة «اللعب» يعرضون أنفسهم لكثير من الأمراض العصبية والنفسية» (١).

ولهذا نلاحظ أن من هدي الحبيب محمد ﷺ بالرغم من انشغاله بتأسيس الدولة وتحفيز الجيوش إلا أنه كان لديه وقت للعب والترفيه مع الأطفال، لأنه يعلم أن هذا الوقت الذي يقضيه مع الطفل لا يقل أهمية عن الوقت الذي يقضيه في الجهاد في سبيل الله، فقد صح عنه رواية أخرجهما أبو يعلى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: رأيت الحسن والحسين رضي الله عنهما على عاتقي النبي ﷺ فقلت: نعم الفرس تحتكما! فقال عليه الصلاة والسلام: «ونعم الفارسان هما».

وروى الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ فدُعينا إلى طعام، فإذا الحسين رضي الله عنه يلعب في الطريق مع صبيان، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم، ثم بسط يده فجعل يفر ههنا وههنا، فيضاحكه رسول الله ﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه وأذنيه، ثم اعتنقه وقبله، ثم قال: «حسين مني وأنا منه»! أحب الله من أحبه، الحسن والحسين سبطان من الأسباط. (٢)

(١) كيف تكسب الثروة والنجاح والقيادة؟ / ٢٢٨ (دبل كارنيجي).

(٢) السبط: هو ولد الولد.

عاقب اللعبة لا اللاعب

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كنت أَلعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي، وكان رسول الله إذا دخل ينقمعن (١) فيُسْرِبُهُنَّ (٢) إليّ فيلعبن معي». (٣)

ونلاحظ هنا كيف راعى النبي الكريم حاجات عائشة رضي الله عنها وحبها للعب بألعابها، فلما دخل ورأى صديقاتها يخرجن بخفة أخذ يؤشر إليهن واحدة تلو الأخرى، ويدخلهن على عائشة لتستمر في اللعب معهن فتسعد.

وقد أحضرنا هذا النص لأن فيه لعبة، والألعاب في زماننا اليوم أشكال وأنواع على حسب أعمار الأطفال واجناسهم، ولكن المشكلة التربوية والتي كثيراً ما تحدث أن يتم شجار بين أخوين على لعبة، أو يتشاجر صديقان على مسجلة أو فيديو أو أي شيء يساهم في ترفيههم ولعبهم فما هو التصرف الحسن في مثل هذه الخلافات؟

هل نعاقب اللعبة؟ وكيف ذلك؟ أم نعاقب اللاعب؟

إن معاقبة اللعبة أفضل من معاقبة اللاعب وقد ضرب السيد/ محمد ديماس مثلاً فقال:
ولنضرب مثلاً موضعاً. صديق ابنك زاركم مع والدته، أخذ الولدان يلعبان بأحد الألعاب المتوفرة عند ابنك، ثم بدأ يتخاصمان عليها، أو إنهما على وشك إعطابها من جراء اللعب العابث المستهتر، في هذه الحالة يمكنك حرمانهما من الدمية بنزعها منهما (وحبسها لفترة من الزمن)، فقد تندهش والدة صديق ابنك من هذا الإجراء الذي لم تألفه في السيطرة على مثل هذا العبث، ولكنها ستتعلم منك حتماً عندما تشرحين لها الهدف من وراء هذا الإجراء.

(١) الانقماع: الدخول في بيت أو ستر.

(٢) السرب: فريق من الطير والحيوان ويقال سرب من النساء على التشبيه بسرب الأطباء، أي أرسله قطعة قطعة، وتسرب دخل. (لسان العرب ج ٢ / ١٢٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الآداب باب الانبساط إلى الناس ج / ١٠٢ رقم ٦١٣٠

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

وننوه إلى أن هذا الأسلوب ناجح ويعطي نتائج مشجعة عندما يكون البالغون مسؤولين عن عدة أطفال، من حيث الإشراف مثل المعلمين والمعلمات في صفوف رياض الأطفال، والمراكز الخاصة بالعمال والعاملات.

وتكمن الحكمة من وراء معاقبة (اللعبة) بدلاً من الذي يلعب بها وهو الطفل، في عدم إضاعة الفرص والأوقات التعليمية على الولد (وهذا بشكل خاص في مدارس رياض الأطفال). ونبه دوماً أنك حين تعقدين العزم على معاقبة طفلك، فيجب أن تختاري دوماً العقوبة غير المؤذية، والفعالة في تصويب السلوك وتبديله.

وهنا عندما تأخذين بمبدأ معاقبة لعبة طفلك بدلاً من معاقبته هو بالذات، تكونين قد لجأت إلى العقوبة الأخف وقعاً، وهي عقوبة بديلة فعالة، لأنك تحرمين الطفل من شيء سار، وله علاقة حيوية به، وأكثر من ذلك فإن هذه العقوبة هي تهديد لعقوبة أشد وهي حجز الطفل في المرحلة الثانية.

وعندما يتشاجر ولدان من أجل احتياز اللعبة أو الدمية، لا تشغلي نفسك في التفتيش عن المسبب للشجار، أو من يجب أن يلام.

ثم عليك ألا تتحيزي لأي واحد منهما، وكل ما في الأمر أنك تستطيعين السيطرة على الموقف بإجراء بسيط، وهو نزع الدمية من بين أيديهما ووضعها في الحجز، وبهذا الموقف يكون الاثنان خاسرين من وراء الشجار والخصام والتزاحم على اللعبة، وهذه الخسارة تعلمهما مستقبلاً التعامل مع تخصمهما بصورة أفضل.

خطوات تنفيذ (معاقبة اللعبة) وحجزها؛

أ- عندما يسيء طفلك استعمال اللعبة التي بين يديه عليك على الفور نزع هذه اللعبة منه ووضعها في مكان الحجز.

ب- وبالأسلوب نفسه الذي تتعاملين فيه مع طفلك عند تنفيذ عقوبة الحجز، يجب ألا يتعدى كلام الأمر الكلمات العشر، وخلال مدة عشر ثوان يتعين تنفيذ العقوبة بتجريدها منه.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

- ج - بعد حجز اللعبة، لا بأس من أن تشرحي لطفلك أسباب هذا الإجراء، ومن ثم اطلبي منه أن يكرر على مسامعك الأسباب هذه وبصوت مسموع.
- د - لا حاجة لأن يقوم طفلك بوضع اللعبة في مكان الحجز. نفذي ذلك بنفسك مع ضبط ساعة المنبه على المدة الزمنية التي تبقى فيها اللعبة محجوبة عن الطفل، حتى إذا انتهت مدة الحجز سارعي إلى استعادتها.
- هـ - بالنسبة للأطفال الذين هم في سن الثانية أو الثالثة، ضعي اللعبة بعيداً عن متناول أيديهم، وبحيث يمكنه مشاهدتها بسهولة، ومن ثم حددي الوقت في ساعة المنبه لمدة دقيقتين إلى خمس دقائق، وشرحي لولئك الأسباب التي دعت لحجز اللعبة.
- و - الأولاد الذين هم في عمر الرابعة وما فوق، لا ضرورة لوضع اللعبة المحجوزة بعيداً عن متناول أيديهم، وكل ما هنالك أنه يمكنك طلب عدم مسها إلا بعد انتهاء فترة حجزها المحددة بساعة المنبه المضبوطة. (١)

وهناك أنواع للعب وهي:

- ١ - ألعاب حركية.
- ٢ - ألعاب الكلام.
- ٣ - ألعاب الحواس.
- ٤ - ألعاب التسلية.
- ٥ - ألعاب المهارات.
- ٦ - ألعاب القيادة.
- ٧ - ألعاب التقليد.

وللعب أهمية تربوية ولهذا لا بد أن نحسن التعامل مع أبنائنا أثناء اللعب وإذا أردنا أن نعاقبهم فلنعرف كيف نعاقبهم بطريقة لا نكرهم فيها باللعب، أما الأهمية التربوية للعب فهي:

(١) كيف تغيير سلوك طفلك / ٨١ - ٨٣ (محمد آل ديماس) نقلاً عن تعديل سلوك الطفل (واطسون. ل. س) ترجمة محمد فرغلي / ١٥٨ - ١٦٠

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

- ١- اللعب وسيلة تفاعل للطفل مع البيئة.
- ٢- اللعب وسيلة التطور.
- ٣- اللعب وسيلة تعلم هامة وفعالة للطفل.
- ٤- اللعب وسيلة هامة لاكتساب أنماط السلوك.
- ٥- اللعب التمثيلي يوفر التعلم الاستكشافي.
- ٦- اللعب يوفر فرص التفاعل الاجتماعي، ويحول الطفل من تمرّكه حول ذاته إلى الاهتمام بالآخرين.
- ٧- اللعب يقرب المفاهيم.
- ٨- اللعب يوافق ميولهم الطبيعية. (١)

فاللعب إذن هو حياة للطفل، والطفل عندما يلعب فبالنسبة له هو جاد في تصرفاته وحواراته وسلوكه، بينما نحن الكبار نراه يلعب أما هو فيرى نفسه جاداً في تعامله مع الألعاب، فلنحسن التعامل مع أبنائنا كما أحسن النبي ﷺ تعامله مع عائشة رضي الله عنها.

عائلة كثيرة الضحك والترفيه

أعرف عائلة الأب فيها متميز في النكت والطرائف وكذلك الأم كثيرة الضحك وذكر النكت، حتى أصبح الأبناء كذلك، فهي عائلة تدمن الضحك ولا تعرف العمل الجاد والإنتاج، حياتهم كلها لعب وترفيه.

لاشك أن هذا الإفراط في تطبيق مفهوم الترفيه العائلي غير مطلوب، ويؤثر على شخصياتهم سلبياً، وإنني أعرف هذه العائلة جيداً، علاقة الوالدين مع الناس سيئة لأنهما كثيرا الاستهزاء بالآخرين من أجل المرح والضحك، وأبناؤهما فشلوا في الدراسة لأن الدنيا أخذوها من زاوية اللعب، حتى الأب ألح على أحد أبنائه ليكمل دراسته فأرسله إلى الخارج ولكنه رجع صفر اليدين..

(١) مجلة البنات جزء من مقال «اللعب ليس لهواً فقط»، / ٢٠ / ٢٣

إعداد: حنان بنت عبدالعزيز بن سيف.

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

إن كثرة الضحك مرض ولهذا ذكر في الأمثال العربية:

- «الضحك من غير سبب قلة أدب».

- «شر البلية ما يضحك».

- «كثرة الضحك تميت القلب».. وهذا ورد في الأثر.

ومن الأمثال العامية المشهورة:

«يا بخت من بكاني ويكي عليّ، ولا ضحكني وضحك الناس عليّ»، ولهذا أحياناً قد

يصبح الضحك والاستهزاء بالآخرين إدماناً، فقد عرف عن الشاعر «الحطيئة» أنه كثير

الهجاء للآخرين، حتى إنه في أحد الأيام التفت إلى المرأة وأنشد في نفسه قائلاً:

أرى لي وجهاً قبح الله خلقه

فقبح من وجهه وقبح حامله

ومرة بحث عن شخص يهجو فلم يجد فرأى نفسه وكان أنفه طويلاً فهجا نفسه قائلاً:

أرى لي أنفاً تأنف منه الأنوف

أنت بالقدس تصلي وهو بالحرم يطوف

إن مثل هذا في واقعنا كثير ممن خلطوا الهزل بالجد وأصبحوا لا يفرقون بينهما، ولهذا

فإن الشعوب تنظر إلى الضحك نظرات متباينة.

فالبريطانيون يعتبرون من دعاة النكتة، وعندهم مثل مشهور «اضحك تسمن».

والفرنسيون يشتهرون بالفكاهة والضحك.

والألمان يعرفون بالجد والتجهم.

واليابانيون اشتهروا بالكد والدأب.

والصينيون اشتهروا بالسخرية والمرح (x)

(x) عندي صديق صيني اسمه الشيخ إبراهيم حدثته مرة عن الترفيه في الصين فقال لي: إن عندنا مثلاً صينياً يقول: «إذا ضحكنا مرة يرجع سنك عشر سنوات»، ثم كتب لي هذا المثل بالشكل

التالي: ㄨㄨ X - ㄨㄨ X ㄨㄨ

وعرف الشعب المصري بتطلعه للنكتة وتأليفها، كما عرف بحيله لتحويل الأحداث
المأساوية إلى وقائع ساخرة. (١)

وإن كانت الشعوب متفاوتة في موضوع الضحك والترفيه إلا أن الترفيه اليوم أصبح
صناعة، فليستثمر أفراد العائلة هذه الصناعة في إشاعة روح السعادة بين أفراد الأسرة
وزيادة المحبة والألفة بينهم.

أفكار تساعدك لتحقيق الترفيه العائلي

- ١- اقتطع وقت أسبوعي من جدول أعمال الأب لمشاركة عائلته الترفيه واللعب.
- ٢- مشاركة الوالدين أبناءهم في الترفيه واللعب اليومي ولو للحظات قليلة، سواء
أكان ذلك داخل البيت أم خارجه.
- ٣- تشجيع الأطفال على الترفيه واللعب من الصغر حتى يصلوا لدرجة الإشباع، لأن
حياة الأطفال كلها لعب.
- ٤- وضع أهداف للأبناء كلما كبروا في السن ليتعودوا على اللعب والترفيه، وأن يكون
لديهم الشخصية الجادة والمنتجة التي تحقق الأهداف.
- ٥- شراء الوالدين لأبنائهم الألعاب بشكل مستمر على حسب أعمارهم.
- ٦- السفر مع الأبناء في فترة الصيف والذهاب معهم إلى أماكن الترفيه وكذلك
الأماكن الثقافية والتعليمية.
- ٧- التركيز على الترفيه الهادف وخاصة في هذه الأيام، حيث كثير من الألعاب لها
طابع تعليمي.
- ٨- عمل مسابقة عائلية يومية لأفضل نكتة أو موقف فكاهي.
- ٩- الاستفادة من الوقت الذي تكون فيه العائلة في السيارة أثناء الطريق فيقضونه
في الترفيه واللعب.
- ١٠- توجيه الأبناء أن يكون ترفيههم ولعبهم للمتعة، وأن لا يكون على حساب إيذاء
الآخرين وظلمهم.
- ١١- توفير مكتبة خاصة للأبناء فيها كتب ترفيهية وألغاز وألعاب وتساوي.

رابعاً: حسن الاستماع

من أين استخرجنا هذا النص:

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جلس إحدى عشرة امرأة، فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن شيئاً من أخبار أزواجهن.

قالت الأولى: زوجي جمل غث^(١) على رأس جبل، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل. وقالت الثانية: زوجي لا أبثُ خبره إنني أخاف أن لا أذره^(٢)، إن أذكره أذكر عجره^(٣) وبُجره^(٤).

وقالت الثالثة: زوجي العشنقُ إن أنطقِ أنطقِ وإن سكتِ أخلقِ.

وقالت الرابعة: زوجي كليل تهامة^(٥) لا حر ولا كر ولا قر^(٦)، ولا مخافة ولا سامة^(٧).

وقالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد^(٨) وإن خرج أسد ولا يسأل عما عهد^(٩).

وقالت السادسة: زوجي إن أكل لف^(١٠) وإن شرب اشتف^(١١) وإن نام التف^(١٢) ولا يولج

(١) غث: الغث: النحيف والضعيف ازدادت أن زوجها لا يدعوه الناس إلى بيوتهم لبخله وقلة خيره، وهو مع ذلك شرس في أخلاقه ومتكبر.

(٢) لا أذره: أي تخاف أن ذكرته أن يطلقها.

(٣) العجر: الغلظ والسمن والجمع عجر.

(٤) البجر: الشر والأمر العظيم، والمراد: أنها لا تريد الكلام عنه كي تبقيه وإذا ذكرت شيئاً فإنما تذكر عجره وبجره، يقال ذكره عجره وبجره: عيوبه وأمره كله ما أخفى منه وما أبدى.

(٥) كليل تهامة: تهامة هي أرض منخفضة بين ساحل البحر وبين الجبال في الحجاز واليمن وهو تشبيه بليل تهامة في أن معتدل لا حر شديد ولا برد قارس ولا خوف ولا سامة.

(٦) قر: برد.

(٧) سامة: ستم الشيء سامة: مل والسامة: الملل.

(٨) فهد: فهد الرجل فهداً: كثر نومه كفهد وتراخى في أداء ما يجب عليه.

(٩) ولا يسأل عما عهد: المعنى أنه لا يتفقد ماله وغيره لكرمه، والمراد أن زوجها إن دخل البيت فهو كثير النوم قليل المسؤولية داخله، وإذا صار بين الناس كان كالأسد لشجاعته، يقال: أسد تخلق بصفات الأسد.

(١٠) لف: في الأكل: أكثر منه مخلطاً من صنوفه مستقصياً.

(١١) اشتف: اشتف ما في الإناء: استقصاء وشرب ما في قعره.

(١٢) التف: بثوبه اشتمل به وهو كناية عن عدم قربه منها.

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

الكف ليعلم البث (١)

وقالت السابعة: زوجي غياباء أو عيائاً (٢) طباقاء (٣)، وكل داء له داء شجك (٤) أو فلك (٥) أو جمع كلالك (٦)

وقالت الثامنة: زوجي المسّ أرنب (٧) والريح ريح زرنب (٨)

وقالت التاسعة: زوجي مالكٌ وما مالكٌ خيرٌ من ذلك، له إبل كثيرات المبارك (٩) قليلات المسارح (١٠) إذا سمعن صوت المزهرة أيقن أنهن هوالك.

وقالت العاشرة: زوجي رفيع العماد (١١) طويل النجاد (١٢) عظيم الرماد (١٣) قريب البيت من الناد (١٤)

وقالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع، وما أبو زرع أناسٌ من حليّ أذني (١٥) وملأ من شحم عضدي (١٦)، وبجحني فبجحت إلى نفسي (١٧)، وجدني في أهلي غنّيمة (١٨) بشقٍ فجعلني

(١) البث: الحزن أو الشدة الذي لا يصبر عليه صاحبه، والمعنى: أن زوجها من النوع الغريب أو اللامبالي يأكل كل ما يراه ويشرب كثيراً ولا يقربها ولا يبحث ليعلم ما الذي يحزنها فلا شفقة له عليها.

(٢) عيائاً: من العي وهو الضعف، تريد: ضعفه عن الجماع.

(٣) الطباقاء: الذي أمره مطبقة عليه مفضاة.

(٤) شجك: شحه: شق جلد رأسه أو وجهه.

(٥) فلك: من الفل وهو الكسر والثلث.

(٦) تحكي المرأة فتقول: زوجي ضعيف عن الجماع والمعاشرة الجنسية وزد على ذلك أنه شديد الضرب لا يبالي ماذا أصاب.

(٧) المس من أرنب: المراد أنه لين الجانب حسن الخلق.

(٨) زرنب: نبات طيب الرائحة، والمراد: أنه من نظافته كان كالزرنب.

(٩) كثيرات المبارك: المبارك مكان البروك وهو كناية عن كثرة بروكها لتحلب ويسقي حليبها وتنحر.

(١٠) قليلة المسارح: جمع مسرح وهو مرعى المشاة وكن قليلات المسارح لأنهن يحبسن كي يذبحن للضيوف.

(١١) رفيع العماد: خشبة تقوم عليها الخيمة، ويقال فلان رفيع العماد: أي شريف.

(١٢) طويل النجاد: النجاد: حمائل السيف، ويقال: طويل النجاد أي طويل القامة.

(١٣) عظيم الرماد: ما تخلف عن احتراق النار، وهو كثير الرماد: أي كريم.

(١٤) قريب الناد: النادي مكان مهياً لجلوس القوم فيه، وهي كناية عن كرمه لكثرة ارتياده النوادي.

(١٥) أناس من حليّ أذني تعني: حركهما بما ملأهما من ذهب وتؤلؤ ونحوه.

(١٦) ملأ من شحم عضدي: العضد: ما بين المرفق إلى الكتف وسمن العضد دليل على سمن البدن وهو كناية عن كثرة طعامه لأهله وكرمه.

(١٧) بجحني: أفرجني وبجحت إلى نفسي: فرحت بها.

(١٨) وجدني عند أهلي غنّيمة بشق: الشق: الجهد والمشقة، وغنّيمة: تصغير غنمة.

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

في أهل سهيل (١) وأطييط (٢) ودائس (٣) ومنق (٤) فعنده أقول فلا أقبح (٥)، وأرقد فأتصبح (٦)، وأشرب فأتقمح؟
أم أبي زرع، فما أم أبي زرع!! عكومها (٧) رواح وبيتها فساح (٨)
ابن أبي زرع، فما ابن أبي زرع!! مضجعه كمسل شطبة (٩) وتشبعه ذراع الجفرة (١٠).
بنت أبي زرع، فما بنت أبي زرع!! طوع أبيها وطوع أمها، وملء كسائها (١١) وغيظ جارتها.
جارية أبي زرع، فما جارية أبي زرع!! لا تبت حديثاً تبثياً، ولا تتكث ميرتنا (١٢) تنكيثاً، ولا
تملاً بيتنا تعشيشاً؟

قالت: خرج أبو زرع والأوطاب تمخض (١٣)، فوجد امرأة معها ولدان لها كالفهدين، يلعبان من
تحت خصرهما برمانتين، فطلقني ونكحها، فتزوجت بعده رجلاً سرياً (١٤) ركب شرياً (١٥)
وأخذ حطياً، وأراح عليّ نعماً ثرياً، وأعطاني من كل رائحة زوجاً، وقال: كلي أم زرع وميري
أهلك، فلو جمعت كل شيء أعطاني ما بلغ أصغر آنية أبي زرع. قالت عائشة رضي الله عنها:

- (١) سهيل: صوت الخيل.
- (٢) أطييط: صوت الإبل.
- (٣) دائس: يقال: داس الحصيد ليخرج منه الحب فهو دائس.
- (٤) منق: الذي ينقي الحب ويفرله، والمراد أنهم أصحاب زرع.
- (٥) فلا أقبح: أي لا يرى ما أقوله قبيحاً بل يستظرفه.
- (٦) أتصبح: حتى الصباح وهذا يعني أن هناك من يكفيها العمل والموؤنة من الخدم.
- (٧) عكومها: مفردها عكم وهو الثوب.
- (٨) فساح: واسع كبير، من فسخ المكان إذا اتسع.
- (٩) كمسل شطبة: سل الشيء: انتزعه وأخرجه برفق، شطبة: قطعة تقطع طولاً، والمعنى أنه مهفهف كالسيف المسلول من غمده.
- (١٠) الجفرة: ما عظم واستكرش من ولد الشاء والمعزى.
- (١١) ملء كسائها: الكساء: اللباس أي تملأ ثوبها لامتلائها.
- (١٢) الميرة: الطعام يجمع للسفر ونحوه.
- (١٣) الأوطاب: جمع وطب وهو سقاء اللين، وتمخض: تحرك لإخراج الزيد.
- (١٤) سرياً: الشريف أو السخي.
- (١٥) شرياً: فرساً يتشرب في مشيه أي يلج فيه بلا فتور.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

فقال لي رسول الله ﷺ كنت لك كـ «أبي زرع» لـ «أم زرع» - (أخرجاه - وخرّجه أبو حاتم).
وعنها رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ألا ترضين أن أكون لك كـ «أبي
زرع» لـ «أم زرع»؟»

وجاء في بعض طرق هذا الحديث: كنت لك كـ «أبي زرع» لـ «أم زرع» في الألفة والرّما (١)،
لا في الفرقة والخلا. (٢)

وروى هذا الحديث الإمام البخاري وذكره ابن حجر في فتح الباري الجزء التاسع ص ٢٥٤
(باب حسن المعاشرة مع الأهل).

هذا موقف، وغيره كثير من حياة الحبيب محمد ﷺ مع زوجاته وأبنائه يرينا فيه على
حسن الاستماع، ولعل القارئ يدرك كم هي انشغالات الحبيب محمد ﷺ على المستوى
السياسي والاقتصادي وتأسيس الدولة ومعالجة مشاكلها، وانشغاله مع ربه ومراجعة
القرآن الكريم، ومع هذا كله استمع إلى حديث عائشة رضي الله عنها النسوي، والذي لا
يضيف شيئاً إليه سوى أخبار اجتماعية عن أحد عشر بيتاً وحياة كل زوجين فيها، وهذه
الحكاية لا تعتبر من أولوياته، إلا أنه أعطاها كل الاهتمام والتقدير وحسن الإنصات، بل
وأضاف عليها تعليقاً جميلاً يراعي فيه نفسية زوجته الباحثة عن الأمان حيث قال لها:
«وأنا لك كأبي زرع لأم زرع إلا أنني لا أطلق».

فالاستماع خلق عظيم تفتقده كثير من الأسر اليوم، وأذكر أننا ونحن صفار تعلمنا في
المدرسة وفي البيت كيف نكتب ونقرأ ونتحدث، ولا أذكر أن أحداً علمنا كيف نستمع، ولهذا
نجد عندنا اليوم مشاكل كثيرة في الحوار أو في الفهم وكلها مصدرها عدم السماع
الحسن، وفي الأمثال الإنجليزية «من الإصغاء تأتي الحكمة، ومن الكلام تأتي الندامة»،
وقال مصطفى المنفلوطي: «أول العلم الصمت، والثاني حسن الاستماع، والثالث الحفظ،
والرابع العمل به، والخامس نشره» (٣)

(١) الرما: الإصلاح.

(٢) الخلا: هو من التخلية أي الفراغ.

(٣) موسوعة روائع الحكمة / ٣٤٤ د. روعي البعلبكي.

﴿زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر﴾

فالاتماع له فوائد ومزايا فيما لو أحسن كل زوج الاتماع للآخر... ومن فوائداه، أنه يساعء على حسن الفهم للحءء والظروف المءىطة به، وءءعلم المسمءم طرءقة تفكءر الآخرءن، كما أنه يعطء المسمءم الجءء هءبءة واحءراماً وءءعله فء أءءن الناس أكثر ءكمة وفهماً، كما أن الاتماع الحسن ءلبء ءابءة الآخرءن فءما ءقولون وءءءءءون، وءءءل ءلهم السرور.. ولو أحسن الزوجان الاتماع لاسءطاعا أن ءمءصا غضب كل واحد منهما الآخر، فالءذء ءزءء من غضب الإنسان لا ءسمعه الطرف الآخر، ولعل من ءراءب ءضابا الطلاق الءء ءرضء ءلى ءضبءة زوجة ءقول بأن زوجها ءءاورها ولكنة لا ءسمعها فءءاءء ءءءءكء من ذلك.

وءذكر ء. ءءءالكراءم بكاء كلمة لطءفة فء شأن الاتماع فءقول: «ءولد الإنسان صارءاً،

ءم ءءعلم الكلام،

وءمءل الطفل إلى الإءءار من اللفوء،

ءم ءءعلم الإنصاءء،

وهكذا ءءمو ملكاءءا وءبراءءا لءءعلم مءى نءكلم، ومءى نءكء، وءءف نءكلم، وءءف نءفءى»

ءم قال: «وقء ءلق الله للإنسان لساناً واحءاً وأءنءن ءءى ءسمع ضءف ما ءءكلم» (1)

فالأءن من الأءواء الءء ءءفاعل مع الءءء سراءاً، إء ءمكن للإنسان أن ءسمع لءءء وءءاءر

به قبل أن ءراء، ولهذا فءن هناك أنواعاً للاتماع، منها الاتماع من أجل **المءءة** وهو الءذء

ءشغل أكبر مساءة من وقت الاتماع لءى الناس.. أما الاتماع الءانى فمن أجل **المءرفة**

كالاتماع للعلم والمءرفة، والقصص والأءبار من الأصدقاء، وأما الاتماع الءالى فمن أجل

المساءءة كالاتماع إلى الشكاوى والمساءل. وهناك اسءماع **للمشاركءة** وكل هءءه الأنواع

نءءا ءلها فء العلاءة الأسراءة وءنءفء أن نءرص على ءوءءها.

(1) الزمان الصءب ء 5 / 89 ء. ءءءالكراءم بكاء.

انتحروظن أن زوجته لا تسمعه

سأذكر قصة حدثت في عام ١٩٥٠ ميلادية لرجل رمى نفسه من أعلى مبنى مؤلف من خمسة طوابق، ثم نجا بأعجوبة وصُدم عندما علم بأن زوجته تسمع له، ولندع «دوروثي كارنيجي» تحكي لنا القصة فتقول:

في ديسمبر عام ١٩٥٠، ألقى رجل، يدعى «بل جونز»، بنفسه من أعلى مبنى مؤلف من خمسة طوابق، هرباً من قلقه ومخاوفه، وفراراً من الدائنين الذين راحوا يلاحقونه ويسدون عليه السبل بعد أن أفلست تجارته التي كانت يوماً تجارة رائجة مزدهرة! على أن «بل جونز» كان يريد بانتحاره أن يتخلص من شيء آخر: هو إحساسه بأنه لا يستطيع أن يشرك زوجته في همومه ومتاعبه!

كان يرى زوجته فخورة مزدهية بنجاحه في عمله، ومن ثم لم يقو على أن ينهي إليها ما يقوض أركان سعادتها، ويفضي بها إلى قرار سحيق من العار واليأس.

وما لبث اليأس المروع الذي يعتمل في صدر «بل جونز» أن دفع به إلى قمة المبنى الذي يشغله متجره.. ووقف هنالك متردداً برهة، ثم قفز إلى الفضاء..

واندفع عبر الطوابق الخمسة متجهاً إلى الأرض.. وصادف جسمه عندما بلغ الطابق الأول مظلة منصوبة على إحدى النوافذ فاخرقها، وحط أخيراً على إفريز الشارع!

وكانت كل قوانين الطبيعة تشير إلى أنه ملاق حتفه لا محالة، ولكنه لفرط العجب لم يصب بشيء... إلا بكسر في ظفر إبهامه!

ومن عجائب القدر أن المظلة التي أنقذته من موت محقق، كانت هي الشيء الوحيد في متجره الذي سدد ثمنه كاملاً!!

وعندما عاد إلى «جونز» وعيه، فألقى نفسه حياً يرزق، وبدت له متاعبه الثقيلة عندئذ تافهة حقيرة بالقياس إلى هذه المعجزة الكبرى التي وقعت له! لقد كان منذ خمس دقائق قبل ذلك

يرى الحياة اضطراباً لاجدوى منه ولا مخرج، فإذا هو يحس للعيش لذة وللحياة نشوة! وهرول إلى منزله، حيث بث قصته كاملة بين يدي زوجته، وبدا عليها للحظة أنها منزعة

مهمومة.. ولكنه ما لبث أن عرف أن منشأ همها وانزعاجها أنه لم يحدثها بمتاعبه من قبل!

وجلست الزوجة في التو واللحظة، وراحت تدير له الوسائل الكفيلة بحل صعابه ومشكلاته.. وللمرة الأولى منذ شهور عدة، استطاع «بل جونز» أن يهدأ نفسياً، وأن يفكر تفكيراً إنشائياً.

واليوم يمتلك «جونز» تجارة رائجة، راسخة القدم، ولا يدين لأحد بمال لا يقوى على سداده! وأعظم من هذا أنه تعلم أن يشرك زوجته في أفراحه كما يشركها في أتراحه، وفي هزائمه كما في انتصاراته.

لقد أوشك «بل جونز» أن يفقد حياته، لأنه تشكك في أن تكون زوجته «مستمعة طيبة»! وتدل قصة جونز على أنه ليس خطأ الزوجة على الدوام ألا يثق بها زوجها ويركن إليها.. فبعض الرجال، مثل جونز، يرون، خطأً، أنه من المنافي للكرامة أن يرهقوا زوجاتهم بمتاعبهم وهمومهم.. إنهم يبتغون أن يكونوا مصدر خير، ونعمة، وبركة على الدوام، فإذا جرت الأمور على غير ما يشتهون، أو ساءت الأحوال، حاولوا أن يخفوا الحقيقة عن زوجاتهم، وأشفقوا أن تتسلل المخاوف ودواعي القلق إلى رؤوسهن الجميلة». (١)

فنقول للزوجات: «كوني مستمعة طيبة لزوجك»، ونقول للأزواج: «ثق بزوجتك وتحدث معها بهمومك»، فالإنسان يستقر ويرتاح إذا وجد من يستمع إليه ويشاركه.

فلكل شيء في الكون لغة يعبر بها ويجب من يسمع لغته ويفهمها، ونحن بني الإنس لنا لغتنا الخاصة ونحب من الآخرين أن يسمعونا، وكذلك الطيور لها لغة، وأذكر أنني اطلعت على مقال نشرته مجلة «كل الناس» من صفحة (٤٦ وحتى ٤٩) تحت عنوان «دكتوراة في لغة العصافير» ومحتوى المقال يتحدث عن د. أمال صفوت وهي مصرية الجنسية وقد حصلت على رسالة الدكتوراة في لغة العصافير، وتقول هي في المقال: بأن علاقتها بالعصافير كانت مجرد هواية، ثم تطورت الهواية إلى أن أصبحت تتحدث معها ونجحت

(١) ادفعي زوجك إلى النجاح / ٣٤ - ٣٥ (دوروثي كارنيجي).

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

في تعليمهما الكلمات بعد برنامج تدريبي مكثف، ومما لفت نظري استماع الدكتورة للعصافير عندما تتحدث واستماع العصافير إليها عندما تتحدث.

فالاستماع إذن مطلب أساسي وليس بالضرورة أن نوصل الرسالة بألفاظها كما سمعناها للطرف الآخر، وإنما لابد من تغيير الألفاظ بما يتناسب ومقام المستمع، ولهذا نلاحظ أن عيسى عليه السلام عندما سمع طلبات الحواريين بألفاظ معينة تحاور معهم ولكنه نقلها إلى الرب عز وجل بألفاظ أخرى تليق بمقام الله تعالى، ونلاحظ ذلك من الآية الكريمة:

﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي ورسولي قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون، إذ قال الحواريون: يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء، قال: اتقوا الله إن كنتم مؤمنين. قالوا: نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا، ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين، قال عيسى ابن مريم: اللهم رينا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا، وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين، قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾. (١)

نلاحظ أنهم قالوا: إنهم يريدون مائدة لأربعة أسباب، وهي (ليأكلوا منها، وتطمئن قلوبهم، ويعلموا أنه صدقهم، ويكونوا عليها من الشاهدين).

هذا ما سمعه عيسى عليه السلام، ولكنه عندما نقل الرسالة طلب من ربه مائدة من السماء ولم يذكر الأسباب التي ذكروها، وإنما ذكر ثلاثة أشياء بما يتناسب ومقام الرب عز وجل وهي (لتكون لهم عيداً، وآية من الله، ورزقاً من عند الله تعالى).

فهذه الآيات مدرسة للزوجين في الاستماع بأنهم إذا سمعوا خبراً أو حدثاً أو معلومة فلينقلوها بطريقة تتناسب وشخصية الطرف الآخر، وهذا من فقه الاستماع الذي نتعلمه من عيسى عليه السلام.

ولهذا أوصى أحد الآباء ابنته عند زواجها بحسن الاستماع لزوجها وأن لا تتطرق في سورتها حين يغضب فقال:

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

فعليك بأطيب الطيب، الماء، وأحسن الحسن الكحل، وإياك وكثرة المعاتبة، فإنها قطيعة للود، وإياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وكوني لزوجك أمة، يكن لك عبداً، واعلمي أنني القائل لأمك:

خذني العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سؤرتي حين أغضب

ولا تنقريني نقر الدف مرة فإنك لا تدرين كيف المغيب

فإني وجدت الحب في الصدر والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب. (١)

فالاستماع سر السعادة الزوجية فيما لو أحسن كل زوج الاستماع للآخر، وفي الأمثال العربية «من علامات العاقل حُسن سمته وطول صمته».

كيف نستمع لأبنائنا عندما يتحدثون؟

قد يبدو للوهلة الأولى أن كلام أبنائنا تافه ونراه من زاوية ضياع الوقت، ولكن الحقيقة غير ذلك، فكلامهم مهم والاستماع إليهم أهم، لكي نساهم في بناء شخصية أبنائنا، فعندما نستمع إليهم، فإننا نشعرهم بأنهم مهمون، وبذلك نربيهم على حسن الاستماع للآخرين، كما أننا عند الاستماع لهم سنشجع حوارهم الداخلي بأننا نحبههم ونحترمهم ونقدرهم، وإلا فستكون كارثة على نفسياتهم، كما حدثت هذه الكارثة على طفل عمره ١٤ سنة، وهو في سن المراهقة عندما هرب من بيت والديه، ويروي لنا الدكتور «كريج تايلر»، وهو أحد المعالجين النفسيين هذه القصة.. فيقول:

إن زوجين استعاننا به لمساعدة ابنهما الذي يبلغ من العمر ١٤ عاماً، وكان هذا الصبي قد هرب من المنزل، ثم رجع إليه بعد عام كامل، ومع أن الأبوين كانا سعيدين حين عرفا أن طفلهما بخير، فإن الأمر لم يتحسن عن ذي قبل، طبقاً لما قاله ذلك المراهق الصغير.

يقول الدكتور «تايلر»: وبمجرد أن فزت بثقة هذا الصبي، لم أقض وقتاً طويلاً حتى اكتشفت المشكلة، فقد أخبرني هذا الصبي بأن أبويه لم يكونا يهتمان به، ولم يفعلوا أي شيء معاً من أجله، لقد قال أيضاً إن أباه لم ينظر إليه أبداً حين كان يحاول الحديث معه، وإن كل ما كانت

(١) الأغاني ج ١٨ / ١٢٨ للأصفهاني ونقلتها من أروع ما قيل في الزواج / ٧٨ لإميل ناصف وتنسب الأبيات لأبي الأسود الدؤلي وهي في ديوانه / ١٤٠

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

أمه تفعله هو أن تويخه على شعره الطويل، ولكنها هي الأخرى لم تكن تستمع إليه أبداً. لقد قلت لهذين الأبوين: إن عليهما أن يهتما بابنهما، لقد أخبرتهما بأن هذا الاهتمام يقتضي منهما أن يهبا ابنهما شيئاً ذا قيمة، وفي هذه الحالة، كان هذا الشيء القيم هو وقتها وانشغالها بمصالحهما ومتعهما الشخصية الخاصة. قلت لهما أيضاً: إن غياب اهتمامهما بابنهما يعني أنهما ينبذانه، ولهذا فعندما يفشلان في الاهتمام به، فإنهما يجعلان منه منبوذاً والنبت مرض مؤلم، علاجه في الاهتمام وهذا هو الأمر كله ببساطة.

إن أسلوب الاهتمام هذا سيقطع مشواراً طويلاً على الطريق لحل المشكلات الانضباطية التي تواجهها مع أطفالك، إنني أعلم هذا علم اليقين، فقد ربيت ثلاثة أبناء. (1) إن كثيراً من الآباء والأمهات يقومون في مثل هذا الخطأ، وقد لا يتخذ ابنهم قراراً بالخروج من المنزل ويعتزلهم، ولكنه يتخذ قراراً باعتزالهم والخروج من المنزل نفسياً وعاطفياً، فيحصل التفكك الأسري بسبب انعدام حسن الاستماع، وإن المتتبع لهدي الحبيب محمد ﷺ يرى أنه كان يستمع:

- لزوجاته.

- وأبنائه.

- وأحفاده.

- وأعدائه.

- وحتى للحيوان.

- ويستمع للمجنون.

- وللطفل.

- وللعجوز.

ولا يقل أحد إن هذا حديث قليل الأهمية فإنه يعلمنا أن نحترم الآخرين من خلال الاستماع لهم، كما مر معنا في حديث «أبي زرع» الذي روته السيدة عائشة رضي الله

(1) الدليل الدائم للنجاح مع الناس / ٢٢٩ جيمس فان فليت.

عنها، وقد ذكرت مجلة الجيل موضوعاً قيماً لكيفية الاستماع للأطفال في ست عشرة نقطة وهي:

- ١- تذكر دائماً أن الله أعطانا أذنين وفماً واحداً، فعلياً أن نستمع مرتين قبل أن نتكلم مرة، وهذا واجبنا تجاه أطفالنا.
- ٢- حاور طفلك وتابع مناقشاته.
- ٣- كن صبوراً، لا تنتزع الكلمات من فم طفلك ولا تنه جمل حديثه بالمقاطعة.
- ٤- أصغ إليه ولا تقاطعه، فالتواصل مع الطفل كلعبة التنس مثلاً تحتاج إلى تدريب، فدرّب نفسك أن تصغي لطفلك.
- ٥- وحين التحدث معه لا تشح بوجهك عنه من النظر إليه مباشرة.
- ٦- فليكن حضورك معه عادياً وليس كابساً على أنفاسه، اجلس إلى جانبه وأنتما تسمعان الموسيقى معاً. (أفضل أن يكون القرآن أو النشيد)
- ٧- الغضب؟ تريث قليلاً قبل التفوه معه بكلمات غاضبة.
- ٨- عندما تذهب وإياه في رحلة، درّش معه وسيذهلك بما يقوله، لأن الحادثة الخاصة معه تحفزه إلى الحديث بعفوية.
- ٩- سلّه الأسئلة الصحيحة، ولا تبدأ ذلك بسؤاله لماذا؟ لأن هذه الـ «لماذا» تضعه كما كل إنسان في موقف الدفاع خاصة الطفل.
- ١٠- أشركه في مشكلة أنت تعاني منها واطلب رأيه.
- ١١- سلّه عما جرى في المدرسة في اليوم السابق؛ كيف كانت الألعاب الرياضية؟ وهل المدرس راض عن رسمك؟
- ١٢- حاول أن تشعره أنك تقتطع من وقتك للتحدث معه والأمهات العاملات عليهن الاتصال بأطفالهن هاتفياً من مراكز عملهن، لإشعارهم بأن هناك من يهتم بهم.
- ١٣- شاركهم في عواطفهم، أفراحهم أو قلقهم، فكما أنت تترتاح إلى من يبادلك العواطف كذلك الأطفال يشعرون الشعور نفسه.
- ١٤- ضع جريدتك جانباً وأطفئ التلفزيون، وضع كل أفكارك جانباً وركز على الحديث مع طفلك.

١٥ - لا تنبه طفلك دائماً إلى خطئه في هجاء بعض الكلمات والتعابير.. يمكن تنبيهه لذلك بأسلوب آخر فيما بعد. (١)

إنها لأفكار واقتراحات جميلة، إذا وفقنا الله تعالى للعمل بها، ولو سألنا القارئ الآن: كم دقيقة في اليوم تصرفها على الحديث مع أطفالك من غير انشغال بشيء آخر؟ طرحت هذا السؤال مرة في إحدى الدورات التدريبية، وكانت الإجابات متفاوتة، أقلها أتحدث معهم في الإجازات فقط نصف ساعة، وبعضهم قال: يوماً خمس دقائق، وأكثرهم قال يوماً عشرين دقيقة، وكانت الإجابة من الرجال، وعندما طرحت السؤال نفسه على النساء استغربت عندما سمعت منهن إجابات قريبة من إجابات الرجال!! ثم نلوم أبناءنا إذا كبروا بأنهم لا يسمعون ولا يطيعون «قل هو من عند أنفسكم»، فلنلتفت إلى ذواتنا ولننم مهارة الاستماع لدينا وعندها سنجد أبناءنا متميزين في الاستماع.

وأذكر أنني حضرت مؤتمراً للناشئة في «شيكاغو» عام ١٩٩٧، وكان الحضور خمسة آلاف شاب وشابة، يستمعون إلى فتاة عمرها خمسة عشر عاماً تروي لهم قصة حجابها، وكيف أن أصدقاءها في المدرسة يستهزئون بها، وهي تدافع عن دينها، وكانت مدة المحاضرة ساعة تقريباً، ومما لفت نظري أن المستمعين من الناشئة لم يتحرك أحد منهم من كرسيه، وكانوا يستمعون بأدب ويتفاعلون مع المحدثة تفاعلاً عظيماً، وبعد أن انتهت المحاضرة صفقوا لها ثم قاموا بنظام...

فسألت أحد المشرفين المختصين هناك عن سر بقاء الشباب والفتيات وعدم حركتهم لمدة ساعة، علماً بأن أصغرهم سناً عمره ثماني سنوات وأكبرهم سبعة عشر عاماً ولو كانوا من أبنائنا لما استطاعوا البقاء على الكرسي أكثر من عشر دقائق، فقال لي: إن الطفل في أمريكا يتعلم الاستماع من المدرسة، ويؤكد ذلك والداه في البيت فيحسن الاستماع ويشعر بأنه محترم، أما عندكم - ويقصد في بلادنا - فلعلكم لا تعلمونهم الاستماع في المدرسة أو في البيت، فقلت في نفسي: صدق والله، فالاستماع دليل احترام الإنسان وتقديره،

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

وحسن الحوار دليل فهم نفسية المتحدث، وقد أعجبنى ما قرأته من أمثلة الحوار مع الطفل بعد الاستماع إليه في كتاب «بين الآباء والأبناء» فيقول المؤلف عن حوارنا مع أبنائنا إنه ينبغي أن نفهم كلامهم ونجيبهم على كلامهم بنقلهم من الحدث إلى العلاقة أو الأحاسيس، أو من العام إلى الخاص، ويضرب أمثلة:

من الحدث إلى العلاقة: عندما يروي طفل أي حدث أو يسأل عنه، فمن الأفضل دائماً عدم الاستجابة للحدث، بل للعلاقة الضمنية.

إذا اشتكت ابنتك أنها أصبحت مؤخراً تتلقى منك هدايا أقل من أخيها، أكدي لها أنك تحبينها بقدر ما تحبين أخاها.

من الحدث إلى الأحاسيس: عندما يروي طفل حدثاً ما، فمن المفيد أحياناً عدم الاستجابة للحدث نفسه، بل للأحاسيس المحيطة به.

إذا جاء ابنك حزيناً إلى البيت، لأن مدرسته وصمته بالكذب أمام زملائه في الصف، تفهمي أحاسيسه تجاه المدرسة في ذلك الوقت.

من العام إلى الخاص: عندما يقول الطفل شيئاً عن نفسه فليس من المرغوب منه غالباً الاستجابة بالموافقة أو عدم الموافقة، ولكن بتفاصيل تحمل للطفل فهماً أبعد مما يتوقع.

إذا قال طفلك: أنا لست صالحاً في الرياضيات، لن يفيد أن تقول له: نعم، أنت خيبة مع الأرقام، أو أن تسدي له نصائح بمزيد من الدراسة، قد يفيد أن تقول: «الرياضيات ليست

موضوعاً سهلاً»، أو «نحن نشق أنك ستفعل ما في وسعك». (١)

فهذا فن من فنون الحوار لا نحسنه إلا إذا أحسننا الاستماع.

شتمت ابنها ٧٢ مرة في ٢٥ دقيقة

هذا ما ذكرته «عايدة أحمد صلال» في كتابها فقالت:

شكت والدة من أن ابنها (٤ سنوات) يضع الوقت وهو جالس إلى المائدة، ويأكل قليلاً في وقت طويل جداً، وقد جلس أحد الأشخاص يراقبها أثناء إحدى هذه الوجبات، فاتضح أن

(١) بين الآباء والأبناء، حلول جديدة لمشاكل قديمة، تعريب صبري الفضل - مكتبة الدار العربية للكتاب ١٩٩٤

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

الأم تحث ابنها على الأكل أو تتصححه أو تحذره، وانها تشتمه ٧٢ مرة في أثناء ٢٥ دقيقة استغرقها في الأكل. (١)

لاشك في أنها نتيجة مدمرة لشخصية الطفل عندما نتحاور معه بالشمتم ولا نستمتع لما يقول، فهل الهدف هو الطعام أم الحوار والاستماع والاستفادة من الحدث بتقوية العلاقة بين الطرفين وتمية الحب؟

وأذكر أن والدتي كانت تطعم أخي الصغير بالقصص والأغاني والحوارات الفكاهية معه وهو يتحاور معها وتسمعه، وأحياناً تستغرق الوجبة منها أكثر من ساعة، وتمشي خلفه وتخرج معه إلى فناء البيت وهي تطعمه حتى ينتهي من وجبته، ويحدثني الشيخ الدكتور أحمد حجي الكردي - حفظه الله - الخبير في الموسوعة الفقهية في الكويت، أن وجبة الطعام تأخذ منه ساعة ونصف تقريباً، ويجتمع مع أبنائه وأحفاده على المائدة ليتحاوروا، وبعد هذه الجلسة من أهم الجلسات في تمية الحوار والاستماع العائلي ومناقشة قضايا الأسرة.

فالاستماع لا يأتي بالأمر وإنما بالقدوة والتدريب، ولهذا فإن الله تعالى لم يخلق أعضاءنا عبثاً وإنما لحكمة وتقدير. وقد ذكر ابن القيم رحمه الله ذلك عندما تأمل أعضاء الإنسان والحكمة من كون بعضها مفردة وأخرى مثنى وثلاث ورباع فيقول: ثم تأمل حكمته في الأعضاء التي خلقت فيك أحاداً ومثنى وثلاث ورباع وما في ذلك من الحكم البالغة، فالرأس واللسان والأنف والذکر خلق كل منهما واحداً فقط، إذ لا مصلحة في كونه أكثر من ذلك، ألا ترى أنه لو أضيف إلى الرأس رأس آخر، لأثقل بدنه من غير حاجة إليه، لأن جميع الحواس التي يحتاج إليها مجتمعة في رأس واحد، ثم إن الإنسان كان ينقسم برأسه قسمين، فإن تكلم من أحدهما، وسمع به، وأبصر، وشم وذاق، بقي الآخر معطلاً لا أرب فيه، وإن تكلم، وأبصر، وسمع بهما معاً كلاماً واحداً وسمعاً واحداً وبصراً واحداً، كان الآخر فضلة لا فائدة فيه، وإن اختلف إدراكهما اختلفت عليه أحواله وإدراكاته، وكذلك لو كان له لسانان في فم فإن تكلم بهما كلاماً واحداً كان أحدهما ضائعاً، وإن تكلم بأحدهما دون الآخر فكذلك، وإن تكلم بهما معاً كلامين مختلفين، خلط على السامع، ولم يدر بأي

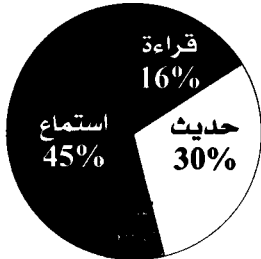
(١) ما تحبه النساء في الرجال/عابدة أحمد صلال - دار الطرابيش للدراسات الإنسانية.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

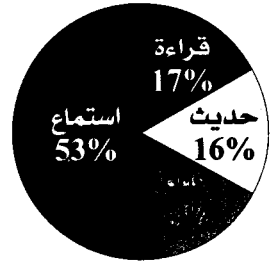
الكلامين يأخذ، وكذلك لو كان له فمان لكان مع قبح الخلقة أحدهما فضلا لا منفعة له فيه، وهذا بخلاف الأعضاء التي خلقت مثلى كالعينين والأذنين والشففتين واليدين والرجلين والساقين والفخذين والوركين والثديين، فإن الحكمة فيها ظاهرة، والمصلحة بينة، والجمال والزينة عليها بادية، ولو كان الإنسان بعين واحدة لكان مشوه الخلقة ناقصها، وكذلك الحاجبان، وأما اليدان والرجلان والساقان والفخذان فتعددهما ضروري للإنسان، لا تتم مصلحة إلا بذلك، ألا ترى من قُطعت إحدى يديه أو رجله كيف تبقى حاله وعجزه؟ فلو أن النجار والخياط والحداد والخباز والبناء وأصحاب الصنائع التي لا تتأتى إلا باليدين شلت يده لتعطلت عليه صنعته، فاقتضت الحكمة أن يُعطى في هذا الضرب من الجوارح والأعضاء اثنين اثنين، وكذلك أعطي شففتين، لأنه لا تكمل مصلحته إلا بهما، وفيهما ضروب عديدة من المنافع ومن الكلام والذوق وغطاء الفم والجمال والزينة والقبلة وغير ذلك، وأما الأعضاء الثلاثة فهي جوانب أنفه وحيطانه، وقد ذكرنا حكمة ذلك فيما تقدم، وأما الأعضاء الرباعية فالكماب الأربعة، التي هي مجمع القدمين والممسكة لهما، وبهما قوة القدمين وحركتهما، وفيهما منافع الساقين وكذلك أجفان العينين فيها من الحكم والمنافع أنها غطاء للعينين ووقاية وجمال وزينة وغير ذلك من الحكم. (١)

من يسمع أكثر الصغار أم الكبار؟

لقد أجريت دراستين أحدهما على شباب وطلاب جامعات، والأخرى على مجموعة من كبار السن وكانت النتائج كالتالي:



فئة الكبار



فئة الشباب

(١) تأملات ابن القيم في الأنفس والآفاق/٨٩٨٨ أنس القوز.

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

ليس هناك من شك في أننا نستمع كثيراً، خلال اليوم، أنت تستمع للمذيع في طريقك للعمل تستمع للناس من حولك، لأصوات السيارات، لغناء الطيور، وقت استراحتك تستمع لأصدقائك، في مدرستك تستمع لمدرستك، لأصدقائك، وفي البيت تستمع لزوجتك وأبنائك، وبالطبع إلى التلفزيون والجيران بشكل عام. (١)

نلاحظ من الرسم المبين لفئة الشباب أن نسبة الاستماع عندهم ٥٢٪ بينما هي عند فئة الكبار ٤٥٪، والفرق بينهما ٨٪ لصالح الشباب، ولعل تحليل السبب في ذلك هو أن الشباب مازالوا في مرحلة طلب الخبرة والمعلومة، فنصيب الاستماع لديهم أكبر، وان كان في رأيي الخاص ينبغي أن لا تتغير النسب بين الشباب والكبار، لأن موضوع الاستماع ليس له علاقة بالسن، وإنما له علاقة «بإدارة الذات» والإنسان لابد أن يكون لديه حصة الاستماع في حياته أكثر من حصة الكلام حتى يتفاعل مع الحياة بشكل إيجابي وعملي.

وأذكر من المواقف التي أثرت في رسالة وصلتني من امرأة سعودية صماء، وكانت من متابعات المقالات التي أنشرها في مجلة الفرحة، إلا أنها تعاتبني على الأشرطة التي أسجلها في العلاقات الأسرية وأنها حزينة لعدم قدرتها على الاستماع إليها، وطلبت مني أن أحولها إلى كتيبات صغيرة حتى تستفيد منها، ثم ذيلت رسالتها بنسب الصم في الوطن العربي، عندها بينت أن عدد المعاقين في الوطن العربي ١٥ مليون معاق، منهم نسبة ٦,١١٪ لا يسمعون.

وقد اطلعت على دراسة أخرى تبين العلاقة بين مستوى الدخل في الأسرة والإعاقة السمعية، وتبين من الدراسة التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية أن الإعاقة السمعية وعيوب المخاطبة في الأسر ذات الدخل المنخفض أكثر بثلاث مرات ونصف عن مثيلاتها بين الأسر ذات الدخل المرتفع.

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

الدخل الأسري السنوي	إعاقة سمعية	عيوب مخاطبة
أقل من ٣٠٠٠ دولار	١٦٦,٩ بالآلف	٣٧,٧ بالآلف
٣٠٠٠ - ٤٩٩٩	١٠١,٢ بالآلف	١٣,٤ بالآلف
٥٠٠٠ - ٦٩٩٩	٧٠,٦ بالآلف	١٠,٧ بالآلف
٧٠٠٠ - ٩٩٩٩	٥٧,٩ بالآلف	٨,٤ بالآلف
١٠٠٠٠ - ١٤٩٩٩	٤٩,٤ بالآلف	٧,٢ بالآلف
١٥٠٠٠ دولار فأكثر	٤٨,٦ بالآلف	٦,٢ بالآلف (١)

فالسمة نعمة من نعم الله تعالى علينا، ولا بد أن تؤدي لهذه النعمة حقها من الشكر ومنها الاستماع الجيد والحسن، ولا نقول مثل ما قال «جونسون» أو «مونتاني» عندما قال الأخير: أفضل الزوجات ما عقد بين زوجة عمياء وزوج أصم» أو ما قاله الأول: «الزواج موفق مزيج من زوج لا يسمع، وزوجة لا ترى». (٢)

فإن هذا الفهم للعلاقة الزوجية لا نوافق عليه ولا ننصح به إلا في حالات نادرة جداً بعد أن حاول الزوجان أن يصلحا من علاقتهما الزوجية ويتجاوزا مشاكلهما العائلية ولكنهما لم يستطيعا ذلك، وفضلاً أن يبقياً معاً من أجل الأبناء، فعندها ننصحهم باتباع هذه السياسة من أجل التعايش، وإلا فالأصل ما علمنا حبيبنا محمد ﷺ من فعله وقوله بالاستماع للآخرين، وإن كان كلامهم لا يعجبنا ويخالف رأينا، فهذا دليل احترام الآخرين وتقديرهم ثم التفاعل معهم من خلال الحوار، وهذا ما نتمناه بين الزوجين.

وأذكر مرة اتصلت بي فيها إحدى الزوجات تسألني عن مشكلتها الزوجية، فقلت لها: إنه في مثل هذه المشكلة لا بد من وجود الزوج معك، حتى نسمع وجهة نظره، فحددت لهما موعداً وحضر الاثنان وجلسا أمامي، وتحدث كل واحد منهما معاتباً الآخر، ودار الحوار

(١) دراسات في علم الاجتماع الطبي/ محمد علي وآخرون، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٨٩

(٢) لماذا يهرب الأزواج من البيوت؟ / ٩ / ١١٤

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

بينهما ساعة، وكان كل ما فعلته أنني أنظم الحوار والاستماع. ثم اصطلحا وقبّل كل واحد منهم رأس الآخر وقاما ليودّعاني، ولم أفعل لهما شيئاً غير تنظيم الحوار والاستماع، ثم قلت لهما: انتظرا فإنني لم أتكلم بعد.

فقلت لي الزوجة: «يا أبو محمد لو يعطيني زوجي من وقته كل يوم ربع ساعة يستمع إليّ ويكلمني لا يبقى عندي مشكلة أبداً».

حفصة بنت عمر بن الخطاب

رضي الله عنهما

حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح
ابن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي.

الوقففة الأسرفة مع السفةة حفصة رضف الله عنها

(١) المداراة العائلفة.

- حوارراق ذومستوعال.
- ترادد زوجها في القرآن.
- ما الفرق بين المداراة والمداهنة.
- ملكة جمال المطلقات.. والزواج العمفاني.
- فقه المداراة في البفبف النبوف.
- كفف نرفف أبناؤنا على المداراة؟

السيرة الذاتية

- هي السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل، ولدت وقريش تبني الكعبة قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين.
- وأمها زينب بنت مظعون.
- وهي أخت عبدالله بن عمر لأبيه وأمه.
- كانت متزوجة قبل النبي ﷺ من خنيس ابن حذافة السهمي وقد شهد بدرأ فأصابته جراحات ثم توفي بالمدينة.
- عرض والدها على أبي بكر وعثمان الزواج منها، ثم ذهب يشتكي للنبي ﷺ لعدم قبولهما لحفصة، فتزوجها النبي ﷺ.
- طلقها النبي ﷺ مرة ثم راجعها بأمر الله تعالى، وأخبره جبريل بأنها زوجة النبي ﷺ في الجنة.
- أثنت عليها عائشة بقولها: «إنها بنت أبيها».
- تسمى بـ «حارسة القرآن» لأن المصحف ترك عندها لحفظه.
- توفيت سنة ٤٥ هـ بالمدينة وصلى عليها مروان بن الحكم وتصدقتم بمال لها أوقفته بالغابة (موضع معروف في المدينة المنورة في شمالها).
- روت عن النبي ﷺ ٦٠ حديثاً.

مدارة الزوج لزوجته

من أين استخرجنا هذا المفهوم؟

روى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

كانت حفصة وعائشة متحابتين، وكانتا زوجتي النبي ﷺ، فذهبت حفصة إلى أبيها فتحدثت عنده، فأرسل النبي ﷺ إلى جاريتها، فظلت معه في بيت حفصة، وكان اليوم الذي يأتي فيه (حفصة)، فرجعت حفصة فوجدتهما في بيتها، فجعلت تنتظر خروجها، وغارت غيرة شديدة، فأخرج رسول الله ﷺ جاريتها، ودخلت حفصة، فقالت: قد رأيت من كان عندك، والله لقد سؤتني.

فقال النبي ﷺ: «والله لأرضينك، فإني مسر إليك فاحفظيه»، قالت: ما هو؟ قال: «إني أشهدك أن سررتي هذه علي حرام رضياً لك».

وكانت حفصة وعائشة تتظاهران على نساء النبي ﷺ، فانطلقت حفصة إلى عائشة، فأسرت إليها: أن أبشري، إن رسول الله ﷺ قد حرم عليه فتاته.

فلما أخبرت بسر النبي ﷺ أظهر الله ذلك للنبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ (التحریم/ ١) (١)

ونلاحظ هنا موقف الحبيب محمد ﷺ ومهارة تعامله مع زوجته حفصة رضي الله عنها، وكيف أنه امتص غضبها بأسلوب حكيم وذكي من خلال خلق المداراة، ولكن للقصة تكملة بعدما أشاعت حفصة هذا السر، فأحب النبي ﷺ أن يؤديها ويؤدب باقي زوجاته لأنهن شاركن في الموضوع، ففي صحيح مسلم:

عن ابن عباس أنه قال: حدثني عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: (لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه قال: دخلت المسجد فإذا الناس يكتون بالحصى ويقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه) وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب، فقال عمر:

(١) تفسير الطبري ٢٨ / ١٥٧ وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨ / ٢١٤ - ٢١٥ ابن سعد وابن مردويه

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

فقلت: لأعلمن ذلك اليوم، قال فدخلت عليّ عائشة فقلت: يا ابنة أبي بكر، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ! فقالت: مالي ومالك يا بن الخطاب! عليك بمعبتك (١). قال فدخلت على حفصة بنت عمر فقلت لها: يا حفصة، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ! والله لقد علمت أن رسول الله ﷺ لا يحبك، ولولا أنا لطلقك رسول الله ﷺ، فبكت أشد البكاء، فقلت لها: أين رسول الله ﷺ؟ فقالت: هو في خزانته في المشربة، فدخلت فإذا أنا برياح غلام رسول الله ﷺ قاعداً على أسكفة (٢) المشربة مدل رجليه على نقيير من خشب، وهو جذع يرقى عليه رسول الله ﷺ وينحدر، فناديت: يا رياح، استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فنظر رياح إلى الغرفة ثم نظر إليّ فلم يقل شيئاً، ثم رفعت صوتي فقلت: يا رياح، استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فإني لا أظن أن رسول الله ﷺ ظن أنني جئت من أجل حفصة، والله لئن أمرني رسول الله ﷺ بضرب عنقها لأضربن عنقها، ورفعت صوتي فأوماً إلي أن أرقه، فدخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير، فجلست فأدنى عليه إزاره ولبس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، فنظرت ببصري في خزانة رسول الله ﷺ، فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، ومثلها قرظاً في ناحية الغرفة، وإذا أفيق (٣) معلق - قال - فاستدرت عيناى. قال: ما يبكيك يا بن الخطاب؟ قلت: يا نبي الله، وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى! وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار وأنت رسول الله ﷺ وصفوته، وهذه خزانتك! فقال: يا بن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟ قلت: بلى. قال: ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب، فقلت: يا رسول الله، ما يشق عليك من شأن النساء، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل، وأنا وأبو بكر والمؤمنين معك، وقلما تكلمت -

(١) أي عليك بوعظ بنتك حفصة، والعيبة: وعاء يجعل الإنسان فيه أفضل ثيابه ونفيس متاعه، فشبّهت ابنته بها.

(٢) الأسكفة: العتبة.

(٣) الأفيق: هو الجلد الذي لم يتم دباغه.

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

وأحمد الله - بكلام إلا رجوت أن يكون الله عز وجل يصدق قولي (الذي أقوله) ونزلت هذه الآية التخيير: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن﴾^(١)، ﴿وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾^(٢)، وكانت عائشة بنت أبي بكر وحفصة تظاهران على سائر نساء رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، أطلقتهن؟ قال: «لا»، قلت: يا رسول الله، إني دخلت المسجد والمسلمون ينكتون بالحصى يقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن؟ قال: «نعم إن شئت»، فلم أزل أحدثه حتى تحسر الغضب عن وجهه، وحتى كشر فضحك، وكان من أحسن الناس ثغراً، ثم نزل نبي الله ﷺ ونزلت، فنزلت أتشبت بالجذع، ونزل رسول الله ﷺ كأنما يمشي على الأرض ما يمسه بيده، فقلت: يا رسول الله، إنما كنت في الغرفة تسعاً وعشرين، قال: «إن الشهر يكون تسعاً وعشرين»، فقامت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي، لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه، ونزلت هذه الآية: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾^(٣). فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر، وأنزل الله آية «التخيير». ^(٤)

ونلاحظ هنا للنبي ﷺ موقفاً آخر مع زوجاته أراد أن يؤدبهم بما فعلوا من إشاعة الخبر، وذلك بهجرهم ٢٩ يوماً.

فالمداواة إذن لها حدودها وقيدوها، ولكن إذا تمادى الإنسان في سلوكه ونقض الاتفاق، هنا يمكن للزوجين أن يمارسا وسائل أخرى لضبط السلوك.

(١) سورة التحريم - آية (٥)

(٢) سورة التحريم - آية (٤)

(٣) سورة النساء - آية (٨٣)

(٤) تفسير القرطبي ج ١٨ - ١٩١

حوار راق ذو مستو عال

ومن مداراة النبي ﷺ لزوجته حفصة ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبدالله أنه قال:

أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها.
قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها.

فقالت حفصة: ﴿وان منكم إلا واردها﴾ (مريم: ٧١)

فقال النبي ﷺ: قد قال الله عز وجل: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾.
(مريم ٧٢) (١)

ونلاحظ هنا كيف دارى النبي ﷺ حفصة بالرد عليها، ولم يقل في نفسه: إنني أنا النبي المشرع فكيف تردين عليّ في موضوع أنا مختص به أكثر منك، وإنما تعامل النبي ﷺ مع الحدث على أنه مربٍ ومعلم، ولهذا نلاحظ في النص أن النبي ﷺ انتهرها عندما تكلمت من غير دليل، فعندما قالت له: بلى يا رسول الله، انتهرها، ولكنها عندما ذكرت له الدليل ﴿وان منكم إلا واردها﴾ نلاحظ أن النبي رد عليها بلطف ومن غير أن ينتهرها بقوله: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾، فيظهر من هذا الموقف مداراة النبي ﷺ لحفصة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وقد تكرر معها أكثر من موقف لأن الإنسان كلما ازدادت شدته احتاج الناس عند التعامل معه للمداراة أكثر.

ولهذا فإن عائشة رضي الله عنها تصف حفصة فتقول: «وكانت بنت أبيها» بمعنى على شدة وشخصية والدها الفاروق رضي الله عنها، حتى حصل مرة أن طلق النبي ﷺ حفصة فدخل عليها خالاهما: قدامة وعثمان ابنا مظعون، فبكت وقالت: والله ما طلقني عن سبع

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

(تعني بغض أو عيب أو نقص) فجاء جبريل للنبي ﷺ فقال له: «راجع حفصة فانها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة».

وقد هز هذا الطلاق عمر الفاروق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فحشى على رأسه التراب عندما سمع بالخبر، وقال: ما يعبأ الله بعمر وابنته بعد اليوم.

فكرر هنا ما ذكرنا سابقاً من أن المداراة هي الأصل في الأخلاق مع الناس، إلا إذا اقتضت المصلحة خلافها، ولهذا فإن طلاق النبي ﷺ حفصة تشريع للأمة، فقد طلقها النبي بعد الدخول والخلوة (كما طلق النبي إحدى زوجاته وهي امرأة من بني غفار فدخل بها فأمرها أن تنزع ثوبها فرأى فيها بياضاً فأنحاز عنها، فلما أصبح أكمل لها الصداق، وقال: «الحقي بأهلك».) (علماً بأنها أخضت عنه عيباً كان فيها).

فالمداراة خلق عظيم وخاصة مع النساء فإنهن أحوج الناس إلى المداراة وذلك لغلبة العاطفة عليهن وسرعة انفعالهن، وهذا ما نتعلمه من حبيبنا محمد ﷺ.

ما الفرق بين المداراة والمداهنة؟

لعل البعض يتساءل ما هي حدود المداراة وما ضوابطها وما معناها وما الفرق بينها وبين المداهنة؟!

وأستللة أخرى كثيرة، وقد أعجبنى بحث في كتاب (نصرة النعيم) يتحدث عن كل ذلك وذكر أن معنى المداراة، الملاينة والملاطفة وخفض الجناح للناس، ولين الكلام وترك الإغلاظ لهم في القول.

والفرق بينهما وبين المداهنة: أن المداهن يخفض جناحه للناس ولكن بعمل أمور يكرهها الله تعالى، وقد أنشد علي بن محمد البسامي:

مَنْ لَمْ يُدَارِ النَّاسَ مَلَّوْهُ

دَارَ مِنَ النَّاسِ مَلَالَتِهِمْ

ومن فوائد المداراة:

١- الراحة في الدنيا والأجر والثواب في الآخرة.

٢- يتقي بها المداري شر الناس.

٣- يحتاج إليها مع الأصدقاء والأعداء.

٤- أنها دليل كمال العقل وحسن الخلق.

فهذه - وغيرها كثير - من فوائد المداراة، وقد قال منصور بن محمد الكريزي:

أُغْمِضُ عَيْنِي عَنْ صَدِيقِي كَأَنِّي
لَدَيْهِ بِمَا يَأْتِي مِنَ الْقُبْحِ جَاهِلُ
وَمَا بِي جَهْلٌ غَيْرَ أَنَّ خَلِيقَتِي
تَطِيقُ احْتِمَالَ الْكُرْهِ فِيمَا أُحَاوِلُ
مَتَى مَا يَرِينِي مَفْصَلٌ فَتَقْطَعْتَهُ
بَقِيَّتُ وَمَالِي فِي نُهْوُضِي مَفْاصِلُ
وَلَكِنْ أَدَارِيهِ، وَإِنْ صَحَّ شَدْنِي
فَإِنْ هُوَ أَعْيَا كَانَ فِيهِ تَحَامُلُ

بل حتى الأعداء يمكننا مداراتهم فقد قال لقمان لابنه: «يا بني كذب من قال إن الشر بالشر يطفأ، فإن كان صادقاً فليوقد نارين، ولينظر هل تطفئ إحداهما الأخرى، وانما يطفئ الخير الشر كما يطفئ الماء النار». (١)

فمعنى المداراة معنى جميل، خاصة إذا تخلق به الإنسان مع زوجته أو أبنائه، فهو ضمان لاستمرارية العلاقة، ولو عرف المتزوجون في واقعنا المعاصر هذا الخلق لما ازدادت حالات الطلاق والمشاكل الأسرية، لأن المداراة تغلفها إلا إذا حصلت مشكلة كبيرة، وإن المتتبع لهدي الحبيب محمد ﷺ يجده خير مثال في مداراة زوجاته وأصحابه، بل إن السلف الصالح كانوا خير مثال في مداراتهم للناس.

فقد جاء رجل إلى وهب بن منبه فقال: إن الناس قد وقعوا فيما وقعوا فيه، وقد حدثت نفسي ألا أخالطهم.

فقال له وهب: لا تفعل، فإنه لا بد للناس منك ولا بد لك منهم، لهم إليك حوائج، ولك إليهم

(١) ناضرة النعيم ج ٨ / ٣٣٥٧ - ٣٣٥٩ إعداد مجموعة من المختصين، في سيرة سيدنا محمد ﷺ السلوكية، وهو كتاب قيم.

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

حوائح، ولكن كن فيهم أصم سمياً، وأعمى بصيراً، وسكوتاً نطوقاً.
وموقف آخر يرويه لنا عقاب بن شبة فيقول:

كنت رديف أبي، فلقية جرير على بغل، فحياه أبي وألفه فلما مضى قلت: أبعده
ما قال لنا ما قال!

قال: يا بني، «أفأ وَسَعُ جُرْحِي!». (١)

بمثل هذه الأخلاق تميز سلف الأمة وقادوا العالم ومن يريد أن يقود أسرته بنجاح فعليه
بخلق المداراة.

وقد تتبّه الغرب لمثل هذه المهارة، فألف (ديل كارنيجي) كتابه الشهير «كيف تكسب الناس؟»
وألف بعده (مورييل سولومتون) كتابه «العمل مع أصعب الناس»، ثم ألف (جيمس فان
فليت) كتابه «لنجاح مع الناس»، وهذه المؤلفات كلها تتحدث عن خلق المداراة ولكن بأشكال
وأساليب متنوعة، وكلها ألفت في الخمسين سنة الماضية، بينما ألف (ابن أبي الدنيا)
المتوفى عام ٢٨١ هـ كتابه الشهير «مداراة الناس» ومن ينظر إلى محتواه يجد أنه كتاب
متميز في طرحه وقد دخل مؤلفه في تفاصيل المداراة.

فهذا هو خلق المداراة الذي نتمناه في بيوتنا كما كان يفعله حبيبنا محمد ﷺ فقد وصفته
عائشة رضي الله عنها، عندما سئلت عن حاله إذا خلا بنسائه فقالت: «كان كرجل من
رجالكم، غير أنه كان من أكرم الناس وأحسن الناس خلقاً وكان ضحاكاً بساماً».
وكل هذه الصفات من أصول خلق المداراة.

ملكة جمال المطلقات.. والزواج العمياني

إن الاتجاه العالمي يسير نحو تيسير سبل تفكيك الأسرة، وسرعة فك الارتباط بين
الزوجين، ففي بريطانيا تم تطوير برنامج يقدم خدمة تسريع إجراءات الطلاق من خلال
ملء استمارة وتقديم وثائق عبر البريد الإلكتروني إلى فريق قانوني عامل بالشركة، وتعتبر
هذه الخدمة أرخص من زيارة المحامي وأسرع، حيث تتكلف ٩٩ جنيهًا بالإضافة إلى رسوم

(١) عيون الأخبار ج ٣ لابن قتيبة.

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

المحكمة ١٥٠ جنيهاً، وفي مصر كانت قضية الطلاق تتداول في المحاكم من أربع إلى ثماني سنوات، إلى أن أقر قانون «الخلع» والذي ينهي العلاقة بجلسة أو جلستين، بل إن إحدى المجلات البريطانية «تشات» دعت إلى مسابقة تحت عنوان «تخلصي من زوجك بطلاق مجاني، واستكتبت القراء بأفكار يقدمونها للزوجة حتى تتخلص من زوجها بطلاق مجاني، ورصدت المجلة مكافأة ٥٠٠ جنيه وتصرف هذه المكافأة لمصاريف دعوى الطلاق للمشاركة.

ودعت المؤتمرات العالمية بدءاً «بيكين» عام ١٩٩٥ وانتهاءً «بنيويورك» عام ٢٠٠٠ إلى تهوين مسألة الزواج والطلاق، وطرح مفاهيم غريبة تخالف الفطرة السوية. هذه الإجراءات ولدت مشاكل كثيرة أبرزها كثرة المطلقات والمطلقين من الشباب في العالم، وأصبحت هذه الأزمة هاجساً عند الشعوب، وتحركت بعض الحكومات بأفكار لعلاج هذه الظاهرة، منها ما طرحه التلفزيون البريطاني من فكرة «الزواج العمياني» بأن يعقد الشاب على الفتاة من غير أن يرى أحدهما الآخر، وتبنت بعض المؤسسات في العالم ومنها مؤسسة «ميس» الأميركية مسابقة «ملكة جمال المطلقات» وقد كسرت بذلك شروطها في الموافقة على المرشحات للمكات الجمال، لأنها كانت تشترط فيهن عدم سبق الزواج، بينما «سمحت مؤخراً بانضمام المطلقات لأنهن صغيرات في السن وازداد عددهن في أمريكا.

هل هذا الحل صحيح؟

أم إن بداية المشكلة كانت خاطئة؟

إن المدقق في تعاليم الإسلام في مسألة الطلاق يلاحظ أن ٩٠٪ من أيام السنة لم يسمح الإسلام بالطلاق فيها، وذلك لأن الطلاق ينبغي أن لا يقع على المرأة أثناء حملها أو نفاسها أو أثناء الدورة الشهرية أو في طهر لم يجامعها زوجها فيه، فلو جمعنا هذه الأيام من السنة بنظام محاسبي دقيق لوجدنا أن في السنة ٤٠ يوماً يمكن للرجل أن يوقع الطلاق فيها على زوجته، بينما في الأيام الأخرى يسمى الطلاق «طلاقاً بدعياً»..

بمثل هذه المنهجية تعالج قضايا الطلاق، بالإضافة إلى تهيئة المتزوجين باكتساب مهارة

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

حل المشاكل الزوجية، وعمل برامج إرشادية للمطلقين وبث الوعي الاجتماعي بنظام تعدد الزوجات، ومن الغريب في هذا الموضوع أن يعتمد البورد الروسي في الشهر الماضي (x) نظام التعدد في الإسلام كحل لتخليص المجتمع الروسي من ظاهرة العنوسة وكثرة المطلقات، وانتشار حمل السفاح واللقطاء في المجتمع الروسي. (١)

نعم إن الطلاق رحمة إن كان في محله الصحيح، وعذاب إن لم يكن في توقيته الصحيح، والذي يعالج لنا الموضوع هو خلق المداراة بين الزوجين مهما كانت المشكلة. ولعل من الطريف أن نذكر المشكلة التي حصلت لعبدالله بن رواحة رضي الله عنه مع زوجته عندما رأته مع جارية له.. يقول: إنه أصاب من جارية له، فنددت به امرأته، فأخذت شفرة، ثم أتته، فوافقته قد قام منها، قالت: أفعلتها يا ابن رواحة؟
قال: ما فعلت شيئاً.

قالت: لَتَقْرَأَنَّ قَرَأْنَا أَوْ لَأَبْعِجَنَّكَ بِهَا!

قال: ففكرت في قراءة القرآن وأنا جنب، فَهَبْتُ ذَلِكَ، وهي امرأة غيرى، وبيدها شفرة، ولا آمنها، فقلت:

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق مشهور من الصبح ساطع

بييت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع

فألقت السكين وقالت: آمنت بالله وكذبت البصر.

فأتيت رسول الله فأخبرته، فضحك، وأعجبه ما صنعت. (٢)

بمثل هذه المداراة تحفظ البيوت، ولا نحتاج إلى أن نعمل مسابقة للمكات الجمال للمطلقات أو مسابقة الزواج العمياني.

(x) في شهر اكتوبر من عام ٢٠٠٠

(١) جزء من مقال نشرته في مجلة الفرحة شهر ديسمبر / ٢٠٠٠

(٢) مداراة الناس / ١٣٤ - ١٣٦ لابن ابي الدنيا.

فقه المداراة في البيت النبوي

من القصص الجميلة في معنى المداراة ما رواه عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أنه استأذن على النبي ﷺ رجل فقال ﷺ: ائذنوا له، فبئس ابن العشيرة أو بئس أخو العشيرة»، فلما دخل ألان له الكلام، فقلت له: يا رسول الله، قلت ما قلت، ثم أنت له في القول، فقال: «أي عائشة»، إن شر الناس منزلة عند الله من تركه أو ودعه الناس اتقاء فحشه». (١)

إنها قصة جميلة حتى إن الإمام البخاري كتب لها عنواناً «باب المداراة مع الناس»، ثم ذكر كلمة أبي الدرداء «انا لنكشّر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم» (٢) وذكر ابن حجر في شرح الحديث أن «المداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفضل، ولاسيما إذا احتاج إلى تألفه ونحو ذلك». (٣)

وشرح ابن بطلال الحديث بأن المذكور كان منافقاً، وأن النبي ﷺ كان مأموراً بما ظهر، لا بما يعلمه في نفس الأمر، وقال آخر لما فيه من شدة فكان لذلك من لسانه بذاءة. وتبين من القصة كيف أن النبي ﷺ دارى ذلك الرجل لسوء خلق فيه سواء أكان لسانه بذيئاً أم كان منافقاً اتقاء شره.

وهذا ما عبر عنه أبو الدرداء في كلمته السابقة، وإن المتأمل في المنهج النبوي ليجد الحكمة في مثل هذا الخلق سواء استخدمه الشخص مع زوجته أم أبناؤه أم أصحابه، فإن المداراة تحفظ الود والعلاقات، ولو تخلينا أننا أمرنا بأن نخرج كل ما نعرفه عن الناس وجوههم لفقدنا كل العلاقات الاجتماعية وخسرناها، ولهذا عدّ النبي ﷺ هذا الخلق نوعاً من الصدقة فقال: «مداراة الناس صدقة» (٤)

(١) رواه البخاري في الفتح ج ١٠ / ٦١٣١

(٢) فتح الباري ج ١٠ / ٥٢٧

(٣) نفس المرجع ص ٥٢١

(٤) رواه ابن حبان (٢١٦/٢) وذكره في الفتح (٥٤٥/١٠).

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

وكذلك أمرنا الله تعالى بأن نداري الوالدين المشركين أو غير المسلمين عامة ، وسماها الله تعالى «بالمصاحبة في المعروف» فقال: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير، وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطمهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليّ، ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كتمتم تعملون﴾ (١)

فالمداواة إذن خلق مهم وعظيم إذا تخلق به الإنسان حفظ علاقته مع أهله ومجتمعه، ولهذا كان النبي ﷺ يفرق في المعاملة على حسب الشخص: فلا يعامل الصغير مثل الكبير.

ولا يعامل الرجل مثل المرأة.

ولا يعامل البدوي مثل الحضري.

ولا يعامل حديث الإسلام مثل القديم.

وكل ذلك من المداواة، بل قال عليه السلام: «أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم» وهي أيضاً من المداواة.

كيف نربي أبناءنا على المداواة؟

- ١ - نعلمهم معنى المداواة وفوائدها ونفرق لهم بينها وبين المداهنة.
- ٢ - نذكر لهم قصصاً عن النبي ﷺ في هذا المعنى.
- ٣ - نشترى لهم كتاب ابن أبي الدنيا واسمه «مداواة الناس»، ونقرأه معهم ونناقشهم في أفكاره.
- ٤ - نكون لهم قدوة عملية ليشاهدوا هذا الخلق أمامهم.
- ٥ - إذا لاحظنا عليهم تصرفاً يخالف مفهوم المداواة مع أصدقائهم فننبههم عليه.
- ٦ - عندما يكون أبنائنا مقبلين على الزواج نتحدث معهم في كيفية مداواة كل واحد منهم للآخر.

(١) سورة لقمان: ١٤ - ١٥

زينب بنت خزيمة

رضي الله عنها

زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان الهالكية.

الوقففة الأسرفة مع السفة زفنب بنت فرزفمة رضف الله عنها

(١) العمل الخفرى العائلى.

- هل سمعت عن وقف لتنمفة الذكاء؟
- سفدات لندن فجمعن التبرعات بطرففة فرفبة.
- أولوفات العمل الخفرى.
- ماذا تقول لابنك إذا رأفت متسولاً؟
- كفف تربف أبناءك على التطوع وحب الصدقة؟

السيرة الذاتية

- هي زينب بن خزيمة رضي الله عنها.
- كانت عند عبدالله بن جحش قبل النبي صلى الله عليه وسلم فقتل عنها يوم أحد.
- هي أول نسائه موتاً، فقد توفيت بالمدينة بعدما مكثت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية أشهر.
- ودفنت بالبقيع رضي الله عنها وقد بلغت ثلاثين سنة.
- تسمى زينب «بأم المساكين» لكثرة عطائها وحبها للمساكين.
- أمهرها رسول الله ٤٠٠ درهم وبنى لها داراً بقرب عائشة.
- لم ترو عن رسول الله أي حديث، وتذكّر النبي بموتها موت خديجة رضي الله عنها.

العمل الخيري العائلي

من أين استخرجنا هذا المفهوم؟

تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة الهلالية، وهي أم المساكين، سميت بذلك لكثرة إطعامها المساكين.

وقال محمد بن إسحاق - رحمه الله - في السيرة: تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة الهلالية - أم المساكين - وقال ابن كثير - رحمه الله - عنها: وهي التي يُقال لها: أم المساكين لكثرة صدقاتها عليهم، وبرّها بهم، وإحسانها إليهم.

ولديها موقف آخر حصل في عهد عمر الفاروق رضي الله عنهما، فقد حدثت برزة بنت باع أنه لما خرج العطاء أرسل إليها عمر نصيباً منه، فلما دخل عليها حامل المال، قالت: غفر الله لعمر، غيري من أخواتي كن أقوى على قسم هذا مني، فقالوا: هذا كله لك، قالت: سبحان الله واستترت منه بثوب ثم قالت: صبوه واطرحوا عليه ثوباً، قالت: راوية القصة: ثم قالت: ادخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي بها إلى فلان وبني فلان من أهل رحمها وأيتامها، فقسمته حتى بقيت منه بقية تحت الثوب، فقالت لها برزة بنت باع: غفر الله لك يا أم المؤمنين والله لقد كان لنا في هذا المال حق، قالت: فلکم ما تحت الثوب، فكشفنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهماً. (١)

ومواقف زينب رضي الله عنها في حب العمل الخيري وكثرة العطاء والصدقات كثيرة، ولهذا نالت لقب (أم المساكين) ..

وحب العمل الخيري والصدقات لم تنفرد به وحدها، وإنما كذلك كان لباقي زوجات الحبيب محمد ﷺ مواقف جليلة في حب العمل الخيري ومنها ما وصفه النبي ﷺ عن خديجة رضي الله عنها بأنها:

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ / ٢٠١

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

١ - أمنت به إذ كفر الناس.

٢ - وصدفته إذ كذبه الناس.

٣ - وواسته بمالها إذ حرمه الناس.

وما ذكر عن عائشة رضي الله عنها وقد رواه مالك في الموطأ بأن مسكيناً سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف، فأمرت جارية لها أن تعطيه الرغيف، فقالت الجارية: ليس لك ما تطخرين عليه، فقالت: أعطيه إياه، ففعلت.

وهكذا هُنَّ أمهات المؤمنين مدرسة في العمل الخيري، ولكن زينب رضي الله عنها تميزت بذلك.

ولقد اهتمت الشريعة الإسلامية بالإنفاق في وجوه الخير والبر، وقد أنزل الله تعالى كثيراً من الآيات التي تحث الناس على الصدقات، وتبين أوقات الصدقات، وأشكالها، والفرق بين التصدق بالجيد والرديء، وأحكام الصدقات فمنها الواجب مثل الزكاة ومنها المستحب مثل الوصية بثلث المال، ومنها الحرام مثل من يوصي بمعصية، ومنها المكروه مثل من يتصدق على أجنبي وقريبه محتاج لهذه الصدقة، ومنها المباح.. كما فصل فقهاؤنا أحكامها ففرقوا بين التبرع بالعين والتبرع بالمنفعة، وكذلك التبرع الفوري والتبرع المؤجل.

وبما أنني اليوم أكتب هذا القسم من الكتاب في مكة المكرمة وفي شهر رمضان، فقد ذكر العلماء أن الصدقة في رمضان أفضل منها في غيره، وذكروا حديث النبي ﷺ: «عندما سئل أي صدقة أفضل؟ فقال: صدقة في رمضان»^(١) وتتأكد الصدقة في الأيام الفاضلة كعشر ذي الحجة وأيام العيد، وكذا في الأماكن الشريفة كمكة والمدينة وغيرها..

ومبحث العمل الخيري كبير وجميل، فقد كان عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه يشتري أعدالاً من السكر ويتصدق بها، فقيل له: هلا تصدقت بقيمتها؟

قال: «لأن السكر أحب إليَّ فأردت أن أنفق مما أحب»^(٢)

(١) أخرجه الترمذي (سنن الترمذي ٣ / ٥٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) تفسير القرطبي ٤ / ١٣٣

ويتمثل ذلك في قوله الله تعالى: ﴿لن تتالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾ (١)

هل سمعت عن وقف لتنمية الذكاء؟

إن الهدف من الصدقة هو سد حاجة المجتمع والمساهمة في تنميته وتطويره لا في تخلفه وتقهقره، ولهذا فإن مصارف الصدقات والأوقاف تختلف من زمان لآخر على حسب حاجة المجتمعات الإسلامية، فقد قرأت يوماً عن الأوقاف في الدولة العباسية وكيف كان أهل الخير يوقفون على حسب الحاجة، ومنها الوقف الخاص بملابس العروس وتجهيز العريس، وهذا في نظري إبداع في العمل الخيري، بل إنني حضرت يوماً مؤتمر المبدعين والموهوبين في الأردن عام ٢٠٠٠م، فسمعت أحد المحاضرين يتحدث عن أوقاف كانت في الدولة العثمانية خاصة لتنمية الذكاء والمواهب عند الناشئة فتعجبت من هذا الخبر، وجلست أتأمل في سعة شريعتنا في العمل الخيري، ولهذا فإن المدقق في أنواع الصدقات يلاحظ فلسفة الشريعة في دفع الناس لحب الخير وحب العطاء، وقد قسمت الصدقات كالتالي:

١ - الزكاة.

٢ - صدقة الفطر.

٣ - الصدقات الجارية (الوقف).

٤ - الصدقات المالية.

٥ - الصدقات غير المالية:

أ - القرض الحسن.

ب - الصدقة على الناس (مساكين وفقراء).

ج - الصدقة على الأهل والأرحام.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

أ - يتعدى أثرها للغير.

١ - النية.

٢ - الكلمة الطيبة.

٣ - إصلاح ذات البين.

٤ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥ - إماطة الأذى عن الطريق.

٦ - جماع الزوجة.

٧ - الابتسامة.

٨ - الصلاة على النبي ﷺ.

ب - لا يتعدى أثرها للغير:

١ - ذكر الله.

٢ - قراءة القرآن.

٣ - قول: لا إله إلا الله.

٤ - قول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

٥ - الدعاء.

٦ - الاستغفار والتوبة.

وأحببت أن أنقل القارئ إلى هذه الشمولية في العمل الخيري، وهو التفصيل الذي لم تأت به شريعة أو مذهب على وجه الأرض.

فيستطيع كل واحد منا أن يتقلب في العمل الخيري ليلاً ونهاراً، وهذا هو المفهوم الصحيح للعمل الخيري، لا كما يفهمه البعض بأنه قاصر على الصدقات المالية فقط، ولهذا فإنني أقترح على القارئ أن يرجع ليقراً أنواع الصدقات مرة أخرى ويتأمل في نفسه، وأين هو من هذه الأنواع، ثم إنني أقترح تصويرها ومناقشة الزوجة والأبناء في هذه الأنواع، وذكر سيرة زينب رضي الله عنها وحبها للعطاء والعمل الخيري.

سيدات لندن يجمعن التبرعات بطريقة غريبة

نشرت جريدة الوطن هذا الخبر:

لندن - رويترز: لجأت عضوات نادي سيدات لندن اللاتي اعتدن جمع التبرعات من خلال صناعة الكعك وترتيب الزهور إلى أسلوب جديد لجمع مزيد من الأموال.. التعري.
وجمعت عضوات النادي اللاتي تتراوح أعمارهن بين ٤٥ عاماً و٦٠ عاماً ٣٣٠ ألف جنيه استرليني (٥٤٣ ألف دولار) من خلال بيع نتائج «أجندة» تحمل صوراً عارية لهن.
وقالت ليندا لوجان التي نشرت صورة عارية لها في الصفحة المخصصة لشهر يوليو: لم نندم على الإطلاق، لم أفكر البتة أنه في شهر يوليو سيصدق الجميع فيّ، أنا سعيدة لأننا جمعنا هذا المبلغ فقد بعنا كل ما طبعنا من نتائج. (١)

فالغرب يتقنن في جمع التبرعات بغض النظر عن الوسيلة هل هي مشروعة أم لا؟ المهم المبلغ الذي يجمع وإن كانت الوسيلة غير شرعية، ومن المعلوم أن ما يحصل من أموال التبرعات في أمريكا إلى الجمعيات الخيرية وعددها يزيد عن خمسة آلاف جمعية يزيد عن المبالغ المتبرع بها في العالم كله، وقد وصل ما تم جمعه في أمريكا هذا العام (٢٠٠٠ مليار دولار) وهو مبلغ ضخم جداً.

فهم يتفننون في جمع التبرعات حتى إنني كنت أمشي في أحد الأسواق في أمريكا، فلفت نظري طاولة معترضة الطريق وعليها مجموعة من الحلويات وقد كتب عليها «خذ واحدة مجاناً» فمددت يدي وأخذت واحدة، فقال لي شاب يقف خلف الطاولة: هل أعجبتك هذه؟ قلت: نعم.

فأخرج لي مجموعة من صور لأطفال وأشار إليهم، وقال لي: «إنهم أيتام وبحاجة إلى حلاوة الطعام الذي أكلته فأعجبك».

ثم طلب مني أن أتبرع لهم..

بمثل هذه الأفكار يتفننون في جمع التبرعات، ولا أنسى تلك الدورة التدريبية التي

(١) جريدة الوطن الكويتية في ١٧/١/٢٠٠٠

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

حضرتها هناك، وكان عنوانها «كيف تخرج ما في جيوب الناس؟»، ودورة أخرى كان عنوانها «كيف تحافظ على متبرع؟»، ودورة ثالثة عنوانها «كيف تجعل متبرعك يزيد في تبرعه؟» وعناوين مختلفة أخرى، بل أذكر أنني تطوّعت مع إحدى المنظمات لأتعلّم كيف يجمعون التبرعات، وكانت المنظمة تشارك في مؤتمر خيرى، ومعها مالا يقل عن مئة منظمة مشتركة، وكل منظمة تقنع بأعمالها الخيرية ومشاريعها بالصوت والصورة، وتجذب المشارك في المؤتمر داخل مكتبها لتقنعه بالتبرع إلا المنظمة التي كنت متطوعاً فيها، فقد كان لها أسلوب غريب في جمع التبرعات، فبدلاً من وضع مشاريعها كانت تضع في قسمها الهدايا وعلقت لافتة كبيرة مكتوب عليها: «خذ هديتك».

فكان كل شخص يحضر إلينا لنعطيه الهدية نأخذ منه معلومات شخصية مثل:

- الاسم.

- العمر.

- الجنس.

- الدخل.

- ومعلومات أخرى...

وبعد انتهاء المؤتمر تم إدخال كل هذه البيانات في برنامج بالكمبيوتر، ثم تمّ فرز الأسماء على حسب المهن والدخل، فجمعت شريحة المهندسين وتم تصميم مشروع خاص لهم وكذلك فعلت المنظمة مع شريحة المعلمين والأطباء والقانونيين والتجار، وأذكر أن هذه المنظمة استمرت ستة شهور وهي تجمع التبرعات من (٣٠٠٠) اسم تم تسجيلهم خلال المؤتمر.. كما أذكر أن أحد الأطباء تبرع بأجهزة طبية بقيمة مليون دولار لهذه المنظمة بعد الاتصال به وزيارته..

فمن فكرة الهدية حققوا الشيء الكثير لأنهم عكسوا القانون، فقانون المؤتمر يقول: إن كل مشترك يتبرع للمنظمة الخيرية ولكن هذه المنظمة فاجأت الجميع بأنها كانت تعطي ولا تأخذ، بينما أخذت الكثير بعد انتهاء المؤتمر.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

وقصص أخرى كثيرة عشتها وجربتها لا يتسع المجال لذكرها، ولكن ما أحببت أن أصل إليه هو أن مجتمعاتنا العربية والإسلامية مازالت متأخرة في مهارات جمع التبرعات على الرغم من الخير الكثير الذي عندنا. فلندرس سيرة زينب رضي الله عنها بأسلوب عصري واقعي، ليكون كل واحد منا أبا المساكين وزوجته أم المساكين.

أولويات العمل الخيري

اتصلت بي إحدى الزوجات يوماً تشتكي زوجها الذي يخرج كثيراً للدعوة إلى الله تعالى، لكنه مهمل لبيته وزوجته وأولاده. كما أخبرني رجل يوماً بأن شقيقه دائم الإنفاق على الفقراء والمساكين، بينما أهله وأقرباؤه بحاجة إلى دينار واحد.

ومن القضايا التي عرضت عليّ زوجة كانت كثيرة القيام والصيام، ولكنها مهملة لشؤون بيتها وطاعة زوجها.

وأمثلة كثيرة جداً من هذا النوع الذي فيه فوضى الأولويات، ونحن بحاجة اليوم إلى إرشاد الأمة حول توجيه الأموال كي تصرف في المكان الصحيح والوقت الصحيح، ولو التزم كل من الأغنياء بدفع زكاته لما بقي في الأمة فقير، لأن الله تعالى شرع هذا النظام الاقتصادي وهو أعلم بما ينفع الأمة ويجعلها غنية، وعندما طبق هذا النظام في عهد عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه شبع الناس واستقر حالهم ولم يبق فقير.

ولهذا علمنا النبي محمد ﷺ فقه الأولويات في الإنفاق، عندما قال لنا إن الدرهم الذي نصرفه على أهلنا أكثر أجراً من الدرهم الذي نصرفه على الفقير، لأن الدرهم الأول أفضل لسببين: الصلة والحاجة.

وخير من سمعته وقرأت له في هذا المجال الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله تعالى، فقد ألف كتاباً سماه (فقه الأولويات).

والزوجة التي اتصلت واشتكت من زوجها الذي أهملها وأهمل أبناءها من أجل الدعوة،

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

عنده فوضى في المفاهيم، فبيت الداعية أولى بالاهتمام من بيوت الناس، ولهذا أول ما بدأ النبي ﷺ دعوته في بيته وأهله وعشيرته ثم انتقل للناس، ولهذا فإن هناك أسئلة كثيرة في أولويات العمل الخيري تحتاج منا إلى تأمل وتفكير، فأين نصرف التبرعات؟

١ - في الأعمال الإغاثية أم التنموية؟

٢ - في البلاد العربية أم في الغربية؟

٣ - في المجال التعليمي أم الصحي؟

٤ - في المجال الشرعي أم الاجتماعي؟

٥ - في المجال الاقتصادي أم السياسي؟

٦ - في المشاريع أم للأفراد؟

وأسئلة أخرى يحكمها مكان المتبرع ومقدار التبرع واهتمامات المتبرع، لأن الجروح في الأمة اليوم كثيرة، فلا بد من تحديد الأولويات وتوجيه الطاقات والإمكانات نحوها. ونحب أن نؤكد أن كل إنسان فيه بذرة خير وحب للخير، ولكنه يحتاج إلى من يستطيع الدخول عليه وإقناعه بالطرق الشرعية والمحبية لنفسه من أجل نصره الإسلام والمسلمين في العمل الخيري.

ماذا تقول لابنك إذا رأى متسولاً؟

قبل أن تحكم على المتسول لا بد من معرفة حقائق في وطننا الإسلامي:

- في مصر ٥٠٠ ألف متسول ذوي عاهات وأصحاء البنية.

- عدد الأطفال الذي يتسولون في مصر أكثر من ١٥٠ ألف طفل.

- ١,٥ مليون طفل في مصر ينخرطون في سوق العمل في الورش والمصانع.

- ٢٨٪ من اللبنانيين يعيشون تحت خط الفقر.

- ٢٥٪ من فقراء لبنان يعدون من المعدمين.

- متسولو الأطفال في المغرب لا يعرفون معنى للملكية، ولهذا بعد التسول والسرقة لا يهتمون بشيء.

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

- وفي الصومال يجند الأطفال، وإذا أصيبوا بعاهة ألقوا خارج المعسكرات. (١)

- وفي السعودية ٥٠ ألف ريال مكسب أصغر متسول في رمضان. (٢)

ومعلومات أخرى كثيرة في هذا الموضوع ولكننا أحببنا أن نشير إليها إشارة حتى نعرف حجم المشكلة في وطننا، ولعل من أسبابها كثرة الحروب الأهلية والفقر بسبب سوء توزيع الثروات والإهمال التربوي، وأسباب أخرى، وليس كل المتسولين لصوصاً وإن كان بعضهم كذلك، ولهذا فقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز صفة من صفات الفقراء الصالحين فقال: ﴿يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ﴾. (٣)

فقد يكون المتسول صادقاً أو كاذباً، وهذا ما نريد أن نربي عليه أبناءنا، وقد أساءني يوماً ما ذكره أحد الآباء لابنه عندما طرق عليه الباب فقير فقال لابنه: اذهب وانظر إلى جسده فإن وجدت به عاهة فأعطه وإن لم تجد فهو كذاب، وهذا قول غير صحيح وتربية خاطئة للابن، فأين ذلك من قوله الله: ﴿يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ﴾. (٣)

وكلنا يعرف قصة الرجل من بني إسرائيل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: قال رجل لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها بيد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سارق، فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على زانية، فقال: اللهم لك الحمد، على زانية، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي غني، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على غني، فقال: اللهم لك الحمد، على سارق، وعلى زانية، وعلى غني، فأُتي فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله. (٤)

فالأصل في العملية التربوية الموازنة، فنحن نتصدق والأجر على الله، وإذا كان السائل

(١) مجلة الأسرة موضوع المتسولون في الأرض، عدد ٧٩ ص ٢٤

(٢) جريدة المدينة ص ١٤ العدد ١٣٤٠٨ في ٢٠٠٠/١/٤

(٣) البقرة / ٢٧٣

(٤) رواه البخاري ج ٣ / ٢٩٠ باب: إذا تصدق على غني وهو لا يعلم.

كاذباً فعقابه عند الله تعالى، والأصل أن تتولى الدولة ذلك فلا يبقى سائل أو متسول بالشارع وإنما تتكفل بهم المؤسسات الخيرية.

كما نستفيد من هذا الموقف في تربية أبنائنا على حب العمل والإنتاج، ونبين كيف كان النبي ﷺ يرشد أصحابه إلى العمل وترك سؤال الناس، كما في قوله ﷺ: «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه».

ونقول لأبنائنا إن زكريا عليه السلام كان نجاراً، وداود عليه السلام يأكل من عمل يده، ونبين لهم أن التسول مرض لا يتوقف على الفقير فقط، بل قد يكون الغني كذلك متسولاً، بمثل هذا التوازن يتربى أبناؤنا.

كيف نربي أبنائنا على التطوع وحب الصدقة؟

١ - نذكرهم بالآيات والأحاديث التي تحث على التطوع والصدقة.

٢ - نذكر لهم بعض القصص المؤثرة في جزاء المتصدق مثل قصة الأعمى والأبرص والأقرع من بني إسرائيل.

فمن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل، أبرص وأقرع وأعمى. أراد الله أن يبتليهم، فبعث الله ملكاً، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، ويذهب عني هذا الذي قد قدرني الناس، فمسحه فذهب عنه قدره، وأعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً، ثم قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل، أو قال: البقر - شك الراوي - فأعطى ناقه عشرة فقال: بارك الله لك فيها، ثم أتى الأقرع فقال أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا الذي قد قدرني الناس، فمسحه فذهب عنه، وأعطى شعراً حسناً، قال: فأي المال أحببك إليك؟ قال: البقر، فأعطى بقرة حاملاً وقال: بارك الله لك فيها، ثم أتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إليّ بصري فأبصر الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطى شاة والدة، فأنتج هذا وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيراً أتبلغ به في سفري، فقال الحقوق كثيرة، فقال: كأي أعرفك، ألم تكن أبرص يقدرك الناس؟ فقيراً فأعطاك الله، فقال: إنما ورثت هذا المال كابرأ عن كابر، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت، وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله تعالى إلى ما كنت، وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل، انقطعت بي السبل في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله عليّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فو الله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عز وجل، فقال: أمسك عليك مالك، فإنما ابتليتكم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك. (١)

٣- نذكر لهم بعض القصص الواقعية حتى يتأثروا بها ومنها هذه القصة التي حدثت في الكويت.

كان رجلاً معروفاً بطيبته وصلاحه وحبه لعمل الخير، ولما منَّ الله عز وجل عليه ببعض المال أراد أن يشتري له داراً، فذهب يسأل (الدلالين) أي السماسرة عن الدور المعروضة للبيع.

قال أحدهم: إن لك عندي بيتاً يعجبك فهل تريد أن تراه قبل أن تشتريه؟

قال الرجل: لا مانع عندي، لكن متى نذهب لرؤية البيت؟

قال السمسار: غداً إن شاء الله تعالى.

في صباح اليوم التالي ذهب السمسار مع الرجل لكي يشاهد البيت، ودخلا وأخذ الرجل يجول في البيت، فإذا امرأة جالسة في زاوية من زواياه وأولادها الصغار حولها وهي تبكي وتدعو الله قائلة:

«حسبي الله على اللي بيبي يطلعنا من البيت غصباً علينا»، فنظر إليها الرجل ثم خرج

(١) رواه البخاري ج ٦ / ٣٦٤ ومسلم ٣٩٦٤

مسرعاً، وخرج خلفه السمسار مهرولاً قائلاً له: هل أعجبك البيت؟

قال الرجل: دع عنك وأخبرني ما قصة هذه المرأة وأولادها؟

قال السمسار: هذه زوجة صاحب البيت وقد توفي زوجها وتركها مع أولادها الصغار، وله أولاد من امرأة أخرى وهم يريدون بيع البيت حتى يأخذوا نصيبهم من الميراث، وهي في حيرة من أمرها، فليس لها بيت غيره ولا تدري ماذا تفعل، والورثة مصررون على بيع البيت. قال الرجل: هذه هي القصة إذن.. اسمع لقد اشتريت البيت بالمبلغ المطلوب، وغداً إن شاء الله أسلمك النقود.

واشترى الرجل البيت وأخذ الورثة المال ووزعوه بينهم كل أخذ نصيبه من الميراث حتى الزوجة الثانية وأولادها أخذوا نصيبهم، ولما استلم كل نصيبه غير منقوص جاء الرجل الطيب إلى المرأة في بيتها، فخافت منه وظنت أنه سيطردها من البيت بعد أن اشتراه، وأخذت تبكي فقال لها الرجل الطيب: لا تخافي ولا تحزني خذي هذه (بروة البيت) أي الصك وهي وثيقة امتلاك البيت، وقد سجلت البيت باسمك فهو ملك لك، فزاد بكاء المرأة من الفرح، وأخذت تشكره وتدعو الله عز وجل أن يوفقه ويعوضه خيراً منه، ويرزقه من حيث لا يحتسب.

ولقد من الله عز وجل على هذا الرجل الطيب بالخير الوفير والمال الكثير، وصار بفضل الله تعالى من كبار أغنياء البلد، وكذلك صار أبناؤه من بعده، ولا زال ينعم أولاده وأحفاده بما ورثه لهم هذا الرجل الطيب وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان. (١)

قال تعالى: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً﴾. (٢)

٤ - الحوار معهم في فوائد الصدقة في الدنيا والآخرة.

٥ - نبين لهم فلسفة المال في الإسلام، وكيف أنه حارب الفقر وليس الفقراء، وحارب العجز والكسل وحث على الإنجاز والعمل والغنى.

(١) قصص حقيقية من الواقع / ٧ - ٩ (سيد الرفاعي) وقد ذكر له القصة محمد صقر الجاسر.

(٢) المزمل / ٢٠

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

- ٦ - نضع لهم حصاله في البيت، فنعودهم على الصدقة اليومية.
- ٧ - إذا أراد أحد الوالدين أن يتصدق فيعطي الصدقة للابن حتى يوصلها للفقير.
- ٨ - عمل مسابقة بين الإخوان أيهم أكثر صدقة.
- ٩ - اشتراكهم في الحملات الإغاثية أو حملات جمع التبرعات.
- ١٠ - ترتيب رحلة سياحية صيفية بالتنسيق مع إحدى اللجان الخيرية، وأعرف أن د. عبد الرحمن سميط يقوم بذلك مع عائلته.
- ١١ - يأخذ الوالدان أبناءهما لزيارة اللجان الخيرية والتعرف على أنشطتها.

أم سلمة بنت أبي أمية

رضي الله عنها

أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن
مخزوم ابن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشية
المخزومية.

الوقفة الأسرية مع السيدة أم سلمة بنت أبي أمية رضي الله عنها

(١) الاستشارة العائلية:

- استشارة الزوجة، منهج نبوي.
- شاوروهن وخالفوهن.
- هل نستشير أبناءنا ونعتذر منهم؟
- هل الرجل ناقص عقل ودين؟
- لماذا لا يستشير الزوج زوجته؟
- كيف نربي أبناءنا على مفهوم الشورى؟

السيرة الذاتية

- هي أم سلمة هند بنت أبي أمية (ويعرف والدها بزاد الركب وهو أحد أجواد العرب المشهورين بالكرم، وكان إذا سافر لم يحمل معه أحد من رفقته زاداً، بل كان يكفيهم).
- وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن خزيمة.
- هي أول مهاجرة من النساء وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة مرتين.
- كانت قبل النبي متزوجة من أبي سلمة وأمه عمه النبي برة بنت عبدالمطلب وولدت له: سلمة وعمر ودرة وزينب.
- شارك زوجها أبو سلمة في غزوة بدر وأحد، ثم توفي إثر جرح أصيب به في عضده في أحد.
- دعا لها النبي وابنتها زينب ليكونا من أهل البيت.
- كان النبي إذا أراد أن يطوف على نسائه بعد العصر يبدأ بأم سلمة.
- توفيت في ولاية يزيد بن معاوية سنة ٦١ هـ وعمرها ٨٤ سنة وكانت آخر من توفي بعد النبي ﷺ.

استشارة الزوجة منهج نبوي

من أين استخرجنا هذا المفهوم؟

عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم: أن النبي ﷺ لما صالح أهل مكة، وكتب كتاب الصلح بينه وبينهم، فلما فرغ من قضية الكتاب قال ﷺ لأصحابه: «قوموا، فانحروا ثم احلقوا». قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قالها ثلاث مرات، فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة - رضي الله عنها - فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: يا نبي الله أتحب ذلك!!! اخرج ولا تكلم أحداً حتى تتحرُّ بَدْنك وتدعو حالقك فيحلق لك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً. (١)

نلاحظ في هذا الموقف قبول النبي ﷺ مشورة زوجته أم سلمة - رضي الله عنها - وتنفيذ رأيها وكان رأيها صواباً، ولهذا نلاحظ أن الصحابة رضي الله عنهم اقتدوا بفعل النبي ﷺ على الرغم من أنهم كانوا قد توقفوا عن تنفيذ أمره.

وفي هذا الموقف منهج لكل زوجين أن يتعاونوا ويتشاورا في إدارة حياتهما، وأن لا يستبد أحدهما على الآخر، وإنما يشتركان في إدارة العائلة وتربية الأبناء.

فطلب المشورة دليل كمال العقل ونضجه، وقد ورد في الأثر «ما خاب من استخار وما ندم من استشار»، وورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قولٌ جميل في هذا المعنى.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الرجال ثلاثة: رجل ترد عليه الأمور، فيسدها برأيه، ورجل يشاور فيما أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرأي، ورجل حائر بائر لا ياتمر رشداً، ولا يطيع مرشداً» (٢).

فلا شك أن عقليين أفضل من عقل عند النظر للأمور والتباحث فيها، وإن عدم أخذ رأي

(١) رواه البخاري ص ٢٧٤/٦ كتاب الشروط في الجهاد والمصالحة.

(٢) ادب الدنيا والدين/٢٦٠ (المواردي)

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

الطرف الآخر يعتبر إهانة له في بعض الأحيان، فقد مر عليّ قضيتان: الأولى: كان الزوج يشتكي من زوجته أنها لا تستشيريه ولا تأخذ برأيه، وإنما تتصرف بما تشاء وكيفما تشاء، والثانية: كانت الزوجة فيها تشتكي من أن زوجها لا يقدرها ولا يحترمها بسبب عدم استشارتها حتى في الأمور الخاصة بهما ولا يأخذ رأيا.

وأذكر أن كلا الطرفين كان متضايقاً من الآخر لأنه يمارس تجاهه دور «الإلغاء والتهميش» فيشعر كأنه غير مرغوب فيه، وعندها يكره العلاقة الزوجية، وربما يبحث عن مكان آخر يجد نفسه فيه ويكون محترماً ومقدراً.

ولكن الإسلام حدد لنا الأمور وعلمنا كيف نتعامل مع الآخرين، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال: والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم. (وفي رواية): كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئاً، فلما جاء الإسلام وذكرهن الله، رأينا لهن بذلك علينا حقاً، من غير أن ندخلهن في شيء من أمورنا)، (وفي رواية أخرى: كنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار). قال عمر: فبينما أنا في أمر أتأمره إذ قالت امرأتي: لو صنعت كذا وكذا، فقلت لها: مالك ولما ها هنا! فيم تكلفك في أمر أريده! فقالت: عجباً لك يا ابن الخطاب، ما تريد أن ترجع أنت، وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان».

فعندما جاء الإسلام أعز المرأة واعتبرها إنسانة كاملة مثلها مثل الرجل مع مراعاة الفروق الفردية فيما بينهما، ولهذا نلاحظ في موقف آخر ميمونة بنت الحارث، زوجة النبي ﷺ عندما تصرفت في أمر من غير أخذ مشورة النبي ﷺ أنه لم يعنفها ولم يغضب عليها ولم يقاطعها، وإنما ذكر لها أمراً لم تفكر به، وأشعرها أنها لو أشارت عليه لأرشدتها إلى ما هو أنفع لها وأكثر أجراً، والموقف يرويه كريب مولى ابن عباس فيقول:

عن كريب مولى ابن عباس: أن ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها - أخبرته أنها اعتقت وليدة ولم تستأذن النبي ﷺ، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت: أشعرت

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

يا رسول الله أني أعتقت وليدتي؟ قال: أو فعلت؟ قالت: نعم. قال: أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك». (١)

نلاحظ التعامل الراقي بين الحبيبين في موضوع الاستشارة، ولهذا فإننا لا نقول بأن أحد الزوجين لا يتصرف إلا بمشورة الآخر، وإنما لابد أن يكون بين الزوجين نوع من الحرية في التصرف حتى لا يكون الزواج قيداً، كما أن هناك مساحة بين الطرفين للاستشارة.

فقد ذكر الله تعالى موضوع التشاور بين الزوجين في فطام الطفل فقال:

﴿فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما﴾. (٢)

ومعنى ذلك إن أراد الوالدان فطام الولد عن تراضٍ فلا مانع فإن اتفق والدا الطفل على فطامه قبل الحولين ورأيا في ذلك مصلحة له وتشاورا في ذلك وأجمعا عليه فلا جناح عليهما في ذلك، فيؤخذ منه أن انفراد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكفي ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد بذلك من غير مشاورة الآخر. (٣)

شاوروهن وخالفوهن

كنت أتحدث يوماً في محاضرة عن استشارة الزوجة وذكرت قصة النبي ﷺ مع زوجته أم سلمة رضي الله عنها في صلح الحديبية، فقال قائل: فأين ذلك من الحديث: «شاوروهن وخالفوهن»، فقلت له: ولكن هذا الحديث بالرجوع إلى سنده فإنه غير صحيح، فقال: ولكن الرسول ﷺ لم يستشر أم سلمة، وإنما هي التي بادرت برأيها فهو لم يستشر امرأة! فقلت له: وكلامك أيضاً غير صحيح، لأننا نفهم من السياق أنه يطلب الرأي، وإلا لماذا يشكو همه لزوجته؟

وهذا ليس الموقف الأول مع أم سلمة، فقد روى مسلم عن أبي بكر بن عبدالرحمن أن رسول الله ﷺ: «حين تزوج أم سلمة وأصبحت عنده قال لها: ليس بك على أهلك هوان،

(١) رواه البخاري ج ٦ (كتاب الهبة) ومسلم ج ٨ / ١٠٦ (كتاب الزكاة).

(٢) سورة البقرة / ٢٣٣

(٣) تفسير القرآن العظيم ج ١ / ٢٨٤ لابن كثير.

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

إن شئت سبعت عندك وإن شئت ثلثت ثم درت، قالت: ثلث. (١)

وهذا نص صريح على طلب المشورة وإبداء الرأي، ولا يخفى علينا موقف النبي ﷺ كذلك عندما نزل عليه جبريل وذهب إلى بيته متأثراً، فذكر لخديجة رضي الله عنها ما حصل، فأشارت عليه بأن ما جاءه كله خير وسكنته ثم أشارت إليه للذهاب إلى ابن عم لها هو ورقة بن نوفل، وأخذ بمشورتها واقتراحها، ثم إن هذا ليس في بيت النبي ﷺ فقط، بل وكذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يستشيرون زوجاتهم، وكلنا نعرف موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما استشار حفصة في كم تصبر المرأة عن زوجها إذا غاب عنها، فقالت له: أربعة شهور، فأصدر قراراً بعودة المقاتلين على الجبهات بالعودة إلى بيوتهم كل أربعة شهور، ومن يرجع إلى كتاب تحرير المرأة في عصر الرسالة لعبدالحليم أبو شقة (رحمه الله) وفي الجزء الخامس يجد مواقف كثيرة تؤيد ما أقول..

ولعل البعض يحتج كذلك بالقول بأن المرأة يمكن أن تستشار ولكن في الأمور المنزلية فقط. ونقول: إنه يصعب علينا أن نحدد هذا الموضوع الآن من غير التعرف على صفة المستشار وسيرته الذاتية وخبرته العملية، فلو لم يكن للمرأة خبرة في بيتها وتربية أبنائها فإنه من الخطأ استشارتها في الأمور المنزلية.

وأما إذا كان لديها خبرة بحكم عمل معين أو وظيفة معينة فما المانع من أن تستشار؟ فالقضية ليس لها علاقة بجنس بقدر ما لها علاقة بخبره وتجربة. وأعود أخيراً إلى صاحبنا الذي اعترض عليّ في البداية، وبعد الحوار معه تبين لي أن الموضوع ليس شرعياً، وإنما هو عاش في بيئة لا تقدر المرأة ولا تحترمها فغلف هذا التعامل بإطار شرعي مزيف.

هل نستشير أبنائنا ونعتذر منهم؟

نشرت مقالاً في مجلة ولدي تحت عنوان (هل يمتذر الأب من ابنه) وهذا المقال أحدث ردود فعل كبيرة جداً. وهذا نصه: أثناء تقديمي لإحدى الدورات الخاصة بالرجال لاحظت

(١) روا مسلم ج ٤ / ١٧٣ (كتاب الرضاع).

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

رجلاً قد تغير وجهه، ونزلت دمعة من عينه على خده، وكنت وقتها أتحدث عن إحدى مهارات التعامل مع الأبناء وكيفية استيعابهم، وخلال فترة الراحة جاءني هذا الرجل وحدثني على انفراد قائلاً: هل تعلم لماذا تأثرت بموضوع الدورة ودمعت عيني؟ قلت له: لا والله!! فقال: إن لي ابناً عمره سبعة عشر عاماً وقد هجرته منذ خمس سنوات لأنه لا يسمع كلامي، ويخرج مع صحبة سيئة، ويدخن السجائر، وأخلاقه فاسدة، كما أنه لا يصلي ولا يحترم أمه، فقاطعته ومنعت عنه المصروف وبنيت له غرفة خاصة في السطح، ولكنه لم يرتدع، ولا أعرف ماذا أعمل، ولكن كلامك عن الحوار وأنه حل سحري لعلاج المشاكل أثر بي، فبماذا تتصحني؟

هل أستمر في المقاطعة أم أعيد العلاقة؟ وإذا قلت لي ارجع إليه فكيف السبيل؟ قلت له: عليك أن تعيد العلاقة اليوم قبل الغد، وإن ما عمله ابنك خطأ ولكن مقاطعتك له خمس سنوات خطأ أيضاً، أخبره بأن مقاطعتك له كانت خطأ، وعليه أن يكون ابناً باراً بوالديه ومستقيماً في سلوكه، فرد عليَّ الرجل قائلاً: أنا أبوه أعتذر منه، نحن لم نتربَّ على أن يعتذر الأب من ابنه!!

قلت: يا أخي الخطأ لا يعرف كبيراً ولا صغيراً، وإنما على المخطئ أن يعتذر، فلم يعجبه كلامي، وتابعتنا الدورة وانتهى اليوم الأول، وفي اليوم الثاني للدورة جاءني الرجل مبتسماً فرحاً ففرحت لفرحه، وقلت له: ما الخبر؟

قال: لقد فكرت كثيراً بكلامك وطبقته البارحة، وهل تعرف ما هي النتيجة؟ قلت: أخبرني، قال: طرقت على ابني الباب في العاشرة ليلاً وعندما فتح الباب قلت له: يا ابني إنني أعتذر من مقاطعتك لمدة خمس سنوات، فلم يصدق ابني ما قلت ورمى رأسه على صدري وظل يبكي، فبكيت معه، ثم قال: يا أبي أخبرني ماذا تريد أن أفعل، فإنني لن أعصيك أبداً.

وكان خبراً مفرحاً لكل من حضر الدورة، نعم إن الخطأ لا يعرف كبيراً ولا صغيراً، بل إن النبي ﷺ في إحدى الغزوات كان يساوي بين الصفوف، فوضع عصاه على بطن أحد الصحابة ليساوي وقوفه مع بقية الصف، فطلب هذا الصحابي أن يقتص من النبي ﷺ لما

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

فعل به، فكشف النبي ﷺ عن بطنه وأعطاه العصا ليقترض منه، ولكن الصحابي انكب على بطنه يقبله، فقال له النبي ﷺ، «لم فعلت ذلك؟» فقال: أردت أن يكون آخر عهدي بالدنيا أن يمس جلدي جلدك، واستشهد الصحابي في تلك المعركة، وتحققت له أمنيته.

إن الأب إذا أخطأ في حق أبنائه ثم اعتذر منهم فإنه بذلك يعلمهم الاعتذار عند الخطأ، وإذا لم يعتذر فإنه يربي فيهم التكبر والتعالي من حيث لا يشعر.. هذا ما كنت أقوله في أحد المجالس في مدينة «بوسطن» بأمريكا، وكان في المجلس أحد الأصدقاء الأحباء، فحكى لي تعليقاً على ما ذكرت قصة حصلت بينه وبين أحد أبنائه عندما كان يلعب معه بكتاب من بلاستيك، فوقع الكتاب خطأ على وجه الطفل وجرحه جرحاً بسيطاً، فقام واحتضن ابنه واعتذر منه أكثر من مرة حتى شعر أن ابنه سعاداً باعتذاره هذا، فلما ذهب به إلى غرفة الطوارئ في المستشفى لعلاجيه وكان كل من يقوم بعلاجه يسأله كيف حصل لك هذا الجرح؟ يقول: كنت ألعب مع شخص بالكتاب فجرحني، ولم يذكر أن أباه هو الذي سبب له الجرح. ثم قال معلقاً: أعتقد أن سبب عدم ذكري لأنني اعتذرت منه، وحدثني صديق آخر عزيز عليّ وهو دكتور في التربية بأنه فقد أعصابه مرة مع أحد أبنائه وشتمه واستهزأ به، ثم اعتذر منه، فعادت العلاقة أحسن مما كانت عليه في أقل من ساعة.

فالاعتذار لا يعرف صغيراً ولا كبيراً أو يفرق بين أب وابن. (١)

إن هذا الموضوع في غاية الأهمية، ولعل بعض الآباء والأمهات يرفضون الاعتذار كما يرفضون الاستشارة، على اعتبار أنهم أكبر سناً وأكثر تجربة وخبرة، ولكن (سورة النمل) تعلمنا سماع النصيحة والإرشاد من الأصغر سناً، وذلك بقبول سليمان عليه السلام النصيحة من هدهد صغير أقل خبرة وتجربة، والحوار التربوي بين إبراهيم عليه السلام وابنه في قضية الذبح يربي مفهوم الاستشارة عندنا مع أبنائنا.

فالقضية محسومة بالذبح.

وإبراهيم رأى في المنام أنه يذبح ابنه ورؤيا الأنبياء حق.

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

ومع هذا لنتأمل أسلوب الحوار عندما قال له:

يا بني.. إنني أرى في المنام أنني أذبحك.. فانظر ما ترى؟^(١) (يطلب رأيه)

يطلب رأيه في قضية محسومة لا نقاش فيها ولا جدال.

أليس في ذلك درساً لنا بأن نأخذ رأي أبنائنا ونستشيرهم؟

فالقيم والأخلاق ليس فيها صغير وكبير، فالكذب مثلاً حرام على الصغير والكبير، والصدق مستحب للصغير والكبير..

وكذلك الاعتذار والاستشارة..

هل الرجل ناقص عقل ودين؟!

من المشهور عندنا (أن المرأة ناقصة عقل ودين)، وهذا جزء من حديث صحيح للنبي ﷺ،

وقد كثر الكلام على هذا الحديث في فهمه وكيفية التعامل معه، حتى إن بعض الرجال لا

يستشير زوجته استناداً إلى أنها ناقصة عقل، والبعض يقول بانها لا تدخل الجنة لأن دينها

ناقص، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل الرجل ناقص عقل ودين؟!

أم هي مسألة خاصة بالمرأة؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال أعجبنى ما ذكره الشيخ الشعراوي - رحمه الله - عندما قال:

ولكي نفهم معنى الحديث - ويقصد ناقصات عقل ودين - لابد أن نعرف ما هو العقل؟

ليفهم الناس من التسمية مهمة العقل. إن العقل مأخوذ من العقال، وهو مقود الجمل الذي

لا يجعله يسري على غير هدى، إنما يخضعه لمشيئة راحبه.

الجمل لو ترك على هواه بغير عقال.. لجرى هنا وهناك، وكلما رأى عشباً مثلاً انطلق

إليه.. يسير يميناً ويساراً، ولا يصل أبداً إلى المكان الذي يريد صاحبه أن يصل إليه، ولكن

مهمة العقال أن يحكم حركة الجمل بحيث يسير في الطريق المرسوم.

ثم ضرب مثلاً على أن الرجل أكثر عقلانية من المرأة، لأن مهمته في السعي على الرزق،

فلا بد أن يرتب الأشياء ترتيباً عقلياً لا مكان فيه للعاطفة قال:

(١) سورة الصافات آية ١٠٢

فإذا لم يكن معه إلا بضعة جنيهاً حتى آخر الشهر، وجاء ابنه أو ابنته، وطلباً منه شيئاً فإنه لا يعطيها.. فإذا ألحاً في الطلب انفعلي عليهما، لماذا؟ لأنه حكم عقله بما هو مطلوب منه، وأخذ الطريق الذي لا عاطفة فيه.

لنفرض أن الابن أو الابنة ذهب إلى الأم وطلب نفس المطالب، ونزلت دموعه، ماذا يحدث؟ إذا لم يكن معها مال تقترض.. تذهب إلى الجارات لتشارك في جمعية تتحائل بشكل أو بآخر.. حتى تأتي لابنها أو لابنتها بما طلبوا.

المهم أنها عندما تفكر بعقلها تغلب عليها العواطف.. بل قد تدفع بعاطفتها لإرضاء أولادها.. حتى إنها قد تقترض، وهي لا تعرف من أين سترد القرض؟ أو من أين تدفع أقساط الجمعية؟ والمهم في هذا كله أن تفكيرها.. يكون خاضعاً دائماً للعاطفة وليس للعقل، بحيث لا ترتب الأحداث ترتيباً عقلياً.

إننا نرى الأولاد إذا احتاجوا شيئاً، وعلموا أن أباهم لن يوافق لأي سبب من الأسباب.. أسرعوا إلى الأم فهي التي تأتي لهم بالموافقة.. وهي بعاطفتها تؤثر على الأب.

وإذا أردنا أن نأخذ مثلاً آخر.. لنفرض أن الأب عاد إلى بيته متعباً، يريد أن ينام ويستريح، وإذا بطفله الرضيع يبكي، أول شيء يفعله الأب هو أن يبحث عن مصلحته كما يدل عليها عقله.. إنه يريد أن ينام، ولديه عمل في الغد فيذهب إلى حجرة أخرى لينام.

ورغم أن هذا هو التصرف الفعلي السليم، فإن الأم لا تفعله أبداً مهما كانت متعبة أو مجهداً، فإنها تبقى ساهرة بجوار ابنها.. بل إنها لو كانت مرتبطة بموعد هام، وهي في طريقها إلى الباب ووجدت درجة حرارة ابنها ارتفعت ارتفاعاً كبيراً فجأة.. نجد أن الأب يذهب إلى الموعد حتى ولو كان هو يقوم مقام الأب والأم، في حالة وفاة زوجته، ولكن الأم يستحيل أن تفعل ذلك.

وتستطيع أن تقيس على هذا مئات الأحداث التي تقع كل يوم، وتقارن فيها بين موقف الرجل والمرأة، لنجد أن عاطفة المرأة أقوى من عقلها.

لماذا؟ لأن هذه مهمتها في الحياة، ولو لم تكن العاطفة أقوى من العقل في المرأة، لما سهرت

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

الليالي بلا نوم بجوار ابنها المريض، ولما عاشت وتحملت لتبقى مع زوجها وأولادها في الأزمات، ولما استطاعت أن تتحمل مشقة التربية وصعابها.

إن تضحية الأم من أجل أولادها شيء لا يمكن إذا حكمنا فيه العقل أن يحدث، ولكن العاطفة وجدت هنا لتؤدي المرأة مهمتها، ولذلك عندما سأل أحد الرجال رسول الله ﷺ: «من أحق الناس بحسن صحابتي؟» قال رسول الله ﷺ: أمك.. فقال الرجل: ثم من؟.. فقال الرسول: أمك.. فقال الرجل: ثم من يا رسول الله؟ قال ﷺ: أمك.. وسأله الرجل: ثم من؟ قال: أبوك». (1)

ان فهم النص بنقصان العقل هو صفة مدح وليس ذماً.. هذا هو الصواب ولكن أن نستغل مثل هذه النصوص في عدم استشارة المرأة وتحقيرها وتزليل شأنها، فإن هذا لم يردده حبيبنا محمد ﷺ.

وقد قال «أنتوني روبنز» في كتابه الشهير «أيقظ قواك الخفية» في مقدمته:

إنني مؤمن بأن الله سبحانه وتعالى لم يخص بعضنا دون الآخرين بمواهب خاصة، بل خلقنا جميعاً بحيث يكون كل منا فريداً في نمطه، ولكننا نتمتع جميعاً بفرص متساوية لتجربة الحياة بكل منحائها.

فينبغي أن تستمر عقلانية الرجل وعاطفة المرأة بطريقة تحقق تكاملهما في الحياة، وليس تحطيم أحدهما للآخر وتحويل التكامل والتعاون إلى صراع.

ثم نقول في الختام: إننا يمكننا فهم أن الرجل كذلك ناقص عقل ودين، لو أخذنا النص على ظاهره من غير معرفة معناه، فالرجل في كثير من تصرفاته يبدو أنه ناقص عقل، وقد عرضت عليّ قضايا ومشاكل زوجية كثيرة، أستطيع أن أحكم عليها بأن هذا الصنف من الرجال ناقص عقل كما عرضت عليّ قضايا كثيرة تبين نقص الدين من الرجال، فهل في ذلك منقصة للرجل؟

الموضوع لا ينظر إليه بهذا الشكل، وإنما لكل من الرجل والمرأة القدرات العقلية التي وهبها الله إياهم فلا بد من استثمارها واستغلالها أفضل الاستغلال.

(1) المرأة في القرآن / ٦٧ - ٦٩ للشيخ الشعراوي.

لماذا لا يستشير الزوج زوجته؟!

في إحدى حلقات «بيوت النبي محمد ﷺ» التلفزيونية والتي بثت في شهر رمضان عام ١٤٢١ هـ تعرضت لحلقة كاملة عنوانها استشارة الزوجة ومن ضمن فقرات الحلقة عملت مقابلة مع الجمهور من الرجال وتم طرح السؤال عليهم وهو:

«متى كانت آخر مرة أخذت فيها رأي زوجتك؟»!

وتعجبت من إجابة العينة من الشارع بأن أكثرهم كان يبتسم من غير إجابة، وقليل منهم أجابوا إجابة صحيحة.

وهنا أتساءل لماذا لا يستشير الزوج زوجته؟

واعتقد أن الأسباب تنحصر في أمور أربعة:

١ - سبب تربوي:

قد يكون الزوج تربي في بيئة تقدم الذكر على الأنثى، وفي مجتمع ذكوري وليس للمرأة قيمة فيه، فيكون تصرفه مع زوجته طبيعياً لأن الإنسان ابن بيئته وتربيته، وقد يكون هذا الرجل قدوته والده، ووالده لا يقدر زوجته ولا يحترمها.. ومن الطرائف في هذا الموضوع أن رجلاً كان يقود سيارته وأجلس (خروفاً) إلى جانبه، فأوقفه الشرطي ليخالفه، فقال له السائق: وما سبب المخالفة؟

قال الشرطي: لأنك أجلست الخروف في الأمام، وينبغي أن يكون في شنطة السيارة من الخلف. فقال السائق: إن الخروف ذكر، فإنه يجلس في الأمام ولو كان نعجة لأجلستها في الخلف. إن هذه الطرفة تدل على قيمة موجودة عند بعض الرجال، ولهذا فإننا نقول: إن السبب التربوي قد يكون أحدها.

٢ - سبب نفسي:

قد يكون الرجل أصلاً لا يستشير أحداً في حياته سواءً أكان من يستشير رجلاً أم امرأة، لأن لديه اعتداداً بالنفس وثقة زائدة وتكبراً وأناانية، فلماذا يستشير الآخرين، وهو يعتقد أنه إن استشار أحداً فإن هذا دليل ضعفه ونقصه.

٣ - سبب شرعي مزيف:

كما ذكرنا سابقاً فقد يكون هذا الرجل قد فهم بعض النصوص الشرعية فهماً خاطئاً، وتبنى هذا الفهم كعقيدة عنده مثل «شاوروهن وخالفوهن».

٤ - سبب اجتماعي

قد يكون الرجل ورث بعض الموروثات الاجتماعية في حق المرأة مثل «المرأة من السجاد الإيراني كلما دعست عليه أكثر يكون أطيب»، أو «المرأة زواجها ستر لها» أو غير ذلك من الأمثال والأفكار التي تبين أن المرأة لا قيمة لها من غير رجل، وبالتالي ينظر هذا الرجل للمرأة نظرة دونية، وأنه أفضل منها، ونسي هذا الرجل قول الله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾. (١)

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل مر عليّ حالات كان الرجل لا يحترم زوجته ولا يأخذ رأيها ولا يستشيرها؟ ثم تغير بعد ذلك؟

الجواب: نعم، وآخرها قصة عشتها منذ أسبوعين، أخبرني الرجل نفسه بعد حضوره إحدى الدورات التي أقدمها بأنه تغير حاله وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس.

وسؤال أخير كذلك: هل الرجل ملزم بأن يأخذ رأي زوجته إذا استشارها؟

الجواب: يعتمد ذلك على نوع الموضوع والقضية واقتضاء المصلحة، فهو يقدر بعد ذلك إن كان رأيها حكيماً أم لا.

ثم لا ننسى أنه من بعد الاستشارة يلجأ الإنسان إلى الاستخارة.

كيف نربي أبناءنا على مفهوم الشورى؟

١ - أن تكون قدوة عملية في البيت أمامهم فيشاهدون منا ممارسات الشورى في العلاقة الزوجية والعلاقة التربوية.

٢ - أن نؤهلهم علمياً على معرفة أهمية الشورى وأنها نظام أساسي للنجاح في الحياة.

٣ - أن نؤهلهم دينياً بفهم النصوص التي ترشد الإنسان للاستشارة وأهميتها في حياة الإنسان.

(١) سورة الحجرات آية ١٣

- ٤- أن نضرب لهم بعض الأمثلة في الشورى من حياة الحبيب محمد ﷺ والصحابة وكذلك من الحياة المعاصرة.
- ٥- نغرس فيهم أن الإنسان ضعيف بنفسه ولكنه قوي بإخوانه.
- ٦- نترك لهم الفرصة ليرتكبوا أخطاء ثم نحاورهم ونبين لهم أنهم لو استشاروا قبل قيامهم بذلك العمل لما وقعوا في الخطأ.
- ٧- نبين لهم فوائد الشورى من تقوية العلاقة مع الذي يستشيرونه ويعطي الآخرين الشعور بالأهمية والتقدير، وهو باب من أبواب النصح والتعاون على البر والتقوى.
- ٨- نعلمهم آداب الاستشارة؛ من عرض الموضوع كاملاً ثم أخذ الرأي ثم المناقشة بالرأي ثم الشكر على الاستشارة.
- ٩- أبين لهم أن عدم ذكر الجواب الصحيح عند سؤالهم وطلب رأيهم فإن ذلك خداع وكذب، وقد قال رسول الله ﷺ «المستشار مؤتمن»^(١).

(١) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة. وقال: حسن صحيح (٤/٥٨٥).

زينب بنت جحش

رضي الله عنها

زينب بنت جحش بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم
بن دودان بن أسد بن خزيمة.

الوقففة الأسرفة مع السفةة زفنب بنت جمش رضف الله عنهما

(١) كسر العادات والتقالفد:

- دكتاتورفة الأعراف والهنفدات الثلاث.
- كفف نغير العادة السفنة؟
- هل ستصبح عاداتنا غربفة؟
- كفف نرهب أبناءنا على العادات الحسنفة؟

السيرة الذاتية

- أم المؤمنين زينب بنت جحش، وأما أميمة بنت المطلب عمه رسول الله.
- كان اسمها برة فلما دخل عليها رسول الله سماها (زينب).
- خطبها رسول الله لمولاه زيد بن حارثة ثم طلقها فتزوجها رسول الله.
- كانت زينب صادقة الإيمان تقية وقالت عنها ضربتها عائشة رضي الله عنها: «لم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي يتصدق به ويتقرب به إلى الله عز وجل».
- قال عنها رسول الله: «أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً».
- توفيت سنة عشرين وعمرها ٥٢ سنة، وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- هي أول من مات من نساء النبي.

كسر العادات والتقاليد:

● من أين استخرجنا هذا المفهوم؟

إن المتأمل في قصة زواج زينب من زيد بن حارثة ثم طلاقها منه وزواج النبي محمد ﷺ منها يرى أن هذا الحدث الاجتماعي كان الهدف منه أمرين: الأول: كسر العادات والتقاليد المخالفة للدين. والثاني: إلغاء نظام التبني في الإسلام وأريد أن أعرض القصة باختصار شديد حتى يتلمس القارئ معي هذه النتيجة.

● زيد بن حارثة

كان زيد عبداً رقيقاً اشتراه «حكيم بن حزام» فأهداه لخديجة - رضي الله عنها - ثم أهدته للنبي محمد ﷺ، فسمع به أبوه وعمه فأتيا مكة قبل البعثة وطلبا ابنهما زيداً من النبي ﷺ وعرضوا عليه المال لأخذه، فإشار عليهم النبي بأن يخيروه فوافقوا على ذلك، فلما خيروه اختار زيد أن يبقى مع النبي محمد ﷺ، فغضب أبوه لأنه اختار العبودية على الحرية، فذهب به النبي محمد ﷺ إلى الكعبة وقال: إني أشهدكم بأن زيداً ابني، وأصبح يدعى «زيد بن محمد».

وكان النبي ﷺ يحبه كثيراً، حتى قالت عائشة - رضي الله عنها -: «لو كان حياً لاستخلفه النبي بعده».

● خطبة زيد لزينب

خطب النبي محمد ﷺ لزيد ابنة عمه زينب، فلما سمعت زينب بالخطبة رفضتها، وقالت: لا أتزوج أبداً، وأنا سيدة عبد شمس وأخذتها الأفكار المتصارعة، فكيف تتزوج مولى وهي ذات حسب ونصيب وشرف، فهي أصيلة وقرشية وحسيبة وابنة عم النبي وزينة نساء قريش، وتتزوج من مولى اشترته خديجة وأهدته للنبي الذي أعتقه ومنّ عليه بشرف الانتساب إليه، وكذلك كان موقف أخيها عبدالله، فإنه رأى في هذا الزواج عاراً.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

فقال لها النبي ﷺ: «بل فانكحيه، فإني قد رضيته لك»، وكان النبي ﷺ يريد أن يكسر العادة الشائعة (أن الأصل لا يتزوج إلا أصيلة)، واختار حبه زيداً أو ابنة عمه زينب، لكسر هذه العادة عند العرب.

وقبل أن تجيب زينب على رسول الله ﷺ أنزل الله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾. (الأحزاب/٣٦)

وبعدما نزلت الآية قالت زينب وأخوها: رضينا يا رسول الله، وساق زيد إلى بني جحش عشرة دنانير وستين درهماً، ودرعاً وخماراً وملحفة وأزراداً، وخمسين مداً من الطعام وعشرة أمداد من التمر، أعطاه ذلك كله الحبيب محمد ﷺ.

● عدم الوفاق بينهما

لم يكن زيد جميل الصورة فلم ينشرح له قلب زينب، وبدأت تتعالى عليه في النسب والحرية، وشعر منها بأنها زهدت فيه وهو قد تربي على الكرامة والأنفة في كنف الحبيب محمد ﷺ، فأله ما تفعل به، واشتكى إلى رسول الله أكثر من مرة بأن زينب تتعاطم عليه بشرفها، وأن فيها كبراً، وتؤذيه بلسانها، وكان النبي ﷺ دائماً يردد عليه: «أمسك عليك زوجك». (الاحزاب/٣٧)

ويأتيه مرة أخرى ليشتكى منها ويطلب الطلاق والتفريق والنبي يردد عليه: «أمسك عليك زوجك». وكان النبي يريد من ذلك كسر العادة عند العرب، وأن يبقى زيد مع زينب ثم يطلقهما فيتزوج النبي زينب وبذلك تنكسر عادة أخرى بأنه تزوج زوجة ابنه، فيلغي نظام التبني، ومع هذا كان يخشى الناس.

ثم سمح له بالطلاق وأنزل الله تعالى: ﴿لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً﴾ (الاحزاب/٣٧) ونزلت بعد زواج النبي من زينب.

● زواج النبي من زينب

وجد النبي ﷺ في نفسه حرجاً من الزواج منها، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ما كان على النبي من

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

خرج فيما فرض الله له، سنة الله في الذين خلوا من قبل، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله، وكفى بالله حسيباً. (الأحزاب/ ٢٨ - ٢٩) ثم إن الله تعالى زوّجها رسوله ﷺ من السماء، قال تعالى: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾ (الأحزاب/ ٣٧)

فلما انتهت عدة زينب قال النبي لزيد اذهب إلى زينب واذكرني عندها، وكان زواج النبي منها من غير ولي ولا شاهد لأن الله تعالى هو الذي زوجها منه، وكانت زينب تفخر على أمهات المؤمنين: «زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات». قال تعالى: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾ (الأحزاب/ ٣٧) ويذكر أنه لما تزوجها النبي تكلم المنافقون فقالوا: حرّم محمد نساء الولد، وقد تزوج امرأة ابنه، فأنزل الله تعالى: ﴿ما كان محمدٌ أباً أحدٍ من رجالكم﴾. وقال: ﴿ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله﴾.. فدعي يومئذ زيد بن حارثة.

● الخلاصة:

لعلك لاحظت أيها القارئ العزيز معي كيف هي المعاناة في تغيير أعراف المجتمعات، ونحن نقرأ هذه القصة في دقائق بينما هي في الواقع أيام وأشهر كلها معاناة:

- ١ - معاناة النبي في إقناع زينب بالزواج من زيد.
- ٢ - معاناة زيد مع زينب في البيت.
- ٣ - معاناة أهل زينب عندما تزوجت.
- ٤ - معاناة الجميع في مواجهة ضغط المجتمع.
- ٥ - معاناة الطلاق وفشل الزواج.
- ٦ - معاناة النبي في التطليق بين الطرفين.
- ٧ - معاناة النبي في الزواج من زوجة متبناه.
- ٨ - معاناة النبي في إلغاء نظام التبني ومواجهة العرب بذلك.
- ٩ - وغيرها من المعاناة.

وكل ذلك من أجل التغيير..

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

ومع هذا فقد كافأ الله تعالى زينب على صبرها بتزويجها من النبي محمد ﷺ، وأي شرف أعظم من هذا الزواج، الذي كان متفرداً في إجراءاته وطريقته، ولهذا كانت تفاخر النساء بثلاث:

١ - بأن جدها وجد النبي واحد.

٢ - وأن الله أنحكها للنبي.

٣ - وأن السفير كان جبريل.

● دكتاتورية الأعراف والهنديات الثلاث

من الخطأ أن نلغي العادات والتقاليد للشعوب، ولكن الصواب أن نحاول تغيير العادات والتقاليد التي تخالف منهج الإسلام، أما وجود العادات والتقاليد في حياة الإنسان فهي رمز لهويته، والعادات كذلك مفيدة في الحفاظ على مرجعية الإنسان وثقافته. ولكن متى تكون العادة دكتاتورية؟

إنها تكون كذلك عندما يعمل بها الناس وإن كانت مخالفة للشريعة الإسلامية، ومن أمثلة ذلك في واقعنا المعاصر:

١ - عدم النظر للمخطوبة.

٢ - حصر زواج بنت العم بابن عمها.

٣ - غلاء المهور.

٤ - عدم تزويج البنت الصغيرة قبل الكبيرة.

٥ - حرمان المرأة من الإرث.

وغير ذلك من العادات التي تخالف الإسلام وما زالت موجودة إلى اليوم، وإننا لا نريد أن نستدل من الشريعة بما يخالف كل عادة مما ذكرنا، ولكننا أحببنا أن نذكرها على سبيل المثال لا الحصر، حتى نعرف المعاناة التي عاناها النبي ﷺ عندا أراد كسر عادة وتغييرها، فالأمر ليس بسهل ويحتاج إلى وقت وصبر، وقد ذكر د. مصطفى السباعي قوة العادة فقال: «كم عظيم هزم الجيوش، وهزمته عادة سيئة». (١)

(١) هكذا علمتني الحياة / ١٥٨ (السباعي).

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

وقال كذلك: «أقصى أنواع الاستعمار: استعمار العادة للإنسان». (١)
وأحببت أن انقل لكم قصة ثلاث هنديات لتتعرف على مأساتهن بسبب العادات
الاجتماعية والتي تخالف الدين.

أقدم ثلاث أخوات هنديات على الانتحار بتناول مبيد للحشرات، وقال ناطق باسم الشرطة
في بومباي: إن والد المنتحرات أعلن أنه لم يتمكن من العثور على زوج لابنته الكبرى،
ورفض السماح لابنتيه الأخريين بالزواج طالما لم تتزوج الأولى» (٢)

وأسماء الأخوات الثلاثة: فيجا ياناتي (٢٠ سنة) وشاكونتالا (٢٥ سنة) ويامونا سوفارنا
(٢٠ سنة)، فهذه قصة من آلاف القصص والتي ذهبت ضحيتها فتيات بسبب (دكاتورية
الأعراف)، وأنا أعرف قصصاً كثيرة لفتيات وشباب مظلومين بالعادات التي تخالف
الإسلام، ولعل من أبرزها عدم زواج الأصيل من غير الأصيل، وهي القصة التي ركز عليها
حبيبنا محمد ﷺ ولهذا قال معروف الرصافي:

كل ابن آدم مقهور بعادات	لهن ينقاد في كل الإرادات
عوائد عمت الدنيا مصائبها	وإنما أنا في تلك المصيبات
إن العوائد كالأغلال تجمعنا	على قلوب لنا منهن أشتات
الحرمن خرق العادات منتهجاً	نهج الصواب ولو ضد الجماعات
ومن إذا خذل الناس الحقيقة عن	جهل، أقام لها في الناس رايات
ولم يخف في اتباع الحق لائمة	ولو أتمته بحد المشرقيات
وعامل الناس بالإنصاف مدرعاً	ثوب الأخوة من نسج المساواة
فأغبي البرية أوفاهم لعادته	وأعقل الناس خراق لعادات (٣)

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) غير متزوجات ولكن سعيدات / ٣٣ (محمد رشيد العويد) نقلاً عن وكالة الأنباء الفرنسية
في ١٩٩٦/٦/١

(٣) ديوان معروف الرصافي ج ١ / ١١٠ - ١١٢

● كيف نغير العادة السيئة؟

انه سؤال مهم ويحتاجه كل إنسان، فما منا أحد وإلا ويحتاج إلى تغيير عادة سيئة عنده سواء أكانت العادة سلوكية أم صحية أم تربوية، أم غيرها، ولقد ناقش القرآن الكريم هذه المسألة ولفت النظر إلى أن التغيير يبدأ من الذات، وهذا ما يؤكد حبيبنا محمد ﷺ وهو أن كل إنسان يتحمل مسؤولية فعله، وكذلك تعرض علماءنا وخصوصاً المهتمون بالسلوك بهذا الجانب، وشرح ابن القيم قضية قطع الخواطر السلبية واستبدالها بخواطر إيجابية لأن أصل العادة خاطرة، ثم تطورت إلى هم ثم عمل ثم يكرر هذا العمل حتى أصبح عادة، وناقش الغزالي كذلك هذه المسألة في الإحياء وأفاضوا في شرحها، ولكن ما لفت نظري البرنامج الذي وضعه «أنتوني روبنز» في تغيير العادات السيئة في كتابه: «أيقظ قواك الخفية» وأحببت أن أخلص ما كتبه في ثلاثين صفحة^(١) من كتابه بهذه الخطوات:

- ١ - قرر ما تريد تغييره بالضبط: وهذه هي أول مرحلة من مراحل التغيير أن يحدد الإنسان ما يريد تغييره، ويحدد عادة واحدة فقط، فيتخذ قراراً بتغييرها.
- ٢ - اربط الألم بعدم التغيير والمتعة بالتغيير: وهذا مما يساعد على التغيير بأن تربط الألم بعدم التغيير، كما لو نصحك طبيب مثلاً بعدم أكل الحلويات من أجل زوال المرض الذي تعاني منه، فإن قرارك هذا بعدم الأكل عندما تربطه بالألم المرض فإنه يساعدك على الالتزام به، وعندما تتخيل نفسك بعد زوال المرض ومتعتك بذلك فهذا يساعدك في تغيير تلك العادة.
- ٣ - استخدم كل قدراتك: عند اتخاذ قرار التغيير استخدم كل قدراتك من أجل إنجاح هذا القرار، وضرب مثالاً بالذبابة التي تريد أن تخرج من الشباك وهو مغلق، فتطير ثم تضرب بالزجاج، وتطير مرة أخرى وتضرب بزجاج الشباك وهكذا تكرر محاولاتها، ولو غيرت مسارها لخرجت من الباب أو الشباك الآخر، وهكذا بعض الناس في عملية التغيير، يريدون تغيير أنفسهم باتباع طريقة واحدة، ولا يستخدمون كل قدراتهم، ويقولون: لا فائدة من التغيير.
- ٤ - ابتكر بديلاً جديداً يمنحك القوة: وضرب مثالاً من يريد أن يقلع عن التدخين فليحل

(١) أيقظ قواك الخفية / ١٢٣ - ١٥٣ (لانتوني روبنز).

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

محله الرياضة حتى يحافظ على الشعور بالمتعة.

٥ - كرر النمط الجديد ليصبح عادة: ومن ثم يكرر الإنسان النمط الجديد له، حتى يصبح عادة، فتحل العادة الحسنة محل العادة السيئة، وكافئ نفسك عند كل انتصار، وضرب مثلاً باللاعب المشهور في كرة السلة (بيوسطن).. «لاري بيرد» والذي كان يصيب في كل رمية، فأرادت إحدى الشركات أن تسجله في لقطة إعلانية وهو يرمي الكرة ولا يصيب الهدف بها، وظل يتدرب مراراً حتى يتعلم الخطأ، لأنه تعود على إصابة الهدف حتى تبرمج على ذلك.

٦ - اختبر ما أنجزت: وآخر شيء اختبر نفسك فيما أنجزته وأوجد لك بيئة تغيير، واعتقد أن هذه قضية مهمة جداً لأن الإنسان يتأثر بمن حوله، وهذا تأكيداً للحديث المشهور في الرجل الذي قتل ٩٩ نفساً، وأذكر نصه لأن فيه تغيير البيئة حتى يحافظ على نفسه.

فقد قال رسول الله ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة، فقال: لا، فقتله فكمل به مئة. ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مئة نفس فهل له من توبة، فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فأى أيتها كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى أرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة. (١)

■ هل ستصبح عاداتنا غربية؟

هناك أربعة أنواع من العادات:

- طبيعية.

- عقلية.

(١) رواه مسلم بشرح النووي ج ٨٢/١٧

- اجتماعية.

- روحية. (١)

فالكسل وإدمان التدخين من العادات الطبيعية، وأما القراءة وحب الجمال فمن العادات العقلية، وأما الزيارات فمن العادات الاجتماعية وتزكية النفس والعبادات من العادات الروحية، وكلها يمكن اكتسابها وتميئتها في أنفسنا وكذلك يمكننا تغييرها، ولا شك في أنّ البيئة لها أثر على الإنسان في تربيته وتشكيل عاداته منذ الصغر، ومن لطائف ما سمعت عندما كنت أقدم برنامج البيوت السعيدة في شهر يناير عام ٢٠٠١، وكانت الحلقة تحت عنوان «حجاب الفتيات» وفيها جمهور من الفتيات يتحدثن عن سبب حجابهن، ولفت نظري ونحن نتحدث عن البيئة أنّ إحدى الفتيات قالت: إن البيئة في التعريف القديم كان يقصد منها المناخ الأسري، أما اليوم فبيئة الطفل ما يرى وما يسمع وما يتفاعل معه من خلال الإعلام والإنترنت والشارع، فأصبح العالم هو بيئته وليس لوالديه إلا تأثير بسيط جداً.

واستوقفتني هذه الكلمة وجلست أفكر بها لأن فيها وجهة نظر تستحق الوقوف عندها خاصة إذا علمنا أن الغرب يصدر ثقافته، ونحن يتخلى بعضنا عن ثقافته وأصوله، والغرب يملك مع ذلك تكنولوجيا متطورة وثورة في الاتصالات مبهرة، كما يملك الموارد المالية والبشرية. وطبقاً لإحصائيات الأمم المتحدة فإن أكبر صناعة تصديرية في أمريكا ليست الطائرات والأسلحة والسيارات، وإنما هي صناعة الترفيه فقد حصدت أفلام هوليوود أكثر من ٣٠ مليون دولار على نطاق العالم عام ١٩٩٧، ثم إن شراء جهاز كمبيوتر واحد في بنجلاديش مثلاً يكلف العامل أجر ثماني سنوات، بينما تكلف المواطن الأمريكي أجر شهر واحد، وإذا أدركنا أن ٨٠٪ من المعلومات المتداولة في العالم الإسلامي غربية المصدر أو أمريكية في المقام الأول فإن تأثيرها لاشك كبير. (٢)

فالواقع الذي نعيشه ملون بألوان الغرب في كل شيء في الأمور الصناعية والاستهلاكية

(١) علم النفس في حياتنا اليومية / ١٤٢ (سمير شيخاني).

(٢) جزء من مقال «هي دعوة للأمرأة حقاً لكن فرصة الإفادة منها واردة، لفهمي هويدي مجلة

المجلة عدد ١٠٥٣ ص ٣٢ - ٣٣

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

ونحن نستطيع أن نعتمد على أنفسنا ونطوّر ذواتنا، وأن نحرم الغرب من رواج بضاعتهم وكلنا يعرف موقف الشعوب العربية عند استشهاد الطفل «محمد الدرة»، فقد قاطع بعض أفراد الشعب المصري مطاعم «الماكدونالدز»، وكانت خسارته في شهر واحد ثمانية ملايين دولار، فإذا لدينا القوة لو وظفناها التوظيف الصحيح، فنحن أمة فيها كل مقومات القيادة ولكننا مصابون بما يسمى «التكاسل العلمي»، فقد خلف علماءنا ما يقارب ثلاثة ملايين مخطوطة موجودة الآن في المكتبات العالمية، وهذا ما حدثني به الشيخ شعيب الأرنؤوط المحقق المعروف، ولكننا كما ذكرت نعيش في جو التكاسل العلمي، أن اللغة العربية في هيئة الأمم تعتبر السادسة بينما هي على شبكة الإنترنت ترتيبها (٢٢) أليس ذلك مؤشراً على اعتمادنا على الغرب من الناحية العلمية.

إن الطب والهندسة وغيرها من العلوم مازال في دولنا يدرس باللغة الأجنبية، وعدد الناطقين باللغة العربية (٣٠٠ مليون) تقريباً، بينما في السويد أو بلجيكا وعدد سكانهما عدة ملايين يدرسون الطب والهندسة وغيرها بلغتهم.

ونقولها مرة أخرى ما لم نتحرك، والا فستكون عاداتنا في المستقبل غريبة أو أمريكية!! فلا بد من النهوض والحركة وهذا ما نتعلمه من درس زينب - رضي الله عنها -

كيف نربي أبناءنا على العادات الحسنة؟

- ١ - نعرف لهم العادة الحسنة وفوائدها ونبين لهم العادة السيئة ومضارها.
- ٢ - نغرس في أنفسهم الدين الإسلامي فهو مرجعنا التربوي.
- ٣ - أبين لهم أهمية عاداتنا وتقاليدينا التي تتوافق مع الإسلام وما يخالف منها الإسلام.
- ٤ - اعرض عليهم بعض الكتب عن عادات الشعوب وثقافتها ليقرؤوها.
- ٥ - أستثمر فرصة السفر معهم إلى بلاد الغرب في تعريفهم بعاداتهم الغربية، وأعلق عليها إن كانت حسنة أو سيئة.
- ٦ - أدرسهم قصة زينب رضي الله عنها.

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

٧ - ان نستغل الأعمار المبكرة في غرس العادات الصحيحة، لأن الطفل كلما كبر صعب علينا غرس العادات الحسنة فيه.

٨ - أشجع الأبناء وأكافئهم عند تبني العادات الحسنة وترك العادات السيئة والغريبة.

٩ - الصبر على الأبناء بتكرار التوجيه لهم وعدم اليأس حتى يصبح السلوك عندهم عادة. وفي الحالتين إما كسب العادة الحسنة أو ترك العادة السيئة، فإننا نحتاج فيه إلى الصبر والحوار.

جويرية بنت الحارث

رضي الله عنها

جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ ابن مالك
بن جذيمة ابن سعد بن كعب بن عمر بن ربيعة بن حارثة بن
عمرو بن عامر ماء السماء. الخزاعية ثم المصطلقية.

وقفه أسرية مع السيدة جويرية بنت الحارث رضي الله عنها

(١) التدين العائلي:

- متدين (مودرن).. ومقعد الطائرة.
- ٣ قصص في التدين.
- طرائف في فهم الدين.
- زوجتي غير محجبة ماذا أفعل؟
- كيف نربي أبناءنا على التدين؟

السيرة الذاتية

- هي جويرية بنت الحارث، وكان اسمها برة فغيره رسول الله ﷺ إلى جويرية.
- كانت قبل النبي محمد ﷺ عند مسافع ابن صفوان وقتل كافراً.
- سببت يوم المريسيع في غزوة بني المصطلق، ووقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها على تسع أواق، فأدى رسول الله ﷺ عنها كتابتها.
- كانت امرأة حلوة ملاحه، هكذا قالت عنها عائشة رضي الله عنها، وقالت عنها كذلك: «ما أعلم امرأة أعظم منها على قومها بركة»، فلقد أعتق الله بها مئة أهل بيت من بني المصطلق.
- رأت في المنام قبل قدوم النبي إلى المدينة بثلاث ليال كأن قمرأً يسير من يثرب حتى وقع في حجرها، فكرهت أن تحدث أحداً بذلك ثم تزوجها النبي.
- توفيت سنة ٥٠ هـ، وصلى عليها مروان بن الحكم وهو أمير المدينة وبلغت سبعين سنة.
- كانت تعرف بكثرة تسبيحها وذكرها لله تعالى.

التدين العائلي

• من أين استخرجنا هذا المفهوم؟

روى مسلم عن جويرية رضي الله تعالى عنها أنها قالت:

أتى عليّ رسول الله ﷺ وأنا أسبّحُ غدوة، ثم انطلق لحاجته، ثم رجعت قريباً من نصف النهار وأنا أسبّحُ، فقال: «مازلت قاعدة؟» قلت: نعم.. فقال: «ألا أعلمك كلمات، لو عدّلت بهن - أو لو وزن بهن - وزنّتهن - يعني جميع ما سبحت به - وهو سبحان الله عدد خلقه، ثلاث مرات، سبحان الله زنة عرشه، ثلاث مرات، سبحان الله رضاء نفسه، ثلاث مرات، سبحان الله مداد كلماته، ثلاث مرات». (١)

وكذلك حديث آخر يدل على حرصها على الصيام، ومن مروياتها الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه بسنده عن قتادة عن أبي أيوب عن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة، وهي صائمة فقال: أصمت أمس؟

قالت: لا.

قال: تريدان أن تصومي غدأ؟

قالت: لا.

قال: فأفطري. (٢)

وإنني أكتفي بذكر الروایتين، وإن كان في السنة روايات كثيرة تدل على تدين أم المؤمنين جويرية - رضي الله عنها، بل إن المتأمل في السيرة يستغرب من قصة إسلام والدها عندما سمع بأن ابنته جويرية وقعت بيد النبي ﷺ، فجهز الإبل وانطلق بها إلى النبي ﷺ ليفدي ابنته بها، وفي طريقه إلى النبي نظر إلى الإبل فأعجبه بعيران منها، فخبأهما في

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٦).

(٢) رواه البخاري باب صوم يوم الجمعة في الفتح ج ٤ / ٢٧٣ رقم (١٩٨٦).

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

شعب من شعب «وادي العقيق»، ثم دخل على النبي ﷺ فقال:

لقد أصاب المؤمنون ابنتي وجئت في فداؤها بهذه.

فقال النبي ﷺ: فأين البعيران اللذين خبأتهما في وادي العقيق؟

فقال الحارث: «أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله، فو الله ما اطلع على ذلك أحد إلا الله»، وأسلم ابنان له، ثم أسلم قومه.

فحرص جويرية رضي الله عنها على الإسلام والتدين وحب الله تعالى وكثرة العبادة لم يأت من فراغ، بل إن والدها كان كذلك، وتكفي قصة إسلامه كم أثرت في مجتمعه.

كما أن حب التدين لم يكن مقصوراً على أمنا جويرية رضي الله عنها فقط، بل وكذلك باقي أمهات المؤمنين، ومن يقرأ السيرة يلاحظ حرص أمهات المؤمنين على التقوى والتدين والتقرب إلى الله تعالى، وذلك لم يأت إليهم من فراغ، بل لأنهن تتلمذن على يد الحبيب محمد ﷺ، تروي عائشة رضي الله عنها:

«كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله». (١)

وفي رواية أخرى عن أم سلمة رضي الله عنها، تقول:

«استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعاً يقول: سبحان الله، ماذا أنزل الله من الخزائن؟ وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات؟ (يعني زوجاته حتى يصلين) رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة». (٢)

فهكذا كان حبيبنا محمد ﷺ مع زوجاته يحبهن بالدين ويعينهن على العبادة، ويساعدهن على الطاعة والتقرب إلى الله تعالى.

وكان هدي الحبيب محمد ﷺ مع أصحابه كذلك، وقد فسر بعض المعاني الدنيوية والمعروفة عند الناس بمعانٍ أخروية، ففي حديث ثوبان رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله أي المال نتخذ؟

قال: «ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة مؤمنة، تعين أحدكم على أمر الآخرة». (٣)

(١) رواه البخاري ج ٥ / ١٧٤

(٢) رواه البخاري ج ١٦ / ١٢٩

(٣) صحيح ابن ماجه للألباني حديث رقم ١٨٥٦/١٥٠٥

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

وهذا معنى عظيم في الحديث، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل عن المال، والحبیب

محمد ﷺ يجيبه:

- بالقلب الشاكر.

- واللسان الذاكر.

- والزوجة المؤمنة.

ولم يجبه عن الدراهم، وهذا يدل على أن الفنى في الدين والتدين والفقير في الدين والتدين.

متدين مودرن.. ومقعد الطائرة

دعيتُ لإلقاء دورة تدريبية في إحدى الدول الخليجية، فوقف المقدم ليعرف بي الحضور قبل الدورة، وكان الحضور أكثرهم من رجال الأعمال، وكانت الندوة تحت عنوان «النجاح العائلي والتجاري»، وقد لفت نظري أن المقدم وهو يعرف بي ختم كلامه بقوله: ويعجبني في الأستاذ جاسم أنه شيخ «مودرن»، فضحك الجمهور وقمت لإلقاء الدورة التي استمرت أربع ساعات، وبعد انتهاء الدورة، قلت له: لماذا وصفني (بالمودرن)؟!

فقال: لأنك تبسم دائماً، وتطرح الإسلام بطريقة عملية وواقعية.

فقلت: وغير المودرن كيف يطرح الإسلام؟

قال: يفصله عن واقعنا، فيذكرنا بالنصوص فقط ويكون متجهماً دائماً.

أحببت أن أنقل الحدث كما هو لا لمدح نفسي - معاذ الله - ولكن لأبين فهم الناس ونظرتهم للمتدينين في زماننا هذا، لأنهم بحاجة إلى من يدعوهم ويتحدث معهم بلغة يفهمونها من خلال واقعهم وإذا خالفوه بالرأي لا يغضب عليهم ويحكم عليهم بعدم الفهم والخروج عن الدين، بل يأخذ بيدهم حتى يرشدهم إلى الصواب.

وأما قصة مقعد الطائرة فأذكر أنني في إحدى سفراتي دخلت إلى الطائرة ودلني المضيف على مقعدي، ورأيت أن المقعد الذي بقربي يجلس فيه مغنٍ مشهور، فسلمت عليه فرد عليّ السلام بتثاقل، ثم جلست فطلب المغني المضيف واستأذنه في أن يجلس في المقعد الخلفي.. فبادرته قائلاً: هل تطلب ذلك هروباً مني؟ ومن لحيتي؟

فاستغرب من السؤال وشعرت أنه أخرج، ولكنه قال: في الحقيقة نعم.

قلت: ولكني أحب أن أجلس بقربك وأن أستفيد من خبرتك في الغناء، فتبسم واستغرب طلبتي ثم فضل المكوث في مقعده، وبدأت أتحدث معه وأحاول أن أكسبه طوال الرحلة والتي استمرت ساعتين.. وفي نهاية الرحلة قال لي: «يا ليت كل المتدينين مثلك».

فقلت له: كم متديناً تعرفت عليهم في حياتك؟

قال: أنا دائماً أبتعد عنهم وأتحاشاهم.

قلت: ولم؟

قال: لأنهم لا يحبون المغنين.

قلت: وكيف عرفت؟

قال: من الأشرطة التي يتحدثون فيها بأننا في النار.

قلت له: وهل تعتقد أنك في النار؟

قال: إنني أصوم وأصلي وذهبت إلى الحج، وأنا بار بوالدي وأعمل كل ما أمرنا الله تعالى

به، ولا أزني ولا أشرب الخمر، ولكني مقصر في حق ربي في الغناء وأتمنى لو أتركه.

قلت: لماذا لا تحاور المتدينين برأيك هذا، ففك صفات جميلة ولديك حسنات كثيرة؟

قال: ما فكرت.

قلت: إذن فحكمتك عليّ عندما قلت عني: «يا ليت كل المتدينين مثلك»، حكم غير صحيح

لأنك لا تعرف المتدينين إلا أنا، ولو تعرفت عليهم لعرفت أنهم أفضل مني.

قال: صحيح؟

قلت: جرب.

ووصلت الطائرة وبدأت العلاقة تزداد بيننا، وأسأل الله تعالى أن يهديني وإياه

إلى الخير والصواب.

وأحب أن أؤكد على أن الحوار والابتسام هما من أسرار نجاح العلاقات وكسب القلوب،

وهذا كان هدي محمد ﷺ.

فلا بد من محاورة الآخرين واستيعابهم حتى ولو كنا نختلف معهم في الرأي، وقد أعجبني ما

ذكره الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه «ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق»، بأن التنوع من

خصائص ثقافتنا الإسلامية، وإن أمتنا حفظت لنا آراء وكتب المخالفين ولم تلتفها، فقال:

«فيها فقه أبي حنيفة ومدرسة الرأي، وفقه مالك ومدرسة الأثر، فيها أصول الشافعي،

وكلام الأشعري، وتفسير الطبري، ورواية البخاري، وأدب الجاحظ، ومعجم الخليل، ونحو

سيبويه، وبلاغة عبدالقاهر، وطب ابن سينا، وشعر المتنبي، ومقامات الحريري، وبصريات

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

ابن الهيثم، ورياضيات البيروني، وتصوف الغزالي، وفلسفة ابن رشد، وتحليل ابن خلدون، وخط ابن مقلة، وألحان الموصلي.

فيها ابن حنبل من العراق، وابن تيمية من الشام، وابن طفيل من الأندلس وابن أبي زيد من تونس، وابن العربي من المغرب، وابن حجر من مصر، وابن الوزير من اليمن، والشيرازي من إيران، والزمخشري من خوارزم، والدهلوي من الهند، وجلال الدين الرومي من تركيا.

فيها سلفية ابن تيمية، وصوفية ابن عربي.

فيها ظاهرية ابن حزم، ومقاصدية الشاطبي.

فيها عقلانية الفلاسفة، والتزام الفقهاء.

فيها اجتهاد المجددين، وتزمت المقلدين.

فيها الكتب المقروءة التي امتلأت بها المكتبات، والصور المشهودة التي ازدانت بها الجوامع والمدارس والقصور (الأموي في دمشق، والحمراء في الأندلس، والأزهر في مصر، والسلطان أحمد في استنبول، وتاج محل في الهند).

إنه التنوع الشامل أو الشمول المتنوع.

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا: أن تراثنا الثقافي - لشموله وتنوعه وواقعيته - نراه يحوي من المفردات الثقافية ما لا يصح أن يكون مصدراً لتوجيه عموم الأمة، وتثقيف ناشئتها بنين وبنات.

فنحن نرى في هذا التراث:

صلاح أهل السلوك، وخلاعة أهل البطالة.

نرى فيه: زهديات أبي العتاهية وخمريات أبي نواس.

نرى فيه: مراثي الخنساء ومجون ابن أبي ربيعة.

نرى فيه «نهج البلاغة»، و«ألف ليلة وليلة».

نرى فيه: صوفية الجنيد الملتزمة، وشطحات الحلاج وابن سبعين!

نرى فيه: استقامة أهل الاتباع، وانحراف أهل الابتداع.

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

ونرى فيه: مقولات الفرق المختلفة من أهل الملة، والفرق المنشقة عن الملة. هذه الجوانب من التراث لا نستطيع أن ننكرها، ولا أن نحذفها، وهي مجال لدراسة المتخصصين، وموازناتهم العلمية، كما أنها مجال لقراءات الخاصة، الذين لا يخشى عليهم من التأثر بشططها وتطرفاتها. ولكن الذي يجب أن نعول عليه في التثقيف والتوعية، في التعليم والتربية هو: الثقافة المعتدلة، المعبرة عن رسالة الأمة، وعن هويتها ومقوماتها وخصائصها. (١)

(١) الثقافة بين الانفتاح والانغلاق / ٢٨ - ٢٩ (القرضاوي).

٣ قصص في التدين

• القصة الأولى:

عن أنس رضي الله عنه أنه قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا حبل مدود بين الساريتين، فقال: ما هذا؟ قالوا: حبل لزيب فإذا فترت تعلقت به، فقال: «لا، حلوه ليصّل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد». (١)

• القصة الثانية:

وعن عائشة قالت: (دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي امرأة من بني أسد، فقال: «من هذه؟» قلت: فلانة لا تمام الليل، فقال: «مه، عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا». وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه). (٢)

• القصة الثالثة:

وعن أبي جحيفة رضي الله عنه أنه قال: آخى رسول الله ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، أي: تاركة للزينة وغير متهيئة للزوج، فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا.. الحديث (٣)، وفي آخره: فقال سلمان لأبي الدرداء: «إن لريك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه»، فذكر أبو الدرداء ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «صدق سلمان» ورواه الترمذي وزاد: «ولضيفك عليك حقاً». (٣)

فهذه القصص الثلاث تدل على مفهوم التوسط في العبادة والتوازن وعدم الإفراط والتفريط وهذا مفهوم مهم جداً، وخاصة في أمور الدين وفي الأمور التعبدية، لأن النفس تحتاج إلى من يسيئها ويراعيها عند إلزامها بالعبادات والأحكام الشرعية.

وهذا الإفراط والتفريط قد حصل في عهد الحبيب محمد ﷺ وفي خير القرون، فكيف بزماننا هذا؟

(١) رواه البخاري في كتاب التهجد (١٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٦ / ٤٠.

(٣) رواه البخاري في كتاب الصوم (٥١).

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

وإنني أعرف قصصاً واقعية كثيرة في الإفراط والتفريط وعدم التوازن في تطبيق الدين على الذات أو الآخرين، وهذا من تلبس إبليس على الناس، حتى يحرمهم من ثواب عظيم أو يسقطهم في محرمات يستدرجهم إليها، ولهذا فإن من أفضل ما قرأت في مداخل الشيطان على الإنسان كتاب ابن الجوزي رحمه الله، والذي سماه (تلبس إبليس) وأنصح بقراءته حتى يتعرف الإنسان على مداخل الشيطان، فلا يقع في الإفراط أو التفريط.

وقد علمنا حبيبنا محمد ﷺ قاعدة ذهبية في التعامل مع الذات فقال عندما سئل:

أي الأعمال أحب إلى الله؟

قال: «أدومها وإن قل». (١)

فهذه قاعدة ذهبية في التعامل مع حماس النفس واندفاعها نحو الدين والتدين، حتى إن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، أعلنها يوماً قائلاً: يا ليتني قبلت رخصة النبي محمد ﷺ، في الرواية المشهورة أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبدالله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل»؟ فقلت: بلى، يا رسول الله، قال: «فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر كله»، فشددت فشدت عليّ. قلت: يا رسول الله إنني أجد قوة، قال: «فصم صيام نبي الله داود عليه السلام، ولا تزد عليه». قلت: وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام؟ قال: نصف الدهر.

فكان عبدالله يقول بعد ما كبر: يا ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ. (٢)

ونلاحظ هنا منهج التوسط والاعتدال في التعامل مع الدين، والذي كان يؤكد عليه حبيبنا محمد ﷺ لأصحابه ومن ثم لأمته، وهذا ما نحتاجه في زماننا اليوم ونحن نتعامل مع زوجاتنا وأبنائنا، ولا يضبط هذا الموضوع إلا الفقه في الدين، وأذكر أنه منذ يومين كان عندي رجل يشتكي من شدة تدين زوجته، كما أنني أذكر إحدى القضايا التي عرضت عليّ

(١) رواه البخاري في الفتح ج ١١ / ٦٤٥٦

(٢) رواه البخاري - الفتح ج ٤ / ١٩٧٥

في طلب الزوجة للطلاق بسبب شدة تدين زوجها وتعسفه معها.

قال الشاعر:

«عليك بأوساط الأمور فإنها

نجاة ولا تتركب ذلولا ولا صعباً»

طرائف في فهم الدين:

كان أحد المصلين كلما دخل إلى المسجد يأخذ معه فأراً ميتاً ويمسك بيده سكيناً، فتأذى المصلون منه، وكلموه مرة عن فعله فقال: إني أعمل بالسنة.

فقالوا له: وكيف تطبق السنة بفعلك هذا؟

قال: لأنني قرأت حديثاً عن النبي ﷺ يوصينا بأخذ السكينة والفأر عند الدخول إلى المسجد.

فقبل له: وما نص الحديث؟

قال: «إذا جاء أحدكم إلى المسجد فعليه بالسكينة والفأر»، فضحك الناس منه، وقالوا له إن نص الحديث هو:

«إذا جاء أحدكم إلى المسجد فعليه بالسكينة والوقار». (١)

فقرأ (السكينة) (السكينة) بتشديد السين و(الوقار) قرأها (الفار).

فهذا من الجهل بالدين والفهم الخاطئ والذي ينبع عن عدم الفقه في الدين.

ورجل آخر كان كذلك كلما دخل الخلاء وقضى حاجته صلى ركعة الوتر وهو في الخلاء،

فكلمه الناس عن ذلك، فقال إنني أطبق السنة، فقد كان رسول الله ﷺ إذا انتهى من

قضاء حاجته «يستجمر ثلاثاً فيوتر» (٢) ومعنى الحديث أنه كان يتنظف النبي ثلاث مرات

وهي وتر، وليس معناها أنه يصلي الوتر.

فهذه بعض الطرائف في فهم الدين فهماً خاطئاً وقد حصل معي مرة موقف مثل هذه

المواقف مع صديق لي ذهبت معه إلى السوق، وكان كلما رأى امرأة قال: «اللهم حسن خلقي

(١) رواه مسلم

(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة (نيل الأوطار ١١٦/١)

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

كما حسنت خلقي».

فاستغربت من قوله وسألته عنه، فقال لي: إنني أطبق السنة فقد قرأت أن النبي ﷺ كان إذا رأى المرأة قال: «اللهم حسن خلقي كما حسنت خلقي»، فضحكت من تصرفه، وقلت له: إنك قرأت هذا الحديث قراءة خاطئة، لأن هذا الدعاء كان النبي ﷺ يقوله إذا رأى (المرأة) وليس (المرأة) فضحك هو بعدها.

وأذكر أنني رأيت رجلاً كبيراً في السن أثناء خروجنا من صلاة الجمعة في أحد المساجد في الكويت، وكان على الباب فقير فاستخرج هذا الرجل الصدقة وقدمها إلى الفقير بيده اليمنى ووضع يده اليسرى خلف ظهره فاستغربت من فعله وسألته عن تصرفه، فقال لي: إنني أطبق السنة لأنني قرأت حديثاً عن رسول الله ﷺ في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ومنهم (رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله) (١)، ثم قال ومن أجل ذلك أخفيت يدي اليسرى عن اليمنى حتى لا تعلم بكم أتصدق، فضحكت كذلك من تصرفه وفهمه ثم شرحت له أن معنى الحديث والمراد به «الإخلاص في الصدقة وصدقة السر» وليس أن تخفي إحدى يديك عن الأخرى أثناء الصدقة.

وهكذا فإن الطرائف والقصص في هذا المجال كثيرة، حتى إن أحد الصحابة من أجل أن يعرف موعد الإمساك في الصيام استخدم الخيط الأبيض والخيط الأسود، والمراد ليس كذلك وإنما هو فهم قوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾. (٢)

بأنه إذا تبين له لون الخيط من ضوء الشمس فإنه يمسك ولهذا قال علماؤنا: (من كان شيخه كتابه كثر سَقَطُهُ)، فلا بد من التفقه في الدين على أيدي العلماء، لأن السؤال والحوار يفتح الذهن وينير طريق الإنسان، وذلك لأن العقل أحياناً يحلل ويربط أموراً ليست بواقعية، وأذكر أنني عرضت لفرزاً على مجموعة من الأشخاص وسأعرضه على القارئ الآن وأريد منه أن يجيب عليه قبل أن يتابع قراءته.

(١) جزء من حديث رواه الشيخان عن أبي هريرة.

(٢) سورة البقرة / ١٨٧

﴿ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر ﴾

واللغز هو: «خرج رجل من منزله ووضع المفتاح في جيبه، فدخل اللص إلى بيته وسرق منه»، فكيف دخل اللص؟

أرجو من القارئ أن لا يتابع القراءة حتى لا يجيب بنفسه على هذا السؤال؟
عندما عرضت هذا اللغز على مجموعة من الأشخاص، فكان أكثرهم يجيب بأن اللص دخل من الشباك أو أنه كسر الباب أو أنه دخل من فتحة بالسطح، وقليل منهم يجيب إجابة صحيحة ويقول: من الباب لأنه غير مقفل.

والسبب في أن أكثر الإجابات خاطئة لأن كون الرجل يخرج من منزله ويضع المفتاح في جيبه، فالعقل يربط ذلك بأنه (أقفل الباب)، وأنا لم أقل بأنه أقفل الباب، ولكن الإنسان يعتمد في الحكم على الأشياء بمرجعياته وخبراته وتجاربه وثقافته في الحياة، ولهذا فنحن نريد ممن يتعامل مع الدين أن يتعامل بفقده ومعرفة وعلم، حتى لا يفهم شيئاً على خلاف مراد الله ورسوله.

زوجتي غير محجبة ماذا أفعل؟

يقول أبو العتاهية:

«أرى أناساً بأدنى الدين قد قنعوا

ولا أراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما

استغنى الملوك بدنياهم عن الدين» (١)

وقال (غاندي): «حياة بلا دين، حياة بلا مبدأ، وحياة بلا مبدأ كمركب بلا دفة». (٢)
أحببت أن أذكر ما ذكره أبو العتاهية الشاعر المعروف، وغاندي (x) الذي قهر الانجليز بسلبيته وصمته في نظرتهم لأهمية الدين ووجوده في قلب الإنسان، لأن الإنسان من غير دين يموت وهو حي، ونحن أمرنا بأن ننشر هذا الدين بين الناس بحكمة ويسر، ولكن حالنا

(١) موسوعة روائع الحكمة / ٢٩٤ (د. روجي بعلبكي).

(٢) المرجع السابق.

(x) البعض يرى أن غاندي بلا دين فقد كان يعبد البقر والموضوع يحتاج لبحث دقيق.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

يقول خلاف ذلك، وقد أعجبتني كلمة ذكرها (روجيه غارودي) بعد إسلامه حيث قال: «إني قرأت جميع الأديان والفلسفات ووجدت أن بضاعتهم سيئة ولكن لديهم مسوقون متميزون، وقرأت عن الاسلام فوجدت أن بضاعته من أجود البضائع إلا أن مسوقيه غير متميزين».

وأذكر هذا الكلام في سياق تعليقي على رجل وقف أمامي بعد انتهاء المحاضرة التي ألقيتها في الأردن عام ٢٠٠٠م عن (البيوت السعيدة)، فقال لي: إني تزوجت من امرأة ولم تكن متدينين، ثم هداني الله تعالى، فأمرتها بالحجاب فرفضت، فحاولت معها فصممت على رفضها ثم عنفتها وهجرتها، وأنا اليوم أعيش في غرفة نوم منفصلة عنها منذ ستة شهور.. فما رأيك؟

فبدأت حديثي معه أمام الجمهور الذين تجاوز عددهم الألف، بقول كلمة (غارودي) ثم بدأت أحدثه عن تسويقنا لدينا بأنه ينبغي أن يكون متميزاً، وتعرضت معه لقصة (آسيا) امرأة فرعون وكيف صبرت على زوجها (غير المتدين)، بل الكافر وتحملت من أجله الكثير وهي تحاول هدايته وتخفيف الظلم عن الأمة من خلال أساليبها الذكية معه، حتى استخرجت منه استثناء بالإبقاء على الطفل موسى عليه السلام وعدم قتله علماً بأنه قتل كل الأطفال، وقد جاء في بعض الروايات الإسرائيلية أنهم أكثر من خمسين ألف قتيلاً.

فأي خير عملته آسيا بهذا التصرف الحكيم؟

ثم علقتُ على موقفه من زوجته بعدما علمت أن بينهما أطفال، فقلت له: إنك قد هداك الله تعالى قبلها فكن لها نموذجاً جميلاً وصالحاً، حتى ترى أن الدين الذي تمسكت به غيرك نحو الأفضل في علاقتك معها واحترامها وتقديرها، وحاورها بأنه من حبك لها فإنك تريد لها الخير، واستمر على ذلك حتى تكتب لها الهداية بالحجاب.

أما وأنت قد تركتها وهجرتها ولم تحدثها منذ ستة شهور، فماذا جنيت من هذه الفترة؟ لا شيء..

ثم ختمت قولي بقول الحبيب محمد ﷺ: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه».(١)

(١) رواه مسلم عن عائشة (٤/ ٢٠٠٤) برقم ٧٨ في كتاب (البر والصلة).

كيف نربي أبنائنا على التدين؟

- ١ - أن يكون الوالدان قدوة أمام أبنائهم في حب الدين والتفقه في الدين. (×)
- ٢ - استغلال المناسبات والمواسم الدينية في فتح الحوار معهم مثل شهر رمضان وموسم الحج وغيرها من المناسبات.
- ٣ - عمل حلقة وجلسة بيتية حول كتاب من كتب السنة أو قراءة القرآن الكريم يومياً أو مرة في الأسبوع على حسب ظروف العائلة.
- ٤ - التعاقد مع شيخ لتحفيظ القرآن للأبناء منذ الصغر.
- ٥ - تعريفهم بصحبة صالحة ومشاركة هذه الصحبة في برامج وأنشطة دينية.
- ٦ - الاستفادة من الإجازة الصيفية بعمل سياحة دينية لهم مثل الذهاب إلى إسبانيا وزيارة غرناطة وقرطبة، وشرح التاريخ الإسلامي لهم، أو الذهاب بهم إلى المدينة المنورة.
- ٧ - توجيههم وتربيتهم على هدى النبي ﷺ في الطعام والنوم والتسوق والسفر ومراحل الحياة، وترغيبهم بحفظ الأدعية وأذكار الصباح والمساء.
- ٨ - عرض النماذج والقصص من أصدقائهم والتي فيها مخالفة للدين، من باب تعرف الأشياء بأضرارها.
- ٩ - تجهيز مكتبة إسلامية في غرفة كل ابن أو مكتبة تكون للجميع، وتأمين أقراص لبرامج الكمبيوتر عليها البرامج الإسلامية.
- ١٠ - تحبيب الأبناء بخالقهم عز وجل ورسوله والصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وزرع الكراهية في قلوبهم للشيطان وأعدائه الإسلام.

(×) ولهذا فإن صلاة السنة التي تصلى في البيت أكثر أجراً من أدائها في المسجد، لكي يشاهد الأطفال والدهم يصلي.

أم حبيبة بنت أبي سفيان

رضي الله عنها

أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس
بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن
غالب.. القرشية العدوية.

السيرة الذاتية

- كانت قبل رسول الله عند عبيد الله بن جحش وولدت له حبيبة.
- هاجرت مع زوجها إلى الحبشة في الهجرة الثانية ثم تنصّر زوجها هناك ومات على النصرانية.
- فبعث الرسول إليها عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فزوجه إياها وأصدقها النجاشي ٤٠٠ دينار.
- توفيت أم حبيبة سنة ٤٤ هـ في خلافة معاوية.
- تقول عائشة رضي الله عنها: دعيتي أم حبيبة عند موتها فقالت: قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله ذلك كله، وتجاوزته، وحللتك من ذلك كله.
- فقالت عائشة: سررتني سرّك الله، وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك.
- روت عن النبي ﷺ: «من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة، بني له بهن بيت في الجنة»^(١)، قالت أم حبيبة: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله.

(١) رواه مسلم عن أم المؤمنين أم حبيبة.

أم حبيبة.. والزواج على بعد

من أين استخرجنا هذا المعنى؟

لقد تزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة رضي الله عنها وهي بأرض الحبشة وبعث (عمرو بن أمية الضمري) إلى النجاشي فزوجه إياها، والذي عقد عليها خالد بن سعيد بن العاص.. ونذكر بالتفصيل أحداث الخطبة وهي كالتالي:

أمر النجاشي - ملك الحبشة - جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين أن يحضروا إليه: فحضروا، وإذ ذاك قام النجاشي خطيباً في ذلك الحفل البهيج فقال:

الحمد لله الملك القدوس، السلام المؤمن، المهيمن العزيز الجبار، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم.

أما بعد: فإن رسول الله ﷺ، كتب إلي أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وقد أصدقته أربعمئة دينار.

ثم إن النجاشي سكب الدنانير بين يدي القوم المسلمين وجلس في مكانه، فقام وكيل أم حبيبة خالد بن سعيد ابن العاص ﷺ يخطب، فقال: الحمد لله أحمد، وأستعينه وأستصره وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أما بعد: فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فبارك الله لرسوله ﷺ.

ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها، ثم أراد المسلمون أن يقوموا، وإذ ذاك قال لهم النجاشي: اجلسوا فإن سنة الأنبياء - عليهم السلام - إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا». (١)

ومن طريف ما حصل في ذلك اليوم ما ترويه لنا أم حبيبة وهي تقول:

(١) نساء أهل البيت / ٣٨٢ - ٢٨٣ (أحمد خليل)

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

«لما وصل المال وهو مهري من النجاشي، أرسلت إلى الجارية أبرهة التي بشرتني، فأنت، فقلت لها: يا أبرهة، إني كنت قد أعطيتك ما أعطيتك بالأمس، ولا مال بيدي، فهذه الخمسون مثقالاً، فخذها فاستعيني واستغني بها، ولكن الجارية أبت ذلك، وأخرجت حقاً^(١) فيه كل ما كنت أعطيتها، فردته عليّ وقالت: عزم عليّ الملك ألا أرزأك^(٢) شيئاً، وأنا التي أقوم على ثيابه ودهنه، وقد اتبعت دين محمد رسول الله ﷺ، وأسلمت لله عز وجل، وقد أمر الملك نساء أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر، قالت أم حبيبة: فلما كان من الغد، جاءتني بعود وورس وعنبر، فقدمت بذلك كله على رسول الله ﷺ، فكان يراه عليّ لا ينكره، ثم قالت الجارية أبرهة: يا أم حبيبة إن حاجتي إليك أن تقرئي رسول الله ﷺ مني السلام، وتعلميه أنني قد اتبعت دينه.

قالت أم حبيبة: ثم لطفت الجارية أبرهة بي، وكانت هي التي جهزتني، وكانت كلما دخلت عليّ تقول: يا أم حبيبة لا تنسي حاجتي إليك.

فلما قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته كيف كانت الخطبة، وما فعلت بي أبرهة، فتبسم رسول الله ﷺ، وأقراته منها السلام، فقال ﷺ: «وعليها السلام ورحمة الله وبركاته». ^(٣) نلاحظ هنا كيف تزوج الحبيب محمد ﷺ أم حبيبة رضي الله عنها، وفي هذا الزواج فوائد اجتماعية كثيرة من أهمها:

- الزواج على البعد.

ولهذا فإننا سنقف مع مدرسة «أم حبيبة» رضي الله عنها بهذه الفائدة.

أذكر أنني استضفت في برنامج صباحي على القناة الفضائية الكويتية حول موضوع «الانترنت العائلي» فتحدثت عن فوائده، ومن جملة الفوائد تحدثت عن «الزواج على البعد»، وقلت: إن شبكة الإنترنت يمكننا أن نستفيد منها في موضوع الزواج ليتم التعارف بين المقبلين بطريقة شرعية ومحافضة، وهذا أكثر ما ينفع الأسر المغتربة عن ديارها وهم

(١) الحق: وعاء من خشب.

(٢) أرزأك شيئاً: أي أصيب من مالك شيئاً.

(٣) نساء أهل البيت / ٢٨٤ (أحمد خليل).

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

كثير في ديار الغرب.

ثم ضريت مثلاً على الشاشة بموقع دخلته يقدم فيه كل من الفتيات والشباب عَرَضَهُ للزواج، ويكتبون الشروط التي يرغبون في توفرها لدى الطرف في الآخر. وبعد انتهاء المقابلة بفترة جاءني خبر إحدى الفتيات وقد قاربت من العمر ثلاثين سنة ولم يتقدم لها خاطب، فلما سمعت ما قلت أدخلت بياناتها على أحد المواقع بالإنترنت، فتقدم لها عدة شباب فأخذت بياناتهم ثم عرضتهم على ولي أمرها، وبدأ يتحرى عن كل واحد حتى زكّي أحدهم وتحدث معه، فحصل التعارف بين الطرفين ثم الزواج، علماً بأن كل واحد منهما في بلد.

(فالزواج على البعد) درس نستفيده من قصة «أم حبيبة» رضي الله عنها مع الحبيب محمد ﷺ. ولكن مع هذا فإننا نحذر من هذا الزواج حتى لا يقع فيه الغش والخداع، وأذكر أن قصة غريبة حصلت عن طريق الزواج من بعد نشرتها مجلة إنترنت العالم العربي في مقال عنوانه «خمس قصص حب حقيقة عبر الشبكة» في عدد ستمبر ٢٠٠٠ / والقصة كالتالي: في عام ١٩٩٥ تعرفت مارغريت هنتر (٢٤) سنة من الاسكندرية في ولاية فيرجينيا عبر أحد برامج الدردشة إلى رجل الأعمال ثورن وسلي، وبعد فترة من التراسل عبر البريد الإلكتروني، تم اللقاء الأول بينهما في أحد المطاعم الراقية في المدينة.. وأثناء العشاء وعلى ضوء الشموع في جو رومانسي حالم، عرض ثورن الزواج على مارغريت.. لم يكن العرض مفاجئاً تماماً لمارغريت فهما قد ناقشا ولفترة من الزمن عبر الرسائل الإلكترونية موضوع الزواج من خلال التعارف عبر الشبكة، وأبدت مارغريت عدم ممانعتها للأمر إذا توصل الطرفان إلى التفاهم المطلوب للزواج.. خلال الفترة التي قضتها مارغريت في التواصل مع الشاب كانت معجبة به إلى حد بعيد، أضف إلى ذلك أن وضعه المالي الممتاز كان أحد العوامل المشجعه بالتأكيد بالنسبة لها، أما العقبة التي جعلتها تفكر طويلاً قبل الموافقة هي أن ثورن كان - حسب تصريحه - حاملاً لفيروس الإيدز... ولا نعرف الأسباب الحقيقية التي جعلتها تتخطى هذه العقبة وتقبل الزواج.. وقد تم الزواج بحضور الأهل والأصدقاء.

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

وبعد أربعة شهور على الزواج تقدمت مارغريت بدعوى الطلاق (لماذا؟ لأن الزوج الذي لم يمارس حقوقه الزوجية بحجة أنه يعالج من مرض الإيدز - رغم أنه لم يتناول أي دواء طيلة الشهور الأربعة - كان في الحقيقة فتاة حسب شهادة الميلاد التي تحمل اسم «هولي آن كروفيس»، ٢٦ عاماً، من مواليد تكساس، والتي عثرت عليها مارغريت صدفة.. وقد حكم قاضي محكمة فيرجينيا على الزوج الفتاة بدفع ٢٦٤ ألف دولاراً أضراراً ونفقات... والأمر المحير فعلاً حسب ما تقول هنتر: «لست وحدي من خُدع، أهلي وأصدقائي وكل الضيوف الذين حضروا حفل الزفاف لم يكتشفوا الأمر أو حتى يشكوا في الزوج».. كل ما تفعله مارغريت الآن أنها تحاول النسيان بعدم التطرق نهائياً إلى موضوع الزواج الفاشل، وتتابع حياتها بشكل عادي!! (١)

على الرغم من هذه النتيجة السلبية إلا أن هناك نتائج إيجابية للزواج من بعد إذا أحسن الطرفين استغلالها..

ولهذا فإن غرف الدردشة في شبكة الانترنت لها إيجابيات وسلبيات حسب المستخدم لها ونيته، وقد عرضت عليّ قصص ومشاكل كثيرة حصلت بين الشباب والفتيات بدايتها غرف الدردشة ونهايتها قصة حب قد تنتهي بالزواج، وقد تنتهي بعلاقة غير شرعية محرمة. وأذكر أنني طرحت فكرة برنامج على إحدى القنوات الفضائية ليكون على الهواء مباشر لخدمة المغتربين تحت عنوان «راسين بالحلال» ويهدف إلى الارتباط بين الطرفين عبر القناة الفضائية ويكون في البرنامج مستشارون، ولكني على الرغم من حماسي للفكرة إلا أنني ترددت في تنفيذها كثيراً، ثم عزمت على عدم تنفيذها. فالموضوع جدير بالتأصيل والاهتمام في مثل هذا الزمن المتسارع.

صفية بنت حيي

رضي الله عنها

صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية بن تغلب بن عامر بن
عبيد بن كعب بن الخزرج بن حبيب بن النضير بن يخوم.

الوقفات الأسرية مع السيدة صفية بنت حيي رضي الله عنها

(١) مسح الدموع:

- مسح دموع الزوجة.
- أنواع المواساة الزوجية.
- متى يبكي الرجال؟
- لغة العيون.
- كيف نعلم أبناءنا مواساة الآخرين.

(٢) الاحترام الزوجي:

- ما علاقة الاحترام الزوجي؟
- ما أثر الإهانة الزوجية على الأبناء؟
- عشيقته تحترمه وزوجته تهينه.
- هل يحترم الغرب العلاقة الزوجية؟
- كيف نربي أبناءنا على مفهوم الاحترام؟

السيرة الذاتية

- هي صفية بنت حيي، كان أبوها سيد بني النضير وهو من سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام، ثم من ذرية نبي الله هارون بن عمران أخي موسى عليه السلام.
- وأمها برة بنت شمؤال أخت رفاعة بنت شمؤال القرظي.
- كانت متزوجة قبل النبي ﷺ من اثنين الأول «سلام ابن مشكم» وفارقها، ثم «كنانة بن الربيع» وهو شاعر فقتل يوم خيبر ولم تلد لهما.
- تزوجها النبي وكان عمرها ١٧ سنة، وكانت من السبايا فأعتقها ثم تزوجها وجعل عتقها صداقها.
- توفيت سنة ٥٠ هـ في رمضان ودفنت بالبقيع، وقد أوصت بالثلث لابن أختها وكان يهودياً.
- كانت تتقل الماء والطعام من منزلها لمنزل عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقت الفتنة.
- شهد لها النبي ﷺ بصدقها عندما فدته بنفسها، وكانت حليلة كريمة.

أولاً: مسح دموع صفية

رضي الله عنها

من أين استخرجنا هذا المضمون؟

عن صفية بنت حيي أن النبي ﷺ حج بنسائه فلما كان في بعض الطريق نزل رجل فساق بهن فأسرع، فقال النبي كذلك سوقك بالقوارير يعني النساء، فبينما هم يسيرون برك لصفية بنت حيي جملها، وكانت من أحسنهن ظهراً، فبكت وجاء رسول الله ﷺ حين أخبر بذلك فجعل يمسح دموعها بيده وجعلت تزداد بكاء وهو ينهاها، فلما أكثرت زيرها وانتهرها وأمر الناس بالنزول فنزلوا، ولم يكن يريد أن ينزل، قالت فنزلوا وكان يومي، فلما نزلوا ضرب خباء النبي ﷺ ودخل فيه، قالت: فلم أدر علام أهجم^(١) من رسول الله ﷺ وخشيت أن يكون في نفسه شيء مني، فانطلقت إلى عائشة فقلت لها: تعلمين أنني لم أكن أبيع يومي من رسول الله ﷺ بشيء أبداً، وإني قد وهبت يومي لك على أن ترضي رسول الله ﷺ عني، قالت نعم، فأخذت عائشة خماراً لها قد بردته بزعفران فرشته بالماء ليزكي ريحه، ثم لبست ثيابها، ثم انطلقت إلى رسول الله ﷺ فرفعت طرف الخباء: فقال لها: ما لك يا عائشة؟ إن هذا ليس يومك؟

قالت: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. (٢)

إنه لموقف جميل من الحبيب محمد ﷺ مع زوجته حين مسح دموعها بيده ثم أمر الناس بالوقوف والنزول، علماً بأنه لم يكن يريد أن ينزل، ولكنه من أجل زوجته نزل فخشيت أن يكون في نفسه شيء، فنسقت صفية مع عائشة من أجل إرضائه. في هذه القصة الصغيرة فوائد جمة وكثيرة، يستطيع كل زوجين أن يتعاملوا مع هذا

(١) هجم عليه وأهجم: دخل بغير إذن أو انتهى إليه بغتة.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٢ / ١٤٣ - ١٤٤

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

الموقف كدستور ومنهج لحياتهم الزوجية حتى تصبح سعيدة وجميلة. فمسح الدموع بيد الزوج نفهمه نحن مواساة ودعماً لعواطف ومشاعر الزوجة، علماً بأن سبب البكاء قد ينظر إليه الزوج من ناحيته على أنه سبب تافه، فالدموع والبكاء من أجل بروك جمل يُعدّ من أحسن الجمال، هذا هو السبب ومع ذلك لم يحقرّ النبي ﷺ مشاعر صافية وعواطفها، بل احترمها ودعمها وأنزل القافلة كلها من أجلها. إن الدموع تكون غالية وثمينة إذا عرف كل طرف قدرها..

وكم رأيت في المحاكم دموعاً تنهمر من أزواج ومن زوجات، والطرف الآخر لا يقدر هذه الدمة ولا يحترمها، بل ويتمنى لو تنهمر من غير توقف.

إلا أن النبي ﷺ مسح الدمة بيده، وكلنا نعرف أثر تمرير اليد على الخد ففيه معان كثيرة على الرغم من أنه مسافر وذاهب إلى الحج ونفسية المسافر دائماً مستعجلة حتى يصل إلى مراده، ومع ذلك تراث النبي ﷺ في التعامل مع عواطف المرأة ومشاعرها.

إن دموع الحزن تختلف عن دموع الفرح أو دموع الخوف، علماً بأن كل نوع يخرج من غدة مختلفة، والإنسان يحتاج إلى دعم عاطفي ومواساة في جميع المواقف والدموع، وهذا هو منهج النبي ﷺ وسنته في مواساة الآخرين، وقد حثنا على مواساة إخواننا وأصدقائنا بقوله كما حثنا على مواساة زوجاتنا بفعله، كما فعل مع صافية.

فأما قوله: فهناك ثلاثة أحاديث تدل على دعم المسلم ومواساته وقضاء حوائجه.

- عن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لقي أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك، سره الله عز وجل يوم القيامة». (١)

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم» (٢)

- وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الله في حاجة العبد ما

(١) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٣ / ٣٩٤ وقال رواه الطبراني بإسناد حسن.

(٢) المصدر نفسه ٣ / ٣٩٤ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير.

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

دام في حاجة أخيه». (١)

فالدعم العاطفي والمعنوي للآخرين شعور مهم يحتاجه كل إنسان حتى ولو كان قوياً ثابتاً، كما يحتاج الإنسان إلى البكاء حتى يشعر بالارتياح وقد جاء ذلك في دراسة عملت في «معهد مينسوتا» بالولايات المتحدة الأمريكية وجد أن:

٨٥% من النساء

٧٢% من الرجال

أقروا بأنهم يشعرون بالارتياح بعد البكاء، (والدكتور وليم) مخرج هذه الدراسة يضيف بأن هناك فوائد صحية للدموع منها:

- غسل العين وتطيفها.

- تنقية الجسم من الآثار الضارة للمركبات الكيميائية.

- كسر السلسلة التي تؤدي إلى أمراض القلب وتلف المخ. (٢)

ومع ذلك كله فمسحة من يد زوج على خد زوجته كم تساوي ثمناً؟! ومسحة أخرى من يد زوجة على خد زوجها كم تساوي ثمناً؟!

أنواع المواساة الزوجية وفوائدها

هناك أنواع كثيرة للمواساة بين الزوجين نذكر منها:

١ - المواساة بالمال:

وهي أن يقف الزوج بقرب زوجته مالياً إذا احتاجت لظرف معين ألم بها أو لأهلها أو إختوتها وأخواتها، فيعطيها زوجها من المال لتدعم أهلها به.. أو أن تعطي الزوجة من مالها لزوجها إذا ألت به ضائقة مالية أو خسارة في تجارة أو احتاج أهله للمال. وأعرف قصصاً كثيرة لزوجات ساهمن مع أزواجهن في بناء بيت أو رحلة سياحية دعماً ومواساة له.

(١) الطبراني في الكبير (١٨٨/٥) وذكره الدمياطي في المتجر الرابع (٥٣٧) وقال: رواه الطبراني بإسناد جيد، وقال الهيثمي في المجمع: رجاله ثقات (١٩٣/٨). واللفظ فيه.

(٢) <http://parentsplace.com/Twn/pcint/o%2c2707%2coo.htw>

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

٢- المواسة بالجاه

أحياناً يكون أحد الزوجين صاحب جاه أو سمعة أو منصب أو من عائلة مقدره لدى الدولة فيستفيد من هذا الرصيد في دعم الطرف الآخر والوقوف بجانبه وإنقاذه من مشكلته، سواء أكان الداعم والمواسي الزوج أم الزوجة.

٣- المواسة بالبدن والخدمة؛

كأن يصرف أحد الزوجين للآخر بدنه وصحته ووقته عند احتياجه له فيخفف عليه من أعباء الحياة وتكاليفها، ومثاله عندما يمرض أحد الزوجين أو تجرى له عملية جراحية أو عند احتياجه لمساعدة الآخرين وخدمتهم له، فيصرف الطرف الآخر وقته وصحته وبدنه من أجله، وأحياناً تصل المواسة إلى التبرع بالدم أو بكلية إذا احتاج الطرف الآخر.

٤- المواسة بالنصيحة والارشاد

إن مواقف الحياة الزوجية كثيرة ويحتاج الإنسان مهما كان عاقلاً وحكيماً إلى من يرشده وينور طريقه، أو على الأقل من يدعم رأيه إن كان لديه رأي قد تنباه، وهذا نوع من أنواع المواسة والدعم بين الزوجين، فالزوج يدعم زوجته ويواسيها برأيه سواء أطلبت منه ذلك أم لا وكذلك الزوجة مع زوجها.

٥- المواسة بالدعاء والاستغفار

وهذا نوع من أنواع المواسة الإيمانية بين الزوجين، فأحياناً يكتب للزوج نجاح في مشروعه أو مكسب مالي في تجارته، ويكون السبب مواسة زوجته له بالدعاء، وأحياناً تتجح الزوجة في مشروعه أو تتيسر أمور ولايتها بسبب دعاء زوجها لها.

٦- المواسة بالمشاعر (الأحزان والأفراح)

ولعل هذا هو موضوعنا عندما ذكرنا قصة النبي ﷺ مع زوجته صفية، فالحياة كلها أحزان وأفراح، وجميل أن يقف كل زوج بقرب الطرف الثاني يفرح لفرحه ويحزن لحزنه، فتتم المواسة بينهما.

ولعل المواسة التي حصلت بين النبي ﷺ وخديجة رضي الله عنها هي التي دفعته لأن

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

يدافع عنها في رواية عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أتى عليها فأحسن الشاء، قالت: ففرت يوماً، فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدقين، قد أبدلك الله - عز وجل - بها خيراً منها، قال: «ما أبدلني الله - عز وجل - خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبنى الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله - عز وجل - ولدها إذ حرمني أولاد النساء». (١)

فلاحظ في النص أن خديجة رضي الله عنها واست النبي ﷺ عدة أمور:

١ - آمنت به إذ كفر به الناس - مواساة بالدعاء والإيمان بالرسالة.

٢ - صدقته إذ كذبه الناس - مواساة بالمشاعر.

٣ - واسته بمالها إذ حرمه الناس - مواساة بالمال.

٤ - رزق منها الأولاد - مواساة بالبدن والخدمة.

ولا ننسى أن خديجة رضي الله عنها واست النبي بجاهها عندما أخذته إلى ابن عمها (ورقة بن نوفل) لتطمئنه عما رأى وسمع.

فالمواساة خلق جميل جداً بين الزوجين ويعطي للحياة طعماً جميلاً وخصوصاً إذا كان من الطرفين، أما إذا كان من طرف واحد فهنا تكمن المشكلة، وأذكر أنني اطلعت على رسالة أرسلت إليّ عبر البريد الإلكتروني الخاص بي، تقول فيها إحدى الفتيات إنها ضحت من أجل زوجها عشر سنين، وهي تواسيه بمالها وبدنها وتخدمه طوال هذه الفترة، ولكنه يهملها ويسهر عند أصحابه كل يوم إلى مطلع الفجر، ويسافر مع أصحابه ويتركها فتسأل: هل أستمر معه أم أطلب الفراق؟! علماً بأنه ليس لدي أبناء؟

إن المواساة من طرف واحد تؤثر على نفسية أحد الزوجين ما لم يكن الطرف الآخر يقابله بمثل هذه المشاعر الصادقة، فالمواساة تجعل للحياة طعماً آخر لأن فيها منافع كثيرة منها:

١ - تورث حب الله ثم حب الزوج أو الزوجة.

٢ - المواساة دليل حب الخير للآخرين.

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (ج ٦ / ١١٧ - ١١٨)

٣- تقوي العلاقة بين الزوجين.

٤- تساعد على حل مشاكل الزوج أو الزوجة.

٥- تدخل السرور إلى قلب الزوج أو الزوجة.

٦- تدفع الكراهية والغیظ.

٧- تعزز الثقة بين الزوجين.

ومنافع أخرى كثيرة يمكن للقارئ أن يستخلصها من حياته الزوجية.

متى يبكي الرجال؟

إن من الأخطاء التربوية الشائعة أننا إذا بكى الابن فإننا نحاول أن نُسكته، ونقول له: «هل أنت امرأة؟! إن البكاء للنساء، إن الرجل لا يبكي»، فيتربى على كبت مشاعره وعدم إخراجها بالبكاء. إن البكاء متفلس للإنسان حتى يرتاح ويعود إليه توازنه النفسي، ولهذا فإنه لا مانع تربوياً أن نوجه الأبناء والبنات إلى كيفية البكاء ووقت البكاء وسبب البكاء، كما نربي أبنائنا على وقت الحديث وكيفية الحديث وسبب الحديث، فكلاهما تعبير عما يدور بداخل الإنسان. وقد جعلت عنوان الموضوع «متى يبكي الرجال»؛ لسببين: الأول ما ذكرته في بداية الموضوع بأننا نربي أبنائنا الذكور على كبت المشاعر، والسبب الثاني أن الرجل يبكي عند الفرح والحزن وعند المواقف المؤثرة وفي الصلاة عند التأثر بالقرآن، وعند الألم والجوع والمرض، وهو في ذلك مثل المرأة فكلاهما إنسان، إلا أن المرأة أسرع من الرجل بكاءً، وقد اطلعت على تقرير علمي^(١) جاء فيه أن قناة الدموع عند المرأة أوسع منها لدى الرجل. ومع ذلك فالرجال يبكون، وأذكر بهذه المناسبة موقفين الأول لإياس ابن معاوية عندما توفيت أمه، والثاني بكاء شيخ عندما تعرضت له فتاة فأما الموقف الأول: لما ماتت أم (إياس بن معاوية) أحد التابعين بكى عليها. فقيل له في ذلك:

(١) حاولت أن أبحث عن التقرير في الأرشيف الخاص بي فلم أجده.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

فقال: «كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة ففلق أحدهما». (١)

وأما الموقف الثاني:

قال غسان بن الفضل: سمعت من يذكر أن الربيع بن صبيح كان بالأهواز، ومعه صاحب له، فتعرضت لهما امرأة، فبكى الشيخ، قال له صاحبه: ما يبكيك؟ قال: إنها لم تطمع في شيخين إلا وقد رأيت شيوخاً قبلنا يتابعونها فلذا أبكي. (٢)

فالبكاء نعمة من نعم الله تعالى علينا، وكلمة استيقظت فاطمة بنت عبد الملك فرأت زوجها في المحراب يبكي وهو عمر بن عبدالعزيز، فالضحك والبكاء من خصائص الإنسان، حتى قال القرطبي:

وقيل: إن الله تعالى خص الإنسان بالضحك والبكاء من بين سائر الحيوان، وليس في سائر الحيوان من يضحك ويبكي غير الإنسان، وقد قيل: إن القرد وحده يضحك ولا يبكي وإن الإبل وحدها تبكي ولا تضحك. (٣)

ولهذا قال الله تعالى: ﴿وأنه أضحك وأبكى﴾. (٤)

وإذا بحثنا في الفقه الإسلامي وجدنا أن للبكاء والدموع فصلاً خاصاً ناقش فيه الفقهاء أنواع البكاء وصفاته وثوابه وأحب أن أنقل القارئ معي ليقراً بعض الأمور الفقهية في الدموع:

١- البكاء عند قراءة القرآن:

البكاء عند قراءة القرآن مستحب، ويفهم ذلك من قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾. (٥)

٢- البكاء عند الموت وبعده:

- اتفق الفقهاء على أن البكاء إن كان قاصراً على خروج الدمع فقط بلا صوت فإنه جائز، قبل الموت وبعده، ومثله غلبة البكاء بصوت إذا لم يقدر على رده، ومثله حزن القلب.

(١) البداية والنهاية ج ٩ / ٣٣٨ ابن كثير.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٧ / ٢٨٩ الذهبي.

(٣) تفسير القرطبي ج ١٧ / ١١٧

(٤) سورة النجم / ٤٣

(٥) سورة الإسراء / ١٠٩

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

واتفقوا أيضاً على تحريم الندب بتعداد محاسن الميت برفع الصوت، إلا ما نقل في الفروع عن بعض الحنابلة.

واتفقوا على تحريم النواح وشق الجيب أو الثوب ولطم الخد وما أشبه ذلك، إلا أن الحنفية عبروا في ذلك بالكراهية، ومرادهم الكراهة التحريمية، وبذلك لا يكون بين الفقهاء في ذلك خلاف.

٣- البكاء عند زيارة القبر؛

البكاء عند زيارة القبر جائز، والدليل على ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى، وأبكى من حوله». إلخ الحديث.

٤- اجتماع النساء للبكاء؛

اجتماع النساء للبكاء عند المالكية مكروه إن كان بلا صوت، وحرام إن كان معه صوت. والشافعية لا يجيزون الاجتماع للبكاء.

٥- أثر بكاء المولود عند الولادة؛

إذا بكى المولود عند ولادته، بأن استهل صارخاً، فإن ذلك يدل على تحقق حياته سواء انفصل بالكلىة كما عند الشافعية، أم لم ينفصل كما عند الحنفية، فإن لم يبكي، ولم توجد منه علامة تدل على الحياة فلا يحكم بحياته، فإن بدا منه ما يدل على حياته، كالبكاء والصراخ ونحو ذلك، فإنه يعطى حكم الأحياء، فيسمى ويرث، ويقتص من قاتله عمداً، ويستحق مواليه الدية في غير العمد، فإن مات بعد تحقق حياته فإنه يغسل ويصلى عليه ويورث.

٦- أثر بكاء البكر عند الاستئذان لتزويجها؛

إذا استؤذنت البكر في النكاح فبكت، فإن للفقهاء في دلالة على الرضى وعدمه اتجاهات ثلاثة: أ - فالحنفية والشافعية يقولون: إن كان البكاء بلا صوت فإنه يدل على الرضى، وإن كان بصوت فلا يدل على الرضى.

ب - والمالكية يقولون: إن بكاء البكر غير المجبرة، وهي التي يزوجها غير الأب من الأولياء، يعتبر رضى، لاحتمال أن هذا البكاء إنما هو لفقد الأب مثلاً، فإن علم أنه للمنع من الزواج

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

لم يكن رضى.

ج - والحنابة يقولون: إن البكاء إذن في النكاح، لما روى أبو هريرة قال رسول الله ﷺ: «تستأمر اليتيمة فإذا بكت أو سكتت فهو رضاها، وإن أبت فلا جواز عليها». ولأنها غير ناطقة بالامتناع مع سماع الاستئذان، فكان ذلك إذناً منها كالصمات، والبكاء يدل على فرط الحياء لا الكراهية، ولو كرهت لامتنعت، فإنها لا تستحي من الامتناع.

٧ - بكاء المرء هل يكون دليلاً على صدق مقاله؟

بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله، ويدل على ذلك قوله تعالى في سورة يوسف ﴿وجاءوا أباهم عشاء يبكون﴾^(١). فإن إخوة يوسف تصنعوا البكاء ليصدقهم أبوهم بما أخبروه به، مع أن الذي أخبروه به كذب، فهم الذين دبروه وفعلوه.

٨ - البكاء من خشية الله تعالى؛

﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق، يقولون: ربنا آمننا فاكتبنا مع الشاهدين﴾^(٢).

روى الترمذي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله». ^(٣)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم». ^(٤) (٥)

لغة العيون؛

إن الدمع والبكاء لغة عالمية فكما أنها لغة بين الزوجين فكذلك هي لغة بين العبد وربّه إذا نزلت الدمعة من خشية الله، وكذلك الدمعة وحركة العين والحوارجب لغة بين الناس، لم

(١) سورة يوسف آية ١٦

(٢) سورة المائدة آية ٨٣

(٣) أخرجه الترمذي ٤ / ١٧٦ وفي فتح الباري ٦ / ٨٣

(٤) روح المعاني ١٥ / ١٩٠ - ١٩١ والترمذي ٤ / ١٧١

(٥) الموسوعة الفقهية الجزء الثامن (بكاء)

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

يفضل عنها الشعراء والأدباء وأهل اللغة وجميل في هذا المقام أن نتعرض للقطات أدبية وشعرية ولغوية عن لغة العيون، وقد اقتبسنا هذه اللطائف من البحث القيم الذي قدمه د. محمد كشاش في كتابه (لغة العيون)، فقال:

«تمثل الجفون والحواجب دوراً مهماً في مفردات العين وألفبائها، وهما تشكلان إلى حد بعيد حركات إعراب الكلام، من الرفع والنصب والجر والجزم، ونظرة تأملية إلى الجفون والحواجب مع العين تساعد المتكلم بلغتها على فهم مراميها، ولا أدل على ذلك من قول أبي العباس الناشغ:

ولما رأين البين زمت^(١) ركابه
طلبين على الركب الجديين علة
فلما تلاقينا كتبنا بأعين
فلما قرأناهن سرأ طوينها
وأيقننا بنا انقطاع المطالب
فعجن علينا من صدور الركائب
لنا كتباً أعجمتها بالحواجب
حذار الأعادي بازورار المناكب

وتعمل الحواجب على تأدية إشارة العين، وهي تؤكد ما تنقله من معنى الرفض والصد، كأن حركة الحاجب إلى أعلى لفظة «لا»، تؤازر العين، فيتعانقان سوياً على تأكيد معنى النفي بلا كره ولا بغض، قال الشاعر:

ولما رأينا البين قد جد جده
دنونا فسلمنا سلاماً مخالساً
تصد بلا بغض ونخلص لحة
ولم يبق إلا أن تبين الركائب
فردت علينا أعين وحواجب
إذا غفلت عنا العيون الرواقب

وكسر الحاجب مع لحة الطرف يؤديان رسالة الحب بما فيها من لوعة وفرحة، لوعة خشية الفراق، وفرحة بما ينتظر من لقاء، ما أشد من يلقي بطرفه، فيخاطبه طرف الحبيب مع كسر الحاجب، روي عن أحدهم قوله:

ألا من لقلب لا يزال رمية
للمحة طرفاً أو لكسرة حاجب^(٢)

(١) زم الشيء أو البعير: شدّه، وتقدم به في المسير، والبين هو الفراق.

(٢) لغة العيون / ٧٤ د. محمد كشاش.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

وتبته علماء العربية من جهة أخرى إلى أوضاع العين، وما يترتب عليها من معانٍ، فجمعوا ما يشبه معجماً لمعاني حركاتها وأوضاعها، من أبرز موادّه:

- ١ - (زرت عينه) إذا توقدت من خوف أو غيره.
- ٢ - (شخصت عينه) إذا لم تكد تطرف من الحيرة.
- ٣ - (رمقه) إذا نظر الإنسان إلى الشيء بمجامع عينه.
- ٤ - (لحظه) إن نظر إليه من جانب أذنه.
- ٥ - (لحجه) إن نظر إليه بعجلة.
- ٦ - (حدّجه) إذا رماه ببصره مع حدة نظره.
- ٧ - (أرشقه وأسفّ النظر إليه)، إن نظر إليه بشدة.
- ٨ - (شفنه وشفن إليه) إن نظر إليه نظر المتعجب منه أو الكاره له أو المبغض إياه.
- ٩ - (شزره) إذا أعاره لحظ العداوة.
- ١٠ - (نظر إليه نظرة ذي علق) إن نظر إليه بعين المحبة.
- ١١ - (توضحه) إن نظر إليه نظر المستثبت.
- ١٢ - (استكفه واستوضحه واستشرقه) إن نظر إليه واضعاً يده على حاجبه مستظلاً بها من الشمس ليستبين المنظور إليه.
- ١٣ - (استشفه) إن نشر الثوب ورفع له لينظر إلى صفاقته أو سخافته أو يرى عواراً إن كان به.
- ١٤ - (لاحه) إن نظر إلى الشيء كاللمحة ثم خفي عنه.
- ١٥ - (نفضه) إن نظر إلى جميع ما في المكان حتى يعرفه.
- ١٦ - (تصفحه) إن نظر في كتاب أو حساب ليهذبه أو ليستكشف صحته وسقمه.
- ١٧ - (حدق) إن فتح جميع عينيه لشدة النظر.
- ١٨ - (برق بصر) إن غاب سواد عينيه من الفزع.
- ١٩ - (حمج) إن فتح عين مفزع أو مهدد.
- ٢٠ - (حملق) إن انقلب حملاق عينيه.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

٢١ - (دنقس وطرهش) إن كسر عينه في النظر.

٢٢ - (أسجد) إن أدام النظر مع سكون.

٢٣ - (تبصر) إن نظر إلى أفق الهلال ليلته ليراه.

٢٤ - (أثار) إن أتبع الشيء بصره. (١)

فللعيون والحواجب والجفون لغة، وهي لغة عالمية لا بد للزوجين من أن يستثمراها لتقوية علاقتهما الزوجية وكلنا نعرف بيت عمر بن أبي ربيعة:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة محزون ولم تتكلم
فايقنت أن الطرف قد قال، مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبیب المتيم (٢)

كيف نعلم أبناءنا مواساة الآخرين؟

- ١ - يتعلم الطفل من خلال اللعب كيفية التعامل مع الآخرين، فلو حصل أن بكى أحد الأطفال فنوجهه إلى مواساته ومراضاته.
- ٢ - نكون قدوة عملية أمامه في مواساة الآخرين، فلو حصل وفاة لجارتنا، يشاهدنا ماذا نفعل لأهله وكذلك في الأفراح.
- ٣ - نذكر له بعض القصص التي تربي فيه هذا الخلق، وكذلك مواقف للنبي ﷺ والصحابه ومواساتهم للآخرين.
- ٤ - نعلمه على الخلق الإسلامي في كشف الكربة عن الآخرين وما هو جزاؤه وثوابه عند الله.
- ٥ - نغرس فيه نكران الذات والأنانية وأن يسعد بسعادة الآخرين ويحزن لحزنهم، وهذا من مفاهيم الأخوة في الله.
- ٦ - أدربه على أنواع المواساة وأشكالها بالمال والموقف والدعم المعنوي في أحداث الحياة التي تمر علينا، فإذا رأينا جانعاً أخبره بأن يعطيه الطعام، وإذا رأينا فقيراً نعطيه المال وهكذا.
- ٧ - يخبرني أحد الأباء أنه رأى سيارة متوقفة في الطريق فوقف لمساعدة صاحبها واصلاحها وكان هدف هذا الأب أن يشاهده ابنه الصغير وهو يواسي الآخرين.
- ٨ - نعلم الأبناء أن الشماتة بالآخرين ليست من الآداب والأخلاق الحميدة.

(١) لغة العيون / ٦٥ - ٦٦ د. محمد كشاش.

(٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة / ٢٠٤

ثانياً: الاحترام الزوجي

من أين استخرجنا هذا المفهوم؟

ذكر الإمام البخاري روايتين حصلتا بين النبي ﷺ وزوجه صفية بنت حيي رضي الله عنها تدلان على الاحترام:

الأولى: روى الشيخان عن صفية رضي الله تعالى عنها؛

أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلب، فقام النبي ﷺ يقلبها حتى إذا بلغت المسجد عند باب أم سلمة، مرّ رجلان من الأنصار، فسلما على رسول الله ﷺ، فقال لهما النبي ﷺ: «على رسلكما، إنها صفية بنت حيي». فقالا: سبحان الله يا رسول الله، وكبر عليهما، فقال النبي ﷺ: «إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً». (١)

والثانية: عن أنس رضي الله عنه قال: ثم خرجنا إلى المدينة (قادمين من خيبر) فرأيت النبي ﷺ يحوي لها (أي لصفية) وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بغيره فيضع ركبته، وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب. (٢)

فلاحظ في الرواية الأولى أن النبي ﷺ خرج من معتكفه ليوصل صفية إلى دارها، وهذا الموقف في حد ذاته يدل على الاحترام والتقدير للزوجة، وإلا كان النبي ﷺ يستطيع أن يقول لها: اذهبي إلى دارك، ولكن الأدب النبوي يعلمنا كيف نتعامل مع زوجاتنا خاصة إذا علمنا أن زوجات النبي ﷺ كلهن يسكن في بيته إلا صفية فقد استأجر لها داراً عند أسامة رضي الله عنه، لأنه تزوجها متأخراً، وليس لديه مكان ليسكنها مع باقي الزوجات. وأما الموقف الثاني فإنه أبلغ في الاحترام والتقدير بأن يثني النبي ﷺ ركبته لتضع قدمها

(١) رواه البخاري في الاعتكاف (٢٠٣٥) ومسلم في السلام (٢١٧٥)

(٢) رواه البخاري ج ٩ / ٢٠

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

عليها حتى تركب، ففيه بلاغة عظيمة في الاحترام، وإن الغرب اليوم يتفاخرون في احترام المرأة فيفتح لها الرجل باب السيارة بينما حبيبنا محمد ﷺ وضع ركبته لزوجته، وهو أعظم من تصرفهم وأبلغ.

فحبيبنا محمد ﷺ يعلم البشرية أسس الاحترام وآدابه، وليس هذا خاصاً بالإنسان، بل حتى مع الحيوان.

فالاحترام منهج وسلوك يعمل به الشرفاء، ولهذا أمرنا الله تعالى باحترامه فقال: ﴿مالكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً﴾ (سورة نوح/ ١٣ - ١٤) والنبي ﷺ أوصانا باحترام الصغير ومعرفة شرف الكبير فقال:

«ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا». (١)

والحكمة الصينية تقول:

«حب البشر دون احترام يعني اعتبارهم حيوانات مفضلة، وإطعامهم دون حب يعني معاملتهم كحيوانات حقيرة».

وقال أنيس المقدسي:

«إن الأمم الراقية لم ترتفع إلا بالعمل وباحترام ما يعمله أفرادها». (٢)

ونختم بأن كل شخص يولد على الأرض مكتوب على جبينه: «من فضلك اجعلني أشعر أنني مهم».

ما علامات الاحترام الزوجي؟

أعجبتني ما ذكره الدكتور علي القاشمي من علامات الاحترام الزوجي، وأحببت أن أنقل القارئ إلى النقاط التي طرحها في كتابه «تكوين الأسرة في الاسلام» مع شيء من التعليق البسيط عليها.

● علامات احترام الزوج لزوجته:

- ١- حسن المعاشرة: أثناء حديثها فلا يستهزئ بها ويأخذ برأيها ويعاملها بالمعروف.
- ٢- المساواة: فيطعمها مما يأكل ويلبسها بمستوى ما يلبس ويسكنها بمستوى مثيلاتها.

(١) صحيح الجامع رقم ٥٤٤٤ (صحيح).

(٢) موسوعة روائع الحكمة والأقوال الخالدة / ٤٦ (روحي البعلبكي).

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

٣- الوقت؛ أن يخصص جزءاً من وقته لزوجته مهما كان مشغولاً عنها، حتى لا تشعر بالإهمال والتهميش.

٤- الحب؛ إظهار الحب لها بالقول والفعل حتى تشعر بأنه يتذكرها دائماً، ورعايتها عند مرضها.

٥- الحماية؛ حمايتها والدفاع عنها إذا تعرضت لمكروه أو اعتداء.

٦- الاطمئنان؛ أن يطمئنها باستمرار العلاقة معها لأن المرأة كثيراً ما تتردد مخاوفها في ذلك.

٧- العفة؛ احترام قدسية الزواج والبعد عن الخيانة.

٨- الصبر؛ الصبر على الزوجة ومداراتها.

● علامات احترام الزوجة لزوجها:

١- الطاعة؛ وهو نوع من أنواع التقدير والاحترام وتكون الطاعة في المعروف.

٢- التواضع؛ تواضع الزوجة لزوجها من علامات الاحترام، فلا تعيرهُ بمستوى والدها المالي أو مكانته مثلاً أو بمستواها التعليمي فتفخر عليه.

٣- عدم المنّة؛ أن لا تمن عليه بأنها تزوجته أو أنها ساعدته مالياً.

٤- التكيف مع وضعه؛ فإذا مرّ الزوج بلحظات خسارة مالية أو مرض مزمن فتقف بجانبه.

٥- عدم التحقيق معه؛ إن الشك بتصرفاته والتحقيق معه دائماً يقلق العلاقة الزوجية ويهز الاحترام بها.

٦- التزين له؛ إن التزين للزوج من علامات الاهتمام به واحترام رغباته.

٧- التحمل؛ لا يكون الزوجان سعيدين دائماً وبينهما انسجام فإذا فقد الانسجام فليكن لديهما احترام للعشرة.

بمثل هذه العلامات وكثير غيرها يستطيع كل طرف أن يقيس مدى احترام الآخر له.

وقد عرضت عليّ أكثر من قضية طلاق، وعند التحري والتحقيق تبين لي أن الاحترام مفقود بين الطرفين، وهذا هو السبب الحقيقي للطلاق.

وعند التحقيق في القضايا التي غالباً ما تشتكي الزوجات فيها من هروب أزواجهن من البيت تبين لي أنه يهرب لأنه يجد الاحترام في الخارج أكثر منه في الداخل.

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

وعند التحقيق في بعض قضايا الخيانة الزوجية اكتشفت أن عدم احترام رغبة المرأة هو سبب رئيسي في خيانتها لزوجها.

فالاحترام أساس التعامل وسر المحبة والتماسك.

ما أثر الإهانة الزوجية على الأبناء؟

كنت في زيارة يوماً إلى سجن الأحداث بدولة الكويت وجلست أتحدث مع المجرمين الصغار وتعرفت على أسباب ارتكابهم للجريمة، فتابين لي أن السبب يكمن في نقطتين:

الأولى: عدم الاحترام من الوالدين للابن.

الثانية: عدم مشاهدته لسلوك الاحترام بين والديه.

مما دفعه إلى البحث عن الاحترام من الخارج، وحتى يحترم بين أصحابه وأقرنائهم لا بد وأن يعمل شيئاً خارقاً للعادة ليكون أقوى وأجراً شخص بينهم فيحترمونه، فتمادى حاله إلى أن أصبح مجرماً.

فالإهانة الزوجية تتشعب جيلاً مفككاً يحب التسلط والاعتداء على الآخرين وإهانتهم.

ومرت عليّ قضية أم رمت وليدها في الشارع نكاية بزوجها، ولما حققت في الموضوع تبين لي أن السبب يكمن في كثرة إهانة الزوج لزوجته لدرجة أنها كرهته وكرهت وليدها الرضيع. وعرضت عليّ قضية في أبناء يكرهون آباءهم ويكيدون له ويطردونه من البيت، والسبب تربية أمهم لهم على كراهية أبيهم، فلما بحثت عن السبب الحقيقي وجدته في عدم احترام هذا الزوج لزوجته وتعذيبها وضربها وإهانتها، مما جعلها تربي أبناءها على كراهية والدهم.

ولو فتحت هذا الموضوع لما انتهيت من المشاكل التي عرضت عليّ بسبب فقدها للاحترام الزوجي، ولهذا حرص النبي ﷺ على توجيه أمته إلى احترام المرأة وتقديرها فقال: «النساء شقائق الرجال» وقال أيضاً: «رفقاً بالقوارير» ونصوص أخرى كثيرة، بل إن علماءنا كانوا يربون أبناءهم على الاحترام منذ الصغر حتى مع الحيوانات، فقد قل الشيخ تاج الدين السبكي: كنت جالساً بدهليز دارنا فأقبل كلب فقلت: اخساً، كلب بن كلب، فزجرني الوالد من داخل البيت، فقلت: أليس هو كلباً بن كلب؟

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

قال: شرط الجواز عدم التحقير.

قلت: هذه فائدة». (١)

فلاحظ هنا كيف كانوا يربون أبناءهم منذ الصغر على الاحترام حتى إذا كبروا وتزوجوا فإنهم يحترمون الناس.

وقد أعجبني مثال ذكره «محمد ديماس» في الاحترام مع الأبناء فقال:

طلب عبدالله من والده أن يأخذ سيارة الأسرة للتنزه في مساء يوم الخميس، فرفض والده قائلاً: «لا» دون إبداء أي سبب، فكره عبدالله من والده هذا التحكم، وظهر أثر ذلك أخيراً في ردوده على والدته، وفي رفضه لمساعدة والده في تهذيب حديقة المنزل.

ولو قال والد عبدالله له: «إنني ووالدتك قد رتبنا القيام برحلة يوم الخميس وإننا في حاجة إلى السيارة»، أو «إن البنزين والزيت غالي الثمن في هذه الأيام ولذلك أفضل أن لا نستعمل السيارة إلا في المناسبات الخاصة»، فربما قبل عبدالله أمر والده بصدر رحب. (٢)

فالاحترام هو ما نحتاجه في زماننا، وأذكر أن مركز التسجيلات الذي ينتج الألبومات الخاصة بي في العلاقات الزوجية، قد نقل لي استغرابه من المبيعات العالية التي حققها ألبوم «الاحترام سر الدوام» فقلت له: هذا دليل حاجة الناس في مجتمعاتنا لمثل هذا الموضوع.

عشيقته تحترمه وزوجته تهينه

قال لي يوماً: عندي علاقة محرمة مع عشيقة ولم أرتكب معها الكبيرة، ولكنني أشعر بالراحة عند الحديث معها، لأنها تحترمني وتحترم مكانتي وتحترم مشاعري وتحترم تفكيري.

وأنا رجل صاحب مركز اجتماعي مرموق ورجل أعمال معروف، وزوجتي دائماً تهينني ولا تحترمني، فأصبحت أكره الدخول إلى بيتي فماذا ترى؟!

قلت: أنت تعرف أن علاقتك مع عشيقتك علاقة لا يرضاها الله تعالى، حتى ولو كانت تحقق لك إشباعاً نفسياً باحترامك.

والصواب هو أن تتزوجها أو أن تصارح زوجتك بعيبها وتحاول أن تساعدتها حتى تتعلم

(١) رسالة المسترشددين/١٢٥ (للمحاسب) تحقيق الشيخ/عبدالفتاح ابو غدة.

(٢) سياسات تريوية خاطئة/١٣ (محمد ديماس).

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

كيف تحترمك.

قال: أما أن أتزوج ثانية فهذا صعب.

قلت: إذن عليك بالحل الثاني.

قال: لم أجربه.

قلت: أولاً أقطع علاقتك مع العشيقة، ثم جرب إصلاح زوجتك وادعُ الله تعالى أن يبسر أمرك.

مثل هذه القصة في البيوت كثير وكلها تدور على احترام الذات واحترام الرغبات، وعدم حياة الإنسان في بيئة لا تقدره ولا تحترمه، ولهذا ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في معنى دقيق من معاني الاحترام وهو احترام الرغبة.

وتروي لنا عائشة رضي الله عنها هذا الموقف.. فتقول:

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: فلم أطف بالبيت (في حجة الوداع)، فلما كانت ليلة الحصة^(١) قالت: يا رسول الله، يرجع الناس بعمرة وحجة وأرجع أنا بحجة؟ قال: وما طفت ليالي قدمنا مكة؟ قلت: لا، قال: فاذهبي مع أخيك إلى التعميم فأهلي بعمرة. (وزاد مسلم في روايته: قال جابر: وكان رسول الله ﷺ رجلاً سهلاً إذا هويت الشيء تابعها عليه).^(٢)

ونلاحظ هنا كيف أن النبي ﷺ احترم رغبتها واقترح عليها أن تحقق أمنيتها بالعمرة مع أخيها، وكذلك ما حصل لمعاوية بن أبي سفيان عندما طلق زوجته لمجرد احترام رغبتها بذلك فقد تزوج معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - ميسون بنت بحدل الكلابية - أم يزيد بن معاوية - ونقلها من البدو إلى الشام، ثم تسرى عليها، فضاقت نفسها، واستولى الهم عليها، وحنّت إلى أوطانها، فلامها ﷺ على ذلك، وقال لها:

أنت في ملك عظيم وما تدرين قدره، وكنت قبل اليوم في الخباء، فقالت:

لَبَيْتُ تَخْفُقُ الْأَرْوَاحَ فِيهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَصْرِ مَنِيْفٍ

(١) ليلة الحصة هي ليلة النفر، وذلك عندما ينفر الحجاج من منى، فأول ليلة في منى تسمى ليلة النحر، والثانية ليلة القر، والثالثة ليلة النفر والنفير والحصة.

(٢) رواه البخاري ج ٤ / ١٦٦ (كتاب الحج).

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

أحبُّ إلي من لبس الشفوف
أحبُّ إلي من بغل رفوف
أحبُّ إلي من نَقَر الدفوف
إلى نفسي من العيش الطريف
أحبُّ إلي من قط الوفوف
أحبُّ إلي من عالج عنيف
أحب إلي من أكل الرغيف
وحسبي ذاك من وطن شريف

ولبس عباءة وتقر عيني
ويكر يتبع الأظعان صعب
وأصوات الرياح بكل فجج
خشونة عيشتي في البدو أشهى
وكلب ينبج الطسراق دوني
وخرق من بني عمي نجيب
وأكل كسيرة في كسربيتي
فما أبغي سوى وطني بديلاً
فطلقها، وألحقها بأهلها. (١)

وأحببت أن أضرب مثالين متناقضين:

الأول: في احترام رغبة الزوجة في اتمام أمر معين وهو علامة السعادة.
الثاني في احترام رغبة الزوجة في تطبيقها وهو من علامة السعادة.
وكلا المثالين يشتركان في (الاحترام).
فنقول: إن الاحترام هو دليل سعادة الإنسان.

هل يحترم الغرب العلاقة الزوجية؟

حول عنوان «الاعتصاب العائلي» كتب (Richard.f.vones) الأستاذ في معهد القبالة وأمراض النساء بأمريكا حول هذه الظاهرة في البيوت عام ١٩٩٣، ثم بين أنه في كل ١٢ ثانية في أمريكا تخضع امرأة لهذا الوباء إما بالضرب أو التحطيم أو القتل من قبل الزوج. (٢)
وبين يدي الآن أرقام وإحصاءات ودراسات كلها تؤكد على تخلخل العائلة الغربية، بالإضافة إلى بيع النساء والأطفال بالملايين من أجل تجارة الجنس والدعارة في العالم.
فالاحترام في منظورهم مختلف عن منظورنا، ولهذا فإنهم يؤسسون منظمات لحقوق

(١) صفحات رائدة في مسيرة العدالة / ٢٩٦ (نذير مكتبي).

(٢) المرأة بين طغیان النظام الغربي ولطائف التشريع الرياني / ٣٣ (البوطي).

❦ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

الإنسان واحترامه بينما هم يعتدون على احترام الإنسان وكيانه وبالأخص (المرأة). وقد التقيت في أكثر من مؤتمر ومحاضرة بمسلمات غريبات جديداً، وعندما سألتهن عن الأمر الذي لفت انتباههن في الإسلام؟، كن يقلن احترام المرأة والعلاقات الإنسانية واعطاء كل حقوقه الخاصة به.

وأذكر يوماً كنا في أحد المراكز الإسلامية في البلاد الغريبة، وسمعت حواراً بين الابن ووالده فلفت نظري أسلوب الحوار وكيف أن الابن يقول لأبيه: هذا رأيي في الموضوع وأنت حر. والأب كان يحاول إقناعه بشتى الطرق ولكن الابن يرفض ويكابر ويرفع صوته على والده، والابن لا يتجاوز عمره خمسة عشر عاماً، وبعد انتهاء الحوار، تحدثت مع أبيه عن سبب معاملته له من غير احترام ولا أدب في الحوار

ولا في الوقف

ولا في الصوت

ولا في النظرة

فقال لي الأب: إن ابني من الأبناء المتميزين في احترامنا، ولو رأيت غيره من الجاليات الإسلامية لما صدقت.

ثم بدأ يتحدث معي عن النظام التربوي الذي يتلقونه في المدرسة وغرس مفهوم الحرية عندهم، إلى درجة أن البنت المراهقة تأتي إلى أبيها وتستأذنه للخروج مع صديقها، وإذا اعترض عليها والدها اعتبرته تدخلاً في حياتها الشخصية وقيداً على حريتها..

فهل هذا هو الاحترام؟!

نعم إن في الغرب جوانب مضيئة وحسنات ينبغي أن نستفيد منها، خاصة في احترامهم لذوي الاحتياجات الخاصة، واحترامهم لرغبات الإنسان، ولكن عندهم خلطاً في مفهوم الحرية مما يؤثر على صفاء مفهوم الاحترام عندهم.

كيف نربي أبناءنا على الاحترام؟

١ - لا بد أن نكون نحن قدوة في احترام الآخرين وحسن التعامل معهم وكذلك نكون

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

قدوة في احترام العلاقات الأسرية، لأن الأبناء يشاهدون هذه السلوكيات ثم يعملون وفقها.

٢- إن من احترام أبنائي وذواتهم أن:

أ - لا اشتهم وأن أكلهم باحترام وتقدير.

ب - لا أضربهم إلا في الحالات النادرة.

ج - لا أسفه آرائهم وإنما أوجهها لهم.

د - لا أستهزئ بهم وإنما أحترمهم.

هـ - لا أكبت رغباتهم وإنما اشبعهم بتحقيقها.

٣- إذا رأيت منهم تصرفاً فيه عدم احترام مع الوالدين أو الناس أو الخادمة في البيت أو حتى مع الحيوان أوجههم وأعلمهم آداب الاحترام وأهميته وفوائده.

٤- أذكر لهم القصص التي تذكرهم باحترام الآخرين من حياة الأنبياء والسلف الصالح أو القصص الواقعية في زماننا.

٥- أوجههم إلى معاني الاحترام وأشكاله مع الناس سواء أكان الاحترام لمن يحبون أم من يكرهون وكذلك الاحترام للأحباب والأعداء.

ميمونة بنت الحارث

رضي الله عنها

ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن ربيعة بن
عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية.

الوقفة الأسرية مع السيدة ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها

(١) التحكم بالمشاعر:

- التحكم بالمشاعر فن ومهارة.
- أسلم لما رأى من تحكم طفل بـمشاعر.
- من قاد نفسه فقد قاد العالم.
- فوائد التحكم بالمشاعر على الزوجين.
- كيف تربي أبناءك على التحكم بالمشاعر؟

السيرة الذاتية

- ميمونة أخت أم الفضل زوجة العباس وخالة خالد بن الوليد، وخالة ابن عباس رضي الله عنهم.
- تزوجها قبل الإسلام مسعود بن عمرو الثقفي وكانت تكتم إيمانها إلى حين صلح الحديبية وفتح مكة.
- تزوجها النبي وأصدقها أربعمائة درهم، وقد وهبت نفسها للنبي ﷺ قال تعالى: ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾. (الأحزاب / ٥٠)
- وخرج النبي من مكة في مكان اسمه «سرف» ببعد عشرة أميال وبنى بها في شوال من سنة سبع للهجرة.
- كان اسمها (بزة) فسمها النبي (ميمونة).
- وتوفيت عن عمر يناهز الخمسين سنة سنة ٦١ هـ، وبسرف كذلك ودفنت في ذلك المكان الذي بنى بها فيه رسول الله ﷺ.

التحكم بالمشاعر فن ومهارة

من أين استخرجنا هذا المفهوم؟

روى ابن سعد عن ميمونة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: خرج رسول الله ﷺ ذات ليلة من عندي فأغلقت دونه الباب فجاء يستفتح الباب، فأبيت أن أفتح له، فقال: «أقسمت عليك أن تفتحي»، فقلت له: تذهب إلى بعض نساءك في ليلتي؟ قال: «ما فعلت، ولكن وجدت حقناً من بولي». (١)

نلاحظ رقي الحوار بن الحبيب محمد ﷺ وزوجته في وقت متأخر من الليل بعدما أغلقت عليه الباب، والنبي الزوج يحاور زوجته وكأنها لم تفعل به شيئاً.

- لم يفضب عليها.

- ولم يقاطعها.

- ولم يهجرها.

- ولم يهددها.

- ولم يرفع صوته عليها.

- ولم.. ولم...

وكل هذه الاحتمالات واردة في موقف من مثل هذا النوع، وهو ما يفعله بعض الرجال في زماننا هذا، ولكن الحبيب محمد ﷺ يعلمنا إدارة الذات والتحكم بالمشاعر وكيف نسيطر على انفعالاتنا، وهو يقدر ظروف الزوجة وتحرك الغيرة في قلبها وحرصها على ليلتها، وكل ذلك من علامات الحب، فلماذا يهدم كل هذه المشاعر بلحظة غضب، وإنما يحاورها بهدوء ويبين لها سبب خروجه عنها بأنه لقضاء الحاجة، إن هذا الموقف مدرسة لكل زوج أن يتعامل مع زوجته بهذه الروح، وعلى تفسير ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فإن هذه هي الدرجة التي أعطاه الله تعالى للرجل.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ١١ / ١٤٧ (للإمام الصالح).

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

فقد قال تعالى: ﴿وللرجال عليهن درجة﴾ (١)

قال ابن عباس: (وللرجال عليهن درجة) لا أحب أن أستتطف (أي آخذ) جميع حقي عليها لأن الله تعالى يقول: ﴿وللرجال عليهن درجة﴾، والدرجة إشارة إلى حض الرجال على حسن العشرة والتوسع للنساء في المال والخلق، أي إن الأفضل ينبغي أن يتحامل على نفسه وقال ابن عطية: وهو قول حسن بارع». (٢)

فنلاحظ هنا تفسير ابن عباس المتميز في موضوع الدرجة بأن الرجل يحسن عشرة زوجته ولا شك أن هذه تحتاج إلى ضبط نفس وإدارة ذات، كما تحتاج إليها المرأة كذلك في تعاملها مع الآخرين فالتناس يتبارون في درجة تحكهم بمشاعرهم وصبرهم، وإلا فما سر تميز الصالحين والمقربين ممن هم أقل منهم درجة؟

إنه ضبط النفس وقوة الإرادة والعزيمة، ولهذا سمي أفضل الرسل بأولي العزم لأنهم أصحاب عزيمة وضبط للمشاعر وهكذا الناس يتفاضلون فيما بينهم. فكل ذلك نتعلمه من مدرسة الحبيب محمد ﷺ مع زوجاته.

أسلم لما رأى من تحكم طفل بمشاعره

من يصدق أن معلماً ومرشداً أجنبياً أسلم في الكويت على يد طفل في المدرسة الابتدائية بسبب ضبط هذا الطفل لمشاعره؟ إنها قصة واقعية حدثت بها د. إبراهيم الخليلي عن معلم أجنبي استغرب من طفل يصوم شهر رمضان، وحواله كل المغريات ولا يراقبه أحد، ووالداه ليسا معه، ومع ذلك فإنه يضبط مشاعره ويدير ذاته بقناعاته وبما يرضي ربه. استوقف هذا المشهد أحد المدرسين الأجانب وهو يقول في نفسه: أنا بهذه السن والعلم والتميز والثقافة، ليس لدي إرادة أستطيع بها أن أضبطها مثل هذا الطفل، ثم بدأ يسأل عن هذا الإسلام الذي ربي في هذا الطفل تلك الإرادة القوية وضبط المشاعر وإدارة الذات، حتى آمن بهذا الدين ثم أسلم.

(١) البقرة / ٢٨٨

(٢) تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج ٣ / ١٢٥

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

فإدارة الذات على الرغم من تميز الغرب بها اليوم بمؤلفاتهم، إلا أنها في الإسلام أصل من أصول الاعتقاد وهو التوحيد، فإنه يبنى على إدارة الذات وقوة ضبط المشاعر، ولهذا فإن الشيطان يأتي لأحدنا يوسوس له، حتى يقول له: من خلق الله؟ وهنا يوجهنا نبينا محمد ﷺ إلى أن نستعيز بالله من الشيطان الرجيم إذا وسوس لنا بمثل هذه الخواطر، ثم إن في تنفيذ شعائر الإسلام تربية على إدارة الذات، ومنها الوضوء والصلاة والصيام والحج والزكاة وغيرها من الأركان، كلها تربي المسلم على إدارة ذاته وتطويرها وزيادة نسبة الصبر عنده.

ولو تأملنا النصوص لوجدنا أن في أكثرها إدارة ذات فمثلاً: قال تعالى:

- ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾^(١) (إدارة ذات)

- ﴿وَعِبَادِ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٢) (إدارة ذات)

- قال رسول الله ﷺ: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِذَا ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فليضطجع»^(٣) (إدارة ذات)

- قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(٤) (إدارة ذات)

- قال رسول الله ﷺ: «مَا جَرَعَ عَبْدٌ جُرْعَةً أَكْبَرَ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى»^(٥) (إدارة ذات)

- قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ رَأَى امْرَأَةً تَعْجِبُهُ، فَلْيَذْهَبْ إِلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ مَعَهَا مِثْلَ الَّذِي مَعَهَا»^(٦) (إدارة ذات)

(١) سورة النساء / ١٤٠

(٢) سورة الفرقان / ٦٣

(٣) أبو داود عن أبي ذر.

(٤) متفق عليه.

(٥) البخاري.

(٦) مسلم.

كل هذه النصوص وغيرها كثير، هدفها ضبط المشاعر وإدارة الذات حتى يرقى الإنسان بنفسه ويرتفع درجات عند ربه ولهذا حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره.

من قاد نفسه فقد قاد العالم

نضرب مثلين لقائدين من قادة الأمة وهما العمران رضي الله عنهما فأما الأول فهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد قال: من اتقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم يفعل ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون». (١)

نلاحظ هنا منهج عمر الفاروق في ضبط النفس والتحكم بالمشاعر وإدارة الذات، وأن الذي أوقفه على فعل الاستقامة هو خوفه من المعاد، وهذا معيار مهم في تربية النفس وإدارة الذات حتى تستقيم النفس، ولهذا فإن من قاد نفسه سهل عليه قيادة الآخرين.

وأما الموقف الثاني فهو لعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه وهو «أن رجلاً كلمه يوماً حتى أغضبه فهمّ به عمر، ثم أمسك نفسه ثم قال: للرجل: أردت أن يستفزني الشيطان بعزة السلطان فأنال منك ما تناله مني غداً؟ قم عافك الله، لا حاجة لنا في مقاولتك» (٢)

ونلاحظ هنا مرة أخرى المعيار نفسه الذي ضبط به عمر بن الخطاب مشاعره، كذلك ضبط به عمر بن عبدالعزيز مشاعره تجاه الرجل، وقد كاد يهّمّ به فقال: «فأنال منك ما تناله مني غداً».

بمثل هذه النفسية يستطيع الإنسان أن يكظم غيظه ويدير ذاته، ومن ثم يسهل عليه إدارة الآخرين وقيادتهم، وكما قيل: «من عجز عن تأديب نفسه فهو عن تأديب الآخرين أعجز»، ولكن من كانت سيرته وقدرته، الجيل الأول فإنه يفوز ويفلح، فلنتعلم منهم ضبط النفس وإدارة الذات، وفيها من الفوائد العظيمة أن إدارة الذات والتحكم بالمشاعر:

- دليل قوة النفس.

- ودليل حب الناس له والتقرب إليه.

(١) مختصر منهاج القاصدين / ١٨٢ للمقدسي

(٢) البداية والنهاية ج ٩ / ٢١٠ لابن كثير.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

- ويشيع بين الناس الحب.

- وغير ذلك من الفوائد التي تعود على الإنسان في دنياه وآخرته.

ولهذا تفنن الصالحون في إدارة مشاعرهم من أجل ضبط غيظهم، حتى روي عن وهب بن

منبه أنه جاءه رجل فقال له: «إن فلاناً شتمك، فقال: ما وجد الشيطان بريداً غيرك» (١)

وجاء غلام لأبي ذر - رضي الله عنه - وقد كسر رجل شاة له، فقال له: «من كسر رجل هذه؟»

قال: أنا فعلته عمداً لأغيظك فتضربني فتأثم.

فقال: لأغيظن مَنْ حرصك على غيظي (يعني الشيطان) فأعتقه». (٢)

وهكذا فإن سير الصالحين والمتميزين من هذه الأمة تدل على أن من قاد نفسه فقد قاد

العالم وكلهم تعلموا من مدرسة الحبيب محمد ﷺ.

فوائد التحكم بالمشاعر

قرأت هذا الخبر الذي يؤكد فوائد التحكم بالمشاعر على صحة الإنسان يقول التقرير الذي صدر حديثاً من جامعة ميتشجان الأمريكية بوجود ارتباط واضح بين مستويات الغضب في الرجال، ومعدل إصابتهم بالسكتات الدماغية.

وأفاد الباحثون أن الرجال في منتصف العمر الذين يعبرون عن غضبهم بالصراخ أو إغلاق الأبواب بعنف يزيد خطر إصابتهم بالسكتة بنحو مرتين، في حين يزيد هذا الخطر بنحو ٦ مرات في الرجال العصبيين، وذوي المزاج الحاد المصابين بأمراض القلب، ومع ذلك، شدد الباحثون على أهمية عدم كبت الغضب، لأن ذلك يزيد ضغط الدم الشرياني الذي يحفز تشكل الخثرات، والجلطات الدموية وانطلاقها في الدماغ.

وقالت سوزان إيفرسون - الباحثة في الجامعة: إن هذه الدراسة التي اختبرت العلاقة بين الغضب والسكتات في أكثر من ٢٠٠٠ شخص، هي الأولى التي تبين أن التعبير الخارجي عن الغضب يرتبط بزيادة خطر الإصابة بالسكتة.

(١) مختصر منهاج القاصدين / ١٨٤ للمقدسي

(٢) مختصر منهاج القاصدين / ١٨٣ للمقدسي

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

وأكد الباحثون أن السيطرة على الانفعال والطبع الحاد من خلال أخذ نفس عميق عدة مرات، والعد حتى (١٠) وممارسة الرياضة والأنشطة البدنية الأخرى هي أفضل طريقة لتجنب الإصابة بالسكتة الدماغية الناتجة عن الغضب.

وحسب أقوال الباحثين، فإن السكتات الدماغية تحدث عند انفجار أحد شرايين الدماغ أو انسدادها بخثرة دموية، مما يبطئ أو يوقف تدفق الدم إلى جزء معين من الدماغ مسبباً موته. (١)
نلاحظ كيف أن إدارة الذات والتحكم بالمشاعر لها فوائد صحية على نفسية الإنسان بالإضافة إلى الفوائد الأخروية، وهذا يشجع الزوج والزوجة على أن يدربا أنفسهما على ضبط النفس وإدارة الذات، وهذا ما أكده الشاعر محمود الوراق، حيث قال:

وسألزم نفسي الصّبح عن كل مذنب وإن كثرت منه عليّ الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذي فوقى فأعرف قدره وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن إجابته عرضي، وإن لام لائم
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا تفضلت، إن الفضل بالحلم حاكم (٢)

فهذه الكلمات المعبرة تدل على فقه عظيم في التعامل مع النفس وسياستها مع معرفة أنواع الناس وكيفية التعامل معهم.

فالضابط لنفسه والمدير لمشاعره، إذن يستفيد صحياً وتربوياً واجتماعياً، بل ويستفيد بأن الله يحرم عليه النار، كما أخبر بذلك الحبيب محمد ﷺ بقوله: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هين ليين سهل». (٣)
ومن منا يستطيع أن يكتسب هذه الصفات من غير إدارة ذات وتحكم بالمشاعر؟!

كيف نربي أبناءنا على التحكم بالمشاعر؟

١ - نحاول أن نبعد الأشياء التي تثير غضب الطفل.

(١) مجلة المجتمع عدد ١٤٦٠ / ص ٦٢

(٢) السلوك الاجتماعي / ٦٩ (حسن أيوب).

(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٩٣٨

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

- ٢ - الحرص على عدم الغضب إذا كان الطفل في حالة غضب وإنما نحاول تهدئته.
- ٣ - إذا تصرف الطفل بعدوانية نتدخل لإيقاف هذا التصرف، ونمنى فيه ملكة الحوار مع الآخرين.
- ٤ - ندرس أبناعنا سيرة النبي ﷺ والصحابة الكرام والصالحين في إدارة ذواتهم والتحكم بمشاعرهم.
- ٥ - يكون الوالدان قدوة أمام أبنائهم في التحكم بالمشاعر.
- ٦ - نمدح أبناعنا إذا بدر منهم تصرف فيه تحكم بالمشاعر.
- ٧ - لا يعني التحكم بالمشاعر أي كبت لها، فهناك فرق بين الاثتين، ونعودهم على عدم كبت المشاعر، وإنما التعبير عنها بالطريقة الصحيحة.
- ٨ - إدخالهم في دورات تدريبية حول إدارة الذات.
- ٩ - أوفر لهم ألعاباً تربية تعينهم على زيادة سعة الصدر عندهم، وإدارة ذواتهم.
- ١٠ - نعلمهم ما هي الأشياء التي يمكن أن يغضبوا من أجلها، وكيف يعبرون عن غضبهم، وما الفرق بين الغضب المحمود والمذموم.

غرفة النوم

لم أخصص هذا الموضوع تحت اسم من أسماء زوجات الحبيب محمد ﷺ، لأنني وجدت أن الروايات المذكورة في موضوع (غرفة النوم) والثقافة الجنسية متكررة مع كل أمهات المؤمنين، فأحببت أن أجعلها آخر موضوع في الكتاب ليستفيد منه القارئ.

- ١ - غرفة النوم.
- ٢ - حتى نعلم أبنائنا الثقافة الجنسية.
- ٣ - الأمية الجنسية.
- ٤ - هل يجوز النظر للأفلام الجنسية؟
- ٥ - فوائد المعاشرة الزوجية.
- ٦ - كيف نربي أبنائنا على الثقافة الجنسية؟

غرفة النوم

من أين استخرجنا هذا المفهوم؟

- عن ميمونة رضي الله عنها أنها: «كانت تفتسل هي والنبي في إناء واحد» (١)
- عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: «كان النبي ﷺ يقبلها وهو صائم» (٢)
- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: «تزوجت، فقال لي رسول الله ﷺ: «ما تزوجت»؟ فقلت: تزوجت ثيباً.

فقال: مالك وللعذاري ولعابها؟ (٣)

- عن يحيى بن سعيد أن رجلاً سأل أبا موسى الأشعري فقال: إنني مصصت من امرأتي من ثديها لبناً.. فذهب في بطني فقال أبو موسى: لا أراها إلا قد حرمت عليك، فقال عبد الله بن مسعود: انظر ماذا تفتي به الرجل؟ فقال أبو موسى: فماذا تقول أنت؟ فقال عبد الله بن مسعود: لا رضاعة إلا ما كان في الحولين، فقال أبو موسى: لا تسألوني عن شيء ما كان هذا الخبر بين أظهركم. (٤)

- عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «إن النبي ﷺ كان يتكئ في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن» (٥)

ونصوص كثيرة ومتفرقة في السنة النبوية يمكن للباحث الرجوع إليها وهي قد وردت مع أكثر من زوجة من أمهات المؤمنين، ولهذا أحببنا أن نجعل هذا الفصل منوعاً ولم نحدده بزوجة واحدة من باب الاستفادة.

ولكن هذا يبين أن الإسلام دين الفطرة ويتعامل مع الواقع ولعل من حكم كثرة زوجات

(١) رواه مسلم في كتاب الحيض ج ١ / ١٧٦

(٢) رواه البخاري كتاب الصوم باب القبلة للصائم ج ٥ / ٥٤

(٣) رواه البخاري كتاب النكاح الأبكار ج ١١ / ٢٤

(٤) رواه مالك في الموطأ ج ٢ / ٦٠٧

(٥) رواه البخاري كتاب الحيض ج ١ / ٤١٧

النبي محمد ﷺ أن ينقلن للأمة حاله في البيت حتى ولو كان النقل من غرفة النوم.

متى نعلم أبناءنا الثقافة الجنسية؟

هل نستطيع أن نعلم أبناءنا الثقافة الجنسية؟

نعم..

وكيف ذلك؟

من خلال المنهج القرآني والنبوي والفقهي..

فالقرآن الكريم تعرض لحادثتين الأولى فيها بيان للانحراف الجنسي والثانية فيها مقدمة للجنس العفيف الطاهر، فأما الأولى ففي قصة يوسف عليه السلم وامرأة العزيز عندما «غلفت الأبواب» (١) وراودته عن نفسه، فيمكننا أن ندرس أبناءنا العفاف اليوسفي، كما ونعلمهم أن الرغبة موجودة لدى الإنسان ولكن البعض يستثمرها بالحرام.

وأما القصة الثانية في خبر ابنة شعيب عليه السلام عندما قالت: «إن خير من استأجرت القوي الأمين» (٢) ففهم الأب مرادها وطلب من موسى عليه السلام أن يتزوج إحدى ابنتيه، ومن هذه القصة نستطيع أن نفتح مع أبناءنا المواضيع الجنسية والعلاقات العاطفية، وكيفية التحكم بالمشاعر والتعامل مع الحب.

وأما هدي الحبيب محمد ﷺ وسيره فمليئة بالقصص والأحداث والروايات التي تبحث في هذا الموضوع، ويكفي المسلمين فخراً حديث النبي ﷺ عندما قال: «وفي بضع أحدكم صدقة» (٣) فالجنس متعة وأنس وأجر وثواب وليس نجاسة وقذارة، ولهذا قال ابن خلدون في مقدمته: «إن ذم الشهوات ليس المراد به إبطالها بالكلية، فإن من بطلت شهوته كان نقصاً في حقه، وإنما المراد تصريفها فيما أبيع له». (٤)

وأما كتب الفقه فهي مليئة كما ذكرنا سابقاً بها أكثر من ٢١٧٣ مسألة في القضايا

(١) سورة يوسف / ٢٣

(٢) سورة القصص / ٢٨

(٣) قال رسول الله ﷺ وفي بضع أحدكم صدقة، رواه مسلم / ١٠٠٦

(٤) مقدمة ابن خلدون / ٢٥٣

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

الجنسية في أكثر من ١٠٠ باب، وقد جمعت هذه المسائل كلها في مشروع «جامع الفقه الإسلامي»، وتم جمعه في ثلاثة سنوات واشتغل بالمشروع ٣٠٠ باحث، وكان بدعم من بنك التنمية الإسلامي بجدة والأمانة العامة بالأوقاف بالكويت وشركة حرف، ويقع المشروع في مليون صفحة تقريباً، وهو يباع بالأسواق على أقراص CD.

فعندنا إذن ثروة غنية يمكننا الاعتماد عليها لتعليم أبنائنا الثقافة الجنسية، كما أن أبنائنا لا بد أن نعرفهم بالفرق بين الثقافة الجنسية بالمفهوم الغربي ومفهومنا الإسلامي، فعند الغرب الانفتاح في الثقافة الجنسية بلا حدود، وأما عندنا فينبغي أن نفرق بين (سرية العلاقة وعلانية المعلومة) فالشريعة ألزمت الزوجين بسرية العلاقة الجنسية، ولهذا قال النبي ﷺ: «إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة، وتفضي إليه ثم ينشر سرها»، رواه مسلم. ولكن الشريعة لم تنه عن علانية المعلومة والثقافة بالطرق والآداب الصحيحة، ولكننا أصبح عندنا خلط في المفاهيم وحالنا اليوم عكس النظرة الغربية، فنعامل مع القضية الجنسية بسرية العلاقة والمعلومة وهذا واقع غير صحيح، يكون من آثاره كثرة انحراف الأبناء وجنسياً واعتمادهم على مرجعيات. يستمدون منها المعلومات الجنسية غير الوالدين، سواء أكان مرجعهم المجلات أم أشرطة الفيديو أم أحاديث الأصدقاء أم الانترنت وغيرها من المصادر.

فالتربية الجنسية ليست عبثاً وإنما لها أهداف منها:

١ - أن نقدم الجنس بصورته الصحيحة، وبذلك يرتفع فكر الطفل لاحترام الخالق الذي أبدع في الطريقة المثلى للتناسل.

٢ - تعلم الطفل الاحترام والمحافظة على أعضائه التناسلية، ومعرفة أن لها قيمة في الحياة، فهي ليست للعبث.

٣ - تهيئ الطفل لمرحلة المراهقة بمعرفة المتغيرات مقدماً.

٤ - تعلمه أن الجنس طهارة ونعمة من الله، ولولا العملية الجنسية لما حصلت الخلافة في الأرض ولما جاء النبيون والمصلحون ولما ولد هو إلا بمعجزة - كعيسى عليه السلام -

٥ - تقدم المعلومات المهمة له من الولادة وحتى مرحلة المراهقة وهي (الجنس، الحب، العلاقة الجنسية، الولادة)، وقد دلت الدراسات على أنه كلما ارتوى الطفل بالمعلومات، كلما قلت حاجته للتحدث بالجنس + اللعب بأعضائه التناسلية.
فهذه هي أهداف التربية الجنسية، فالجنس في كيان كل طفل.. وليس من المناسب أن نهرب من مناقشته وننكر عليه، بل أن نواجهه ونوجهه حتى يكتسب الأبناء العفاف اليوسفي وتكتسب بناتنا أسلوب ابنة شعيب عليه السلام.

الأمية الجنسية

إننا نعلم أبناءنا كل شيء، ونجيبهم على كل سؤال.

أين المعدة؟ وما وظيفتها؟

كم عدد القارات في العالم؟

من هم الخلفاء الأربعة؟

١٢٠ ÷ ٤ كم يساوي؟

كيف يتكاثر النبات؟

كيف أتعامل مع الانترنت؟

كل هذه الأسئلة نحن على استعداد للإجابة عليها، ولكن إذا كان السؤال عن الأعضاء التناسلية ووظائفها وكيفية نموها ومنافعها فإن الوالدين هنا يصابون بالسكته القلبية، وتكون ردود أفعالهم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: تربية الأبناء على أن هذه الأسئلة خاصة ومرفوضة وسؤالهم يخدش الحياء، فيتكون عندهم قناعة بأن هذا شيء منبوذ.

الوجه الثاني: تربية الأبناء على ربط العقاب بالحديث في هذه المسائل، فيتكون عندهم قلق دائم.

الوجه الثالث: تأجيل الموضوع بسبب صغر سن السائل، وهنا تحدث عند الابن ردة فعل فيحرص على الإجابة على أسئلته من مصادر أخرى.

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

الوجه الرابع: وهو أفضل الأساليب حيث يتعامل الوالدان مع الموضوع بجدية ويعطيانه ما يستحق من الاهتمام، ويجيبان على الأسئلة بصراحة ووضوح لإشباع السائل بانتقاء ألفاظ على حسب عمره وسنه.

وأستطيع أن أقول بعد أن ألقى عدة محاضرات في عدة دول أن النماذج الثلاثة الأولى هي الشائعة تربوياً وهي التي تدعم توجه الأمية الجنسية، وقليل من الآباء والأمهات من يطبق الأسلوب الرابع بمحاورة السائل وتوجيهه وهو الأسلوب الذي طبقه الحبيب محمد ﷺ عندما سأله الشاب في قضية جنسية فقال له: (أئذن لي بالزنى يا رسول الله)، فرد عليه الحبيب محمد ﷺ بلطف وطلب منه أن يدنو منه ويحاوره فيقول: «أترضاه لأمك، أترضاه لأختك»، وهكذا والشاب يكرر قوله «لا»، «لا»، والنبي يقول له: «كذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم وأخواتهم»، ثم وضع كفه الشريف على صدره ودعا له فذهب عنه ما كان يعاني منه. (١)

ومن الطرائف أنني ذكرت هذا الحديث في إحدى الدورات التدريبية، فقام أحد الآباء متحمساً وقال: لقد عزمت اليوم على مصارحة ابني والذي يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً بهذا الموضوع، وانفض اللقاء وكانت الدورة مدتها يومان، وفي عصر اليوم التالي طلب هذا الأب مني أن يتحدث للحضور فأذنت له فقال:

لقد ذهبت البارحة وأخذت ابني وصرفت من وقتي ساعة ونصفاً وأنا أتمشى معه وأتحدث معه، ثم اشتريت له العشاء وجلسنا على البحر وفتحت له المواضيع الخاصة به، وقلت له: يا بني أنا عندما كنت بعمرك مررت بظروف تواجه كل مراهق من الناحية الجنسية، وأنت مقبل عليها، فإذا كان لديك أي سؤال فأنا على أتم الاستعداد لسماحك والإجابة عليه، قال: ثم نظر إليّ ابني نظرة تعجب وقال لي: يا أبي إذا كان عندك سؤال جنسي فأنا مستعد للإجابة عليه؟

لقد جئت متأخراً يا والدي.

فضحك الحضور على هذا الموقف وضحك معهم الأب الذي يحكي لنا الموقف، ولكن كانت

(١) الحديث رواه أحمد والطبراني عن أبي أمامة، وإسناده صحيح - انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٣٧٠

ضحكات حسرة من الجميع، ثم بدأنا نناقش ما هي الأساليب والطرق في مصارحة أبنائنا في الثقافة الجنسية.

ولعل من غرائب القصص التي عشتها عندما جاءني رجل يريد أن يطلق زوجته بسبب عدم إنجابها، ولما تدخلت بينهما محاولاً الإصلاح اكتشفت أنه طوال السنوات الثلاث من الزواج يجامع زوجته في غير مكان الجماع الصحيح جاهلاً، فعلمته كيفية المعاشرة الصحيحة، فأنجبت زوجته بعد ذلك.

فالأمية الجنسية تؤدي إما إلى انفتاح منفلت أو إلى جهل مطلق، ولهذا لو دققنا في الفقه الإسلامي لوجدنا أن فيه أكثر من ٢١٧٣ مسألة جنسية، كما أن نبينا محمداً ﷺ بين لنا كثيراً من الأحكام التي لها علاقة بالعلاقة الخاصة بين الزوجين مثل:

- الاستمتاع أثناء الحيض.
 - الاستمتاع أثناء الحمل.
 - الاستمتاع أثناء الإحرام والحج.
 - الاستمتاع أثناء الصيام.
 - الاستمتاع المحرم والمباح.
 - حكم التجرد من الملابس.
 - النظر بين الزوجين في حالة العري.
 - آداب الفراش والجماع.
- وتفاصيل كثيرة في المعاشرة ومقدماتها وخاتمتها.

لماذا كل هذا التفصيل؟

لأن الإسلام يعتبر العلم في هذا الموضوع عبادة، وممارسة المعاشرة الزوجية كذلك عبادة، ولهذا نجد أن من السنة قبل الجماع الوضوء والدعاء، ولا بد أن يتوفر فيها الإخلاص والصدق، فينبغي أن يتعلم أبناؤنا كل هذه المعلومات بتفاصيلها، كما يتعلمون أحكام الصلاة والوضوء والصيام وغيرها.

هل يجوز النظر للأفلام الجنسية؟

كنت ألقى محاضرة في المركز الإسلامي بأمريكا وبالتحديد في بوسطن صيف عام ٢٠٠٠ وكانت المحاضرة تحت عنوان «البيوت السعيدة» وتحدثت فيها عن كيفية مصارحة أبنائنا بالثقافة الجنسية، وكيف يكون الوالدان المرجع للأبناء فلو سمعوا معلومة جنسية في الخارج يأتون إليهم ليصححوا تلك المعلومة وكان هذا الموضوع أحد محاور المحاضرة، وبعد انتهاء المحاضرة جاءتني ورقة موقعة من مجموعة فتيات حضرن المحاضرة يسألن عن جواز رؤية الأفلام الجنسية سواء بالفيديو أو عبر الإنترنت، وكذلك رؤية الصور الجنسية بنية التعلم استعداداً للزواج هل يجوز ذلك أم لا؟

وبعد أن أجبته بأن رؤية الأفلام الجنسية والصور الخليعة لا تجوز شرعاً لعدة اعتبارات منها رؤية عورة الغير، أحببت أن أناقش الحضور حول خلفية هذا السؤال فقال لي البعض إن بعض الفتيات المراهقات يجزن لأنفسهن رؤية الأفلام الجنسية بنية التعلم قبل الزواج، ولا شك أنها نية باطلة وعمل غير صالح. ولكن يجوز لهن أن يتقنن ويزددن علماً بالمصادر التي ذكرناها سلفاً بطريقة علمية شرعية، وذكرت لهن في المحاضرة فتوى خاصة واستثنائية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي عندما أجاز النظر لسائل استفتاه في علاج مشكلة صحية عند زوجته، وقد سأله السؤال بعدما فعل التصرف بخصوص زوجته التي كان ينتابها الرعب والفرع كلما دنا زوجها منها، وكانت تلوذ منه بالفرار، ولما عرضها الزوج على الأطباء شخص أحدهم مرضها بأنه من آثار رعب أصابها من جراء محاولة اغتصاب قام بها زيد من الناس ذات يوم.. ثم قال الطبيب له: إن العلاج الوحيد الذي يزيل آثار هذا الرعب من نفسها، هو أن ترى ما يجري بين الزوج وزوجته في مشاهد مصورة غير حقيقية كي لا يعاودها الرعب، ويقول الزوج أنه التجأ إلى هذا العلاج وأخضع زوجته لرؤية مشاهد من هذا النوع، فشفيت فعلاً بعد حين وانتظمت العلاقة لأول مرة بينه وبينها على ما يرام.. ويسأل الزوج خائفاً: لعلني عصيت الله بهذا العلاج الذي أقدمت عليه؟

فأجاب الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي عليه بقوله:

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

الذي يقوله علماء الشريعة على اختلاف مذاهبهم أن التداوي بالمحرم جائز، إذا قرر طبيب مسلم أن ذلك هو الدواء، وقد أطل العز بن عبدالسلام في بيان ذلك قائلاً: يجوز التداوي بالنجاسات إذا لم يجد طاهراً يقوم مقامها، لأن مصلحة العافية والسلامة أكمل من مصلحة اجتناب النجاسات، ولا يجوز التداوي بالخمير على الأصح إلا إذا علم أن الشفاء يحصل بها ولم يجد دواء غيرها. (١)

ويقول ابن عابدين في حاشيته: يجوز للعليل شرب البول والدم والميتة للتداوي، إذا أخبره طبيب مسلم أن فيه شفاء، ولم يجد من المباح ما يقوم مقامه، وهل يجوز شرب العليل الخمر للتداوي؟ فيه وجهان... ثم قال بصدد الاستشفاء بالخمير: وما قيل إن الاستشفاء بالحرام حرام، ليس على إطلاقه، وإن الاستشفاء بالحرام إنما لا يجوز إذا لم يعلم أن فيه شفاء، أما إذا علم وليس له دواء غيره فيجوز، ومعنى قول ابن مسعود: «لم يجعل الله شفاءكم فيما حرم عليكم» يحتمل أنه قال ذلك في داء عرف له دواء غير المحرم، لأنه حينئذ يستغنى بالحلال عن الحرام». (٢)

قلت: وأساس ذلك من السنة ما رواه البخاري وغيره من أن رسول الله أوصى أن يعالج وفد العرنيين الذين مسهم سقم من هواء المدينة، بشرب أبوال الإبل وألبانها، وما رواه الشيخان من أنه ﷺ رخص لعبدالرحمن بن عوف في لبس الحرير، استشفاءً من حكة أصابت جسمه.

لا يقال: إن جواز التداوي بالخمير لمن قرر له الطبيب ذلك يستلزم القول بجواز صنع الخمر والتعامل بها، كما لا يقال: إن جواز إصغاء المريض إلى آلات اللهو التي قرر الطبيب المسلم أن سماعه لها دواء لمرضه يستلزم القول بجواز تصنيع آلات اللهو والمتاجرة بها، لأن من القواعد الفقهية المعروفة والتي لا نعلم خلافاً فيها، أنه لا يجوز بناء حكم شرعي عام على ضرورات استثنائية خاصة.

لا يقال أيضاً - انطلاقاً من شعور مزاجي: إن معاملة المرض بالنظر إلى صور إباحية مثيرة،

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١ / ٨١ مصطفى محمد.

(٢) حاشية ابن عابدين ٤ / ٢٢٤ ط الميمنية.

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

شيء يبعث على الاشمئزاز والتقرز، لأننا نقول: إن معالجته بشرب الخمرة التي يقام الحد على شاربها والتي وصفها رسول الله بأنها أم الخبائث يبعث على اشمئزاز نفسي أكثر، ولكن هذا الشعور لم يكن يوماً هو ميزان الحكم الشرعي في الحالات العامة فضلاً عن حالات الضرورة الاستثنائية الخاصة.

لا يقال أيضاً: يجب غض النظر عن هذا المرض الذي تعاني منه الزوجة، وينبغي تركه دون علاج، وعلى الزوج أن يحل مشكلته بطلاقها أو أن يتزوج بأخرى، لأن من حق أي مريض أن يعالج نفسه بالدواء الذي يراه الطبيب المختص، إن توفر الدواء المباح فذاك، وإلا فقد رخص الشارع بالتداوي بالمحرم ضمن حدود الضرورات العلاجية، والمريض أمير نفسه رجلاً كان أم امرأة، إن شاء طيب نفسه وإن شاء امتنع.

هذا هو مفصل ما أجملت من الفتوى التي اقتبستها من مصادر الشريعة الإسلامية، ونبهت فيها إلى أن التداوي بالمحرم يجب أن يكون محدوداً بقدر الضرورة دون تجاوز إلى ما وراءها.. فأما العلماء وذوو القلوب السليمة من العامة فلا ريب أنهم يدركون أن هذا هو الحق الذي لا معدل عنه، وأما غيرهم فما أيسر أن يعكروا صفو هذا الكلام الواضح، ليتصيدوا فيه، بالوهم، كلاماً لم أقله وما كنت لأقوله أو أعتقده أو أدعو إليه. (١)

فوائد المعاشرة الزوجية

«هلا بكرةً تلاعبها وتلاعبك» وفي رواية «تضاحكها وتضاحكك» (٢) قالها النبي ﷺ لجابر بن عبد الله رضي الله عنه عندما قال له إنه حديث عهد بعرس فسأله النبي ﷺ: «أبكرةً أم ثيباً؟ قال: «بل ثيب» فقال له النبي ما ذكرناه في أول الموضوع..

ونحن نقول: من المسؤول عن لحظة السعادة في غرفة النوم؟

هل الزوجة؟ أم الزوج؟ أم كلاهما؟

فالمشهور في عرفنا إن الزوجة هي المسؤولة عن لحظات السعادة في غرفة النوم، ولكن الحبيب محمداً ﷺ يعلمنا أنها مسؤولية الاثنين معاً بقوله: «هلا تلاعبها وتلاعبك»،

(١) مع الناس / ٥ - ٨ د. محمد سعيد البوطي مشورات وفتاوى.

(٢) رواه الخمسة.

فالمعاشرة الزوجية فيه فوائد كثيرة منها:

- ١ - تشبع غريزة الزوجين الفطرية.
 - ٢ - تشبع رجولة الزوج وأنوثة الزوجة.
 - ٣ - تزيد من محبة الزوجين لبعضهما البعض.
 - ٤ - تساعد على العفة والإحسان.
 - ٥ - تقلل من المنازعات في البيت.
 - ٦ - ويطمئن كل طرف وخاصة الزوجة بأن الطرف الآخر يحبها.
- بل إن من الفوائد ما نشرته مجلة الفرحة عن وكالة «رويتر» بأن أفضل علاج للظهر اكتشف عام ١٩٩٥ وفقاً لما أوردته مجلة «مينز هيلث» المعاشرة المنتظمة بين الزوجين. (١)
- فالاهتمام بغرفة النوم مطلب شرعي يعلمنا إياه النبي محمد ﷺ حتى إنه كان يتفقد غرف نوم الصحابة من مظهرهم وحالتهم الخارجية، كما حصل «لخويلد بنت حكيم» عندما رآها النبي ﷺ عند عائشة رضي الله عنها، وهيئتها غير سوية، فتقول عائشة رضي الله عنها:
- دخلت على خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة الأقصية السلمية، وكانت عند عثمان بن مظعون، قالت: فرأى رسول الله ﷺ بذادة (٢) هيئتها، فقال لي: «يا عائشة ما أبد هيئة خويلة»؟ قالت: فقلت يا رسول الله امرأة لها زوج يصوم النهار، ويقوم الليل، فهي كمن لا زوج لها، فتركت نفسها وأضاعتها. قالت: فبعث رسول الله ﷺ إلى عثمان بن مظعون، فجاءه فقال: «يا عثمان أرغبت عن سنتي»؟ فقال: لا والله يا رسول الله، ولكن سنتك أطلب، قال: «فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان فإن لأهلك عليك حقاً».. (٣)

فالاهتمام بغرفة النوم من علامات السعادة الزوجية، والاهتمام بصحة الإنسان الجنسية كذلك مطلب شرعي، وإن انتشار الأمراض في عالمنا اليوم يؤثر على الصحة الجنسية عند

(١) مجلة الفرحة / ١٩

(٢) البذاذة: من الفعل بذأ أي قبح وفحش.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢٦٨ وقال الألباني إسناده جيد (رواء الغليل ٧ / ٧٩).

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

الإنسان، فقد كشف تقرير لمنظمة الصحة العالمية أن ٩٤٣ مليون نسمة في العالم يعانون من الضعف الجنسي ومعظم هؤلاء المرضى يوجدون في مجتمعات تتميز بدرجة عالية من الاستهلاك وتنتشر فيها أمراض السكري وارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب، (١) فالنسبة المذكورة عالية جداً، ولهذا انتشرت حبوب «الفياغرا» في العالم كانتشار النار في الهشيم، وقد أكدت شركة «فايزر» المنتجة للدواء أن ٧ ملايين شخص عولجوا على مستوى العالم عام ١٩٩٩، وقد حققت الشركة المنتجة أرباحاً عام ١٩٩٨ وصلت إلى ٧٨٨ مليون دولار. (٢) فالموضوع ليس بسيطاً ولهذا لا بد من الاهتمام بغرفة النوم لتكون أكثر فاعلية بين الزوجين، كما أن غرفة النوم تختلف باختلاف عمر الزوجين، فالزوجان في العشرين من أعمارهم يحبون المكوث في غرفة النوم، أما أبناء الثلاثينيات فيبحثون عن التجديد في غرفة النوم، وأبناء الأربعين يركزون على الكلمات، وأبناء الخمسين يبحثون عن لمسات الحنان، وأبناء الستين يبحثون عن الكلمات الدافئة ولكل عمر في غرفة النوم له احتياجاته.

فمن غرفة النوم يخطط الزوجان للمستقبل.

ومن غرفة النوم يعالجان مشاكلهم اليومية.

ومن غرفة النوم تتم صناعة الأجيال المستقبلية.

ومن غرفة النوم يتعاونان على الطاعة.

ولهذا جعلت الشريعة أدباً للأطفال عند دخولهم لغرفة النوم وحددت لهم أوقات الدخول وكيفية الدخول، لأنها غرفة ليس كباقي الغرف المنزلية.

ولهذا يخدش غرفة النوم أن ينام أحد الزوجين في الصالة أو إذا حصل خلاف وطلاق في غرفة النوم، فهنا تفقد غرفة النوم معناها وهدفها وروحها القائمة على السكينة والاطمئنان والراحة.

كيف نربي أبناءنا على الثقافة الجنسية؟

ان الاهتمام المبكر بأبنائنا وتعليمهم الثقافة الجنسية طريق لحفظهم وحمائتهم من

(١) الزمن عدد ٥٩/٩٥ مجلة كويتية في ١٢ / ٨ / ٢٠٠٠

(٢) الزمن عدد ٦٥/٩٥ مجلة كويتية في ١٢ / ٨ / ٢٠٠٠

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

الانحراف وتعزيز لدور الوالدين وتقوية مكانتهم في نفوس أبنائهم، خاصة وأن واقعنا أصبح اليوم منفتحاً جنسياً، والمعلومة الجنسية أصبحت بفضل الوسائل التكنولوجية متاحة للجميع، لأن الغرب لا يفرق بين نشر المعلومة والقيمة الأخلاقية ولهذا ذكر سيد قطب رحمه الله تجربته عندما كان في أمريكا فقال:

«قالت لي إحدى الفتيات الأمريكيات في معهد المعلمين «جريك كولورادو» في أثناء مناقشة عن الحياة الاجتماعية في أمريكا، إن مسألة العلاقة الجنسية مسألة بيولوجية بحتة، وأنتم - أيها الشرفيون - تعقدون هذه المسألة البسيطة بإدخال العنصر الأخلاقي فيها». (١)

فالنظرة إلى القضية الجنسية مختلفة تماماً بيننا وبينهم، ولهذا لا بد من حماية أبنائنا علمياً من الغزو الجنسي بكافة معلوماته الصحيحة والشاذة، وقد أعجبنى جدول نشرته مجلة ولدي في عددها السادس يتحدث عن كيفية تعليم أبنائنا جنسياً كل حسب عمره ومستواه وأنقل لكم الجدول بكامله.

الطفل الرضيع	<ul style="list-style-type: none"> - أخرجه من غرفة نوم والديه أثناء فترة الجماع. - الحرص على عورته وأن لا نتركه لأي شخص حتى يغير ملابسه أو يحميه. - أن لا نعوده على تحسس أماكن العورات. - أن لا نتركه في المنزل لوحده مع الخادمة والأفضل أخذ الطفل معنا، أو تركه في منزل جده.
إذا بلغت ابنتك سنواً	<ul style="list-style-type: none"> - لا تخرج من المنزل لوحدها في فترات الظهيرة والمساء. - يتم إفهامها ألا يحاول أحد أن يتحسسها في أماكن عورتها، لأن هذا عيب، وهذه منطقة لا يطلع عليها أحد. - إذا خلعت ملابسها فتخلعها بعد أن تتأكد أن باب الغرفة مغلق. - لا تخلع ملابسها أبداً خارج المنزل مهما كانت الأسباب. - لا نجعلها تخرج أبداً مع السائق لوحدها. - لا تلعب مع أبناء عمها أو أبناء خالها الأكبر سناً أبداً وحدها. - محاولة تعويدها على لبس الملابس الداخلية الطويلة (في حالة ارتدائها فستاناً)، بالإضافة إلى تعليمها طريقة الجلوس السليمة، مثل أن لا تجلس ورجلها مفتوحة، وملابسها مرتفعة. - لا تدخل أبداً غرفة السائق أو الخادم. - تنمية الرقابة الذاتية لديها عن طريق تدريبها على تغيير محطات التلفزيون إذا ظهرت لقطات مخلة للأدب وحتى لو كانت وحدها. - بدء الفصل في النوم عن إخوتها الشباب.

(١) الإسلام ومشكلات الحضارة ونقله د. صلاح الخالدي في أمريكا من الداخل / ١٩٤ - ١٩٥

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

<p>- لا يخرج من المنزل وحده في فترات الظهيرة والمساء.</p> <p>- تعويده على النوم على الشق الأيمن اتباعاً للسنة النبوية، فإن نوم الطفل على وجهه يؤدي إلى كثرة حك أعضائه التناسلية.</p> <p>- يتم إفهامه أن لا يحاول أحد أن يتحسس في أماكن عورته.</p> <p>- البدء في تعليمه الاستئذان قبل الدخول على الأم والأب أوقات الظهيرة والعشاء والفجر.</p> <p>- إذا خلع ملابسه، يتأكد أنه لا يوجد هناك من يراه.</p> <p>- تنمية الرقابة الذاتية لديه عن طريق تدريبه على تغيير محطات التلفزيون إذا ظهرت لقطات مخلة بالأداب.</p> <p>- بدء الفصل بالنوم عن أخواته الفتيات.</p>	<p>إذا بلغ الولد ٦ سنوات</p>
<p>- تشرح لها والدتها معنى البلوغ، والدورة الشهرية.</p> <p>- تتحدث معها والدتها حول معنى الاعتداء الجنسي وتورد لها قصصاً في هذا الموضوع.</p> <p>- توضح الأسباب الحقيقية من وراء منع والديها لها من التالي:</p> <ul style="list-style-type: none"> ● الخروج مع السائق وحدها. ● اللعب مع أولاد العم والخال الأكبر سناً لوحدها. ● دخول أماكن يتواجد فيها العمال والصباغون والخدم والطباخون الرجال. <p>- تربية البنت على الحياء، والنظرة الحلال، وتغيير محطات التلفزيون إذا ظهرت لقطات مخلة بالأداب، أو ظهرت سيدة غير محتشمة.</p> <p>- البدء في تدريبها على الامتناع عن لبس القصير في المنزل، وبالأخص أمام إخوتها الشباب ووالدها.</p> <p>- ضرورة الابتعاد عن الفتيات في المدرسة اللاتي يكررن محاولة الالتصاق الجسدي، أو مسك اليد أو الاحتضان.</p>	<p>إذا بلغت البنت ١٠ سنوات</p>
<p>- يشرح له والده معنى البلوغ + الاحتلام.</p> <p>- يتحدث معه والده حول معنى الاعتداء الجنسي ويورد له قصصاً في هذا الموضوع.</p> <p>- يوضح له أهمية أن يحتاط في اللعب مع زملائه في المدرسة وضرورة الانتباه للحركات التالية والتي تصدر من زملاء الأكبر سناً إذا تكررت:</p> <ol style="list-style-type: none"> ١ - التقبيل. ٢ - مسك اليد وتحسسها. ٣ - وضع اليد في الشعر. ٤ - الالتصاق الجسدي أو الاحتضان. ٥ - المديح لجمال الشكل والجسم. <p>- التربية على الحياء والنظرة الحلال، وتغيير محطات التلفزيون إذا ظهرت امرأة غير محتشمة أو لقطات مخلة بالأداب.</p>	<p>إذا بلغ الولد ١٠ سنوات</p>

<p>- تشرح لها والدتها طريقة تكون الجنين، وأن الطريق الوحيد في الإسلام له هو الزواج فقط.</p> <p>- توضح لها أهمية ارتداء الحجاب، والأسباب التي جاء من أجلها تحريم الخروج دون حجاب.</p> <p>- توضح لها والدتها تحريم الاختلاء بشخص أجنبي عملياً ويدخل في ذلك كل أبناء خالاتها وعماتها مع بيان معنى الخلوة المحرمة شرعاً.</p> <p>- تشرح لها والدتها طريقة الغسل والطهارة.</p> <p>- توضح لها أهمية ابتعادها عن الفتيات اللاتي يوزعن أفلاماً جنسية، أو أرقام هواتف شباب.</p> <p>- بيان صفات الفتاة المسلمة صاحبة الأخلاق الراقية بعدم حديثها مع أي شاب لا تعرفه، ويحاول التعرف عليها.</p>	<p>إذا بدأت علامات البلوغ تظهر على الفتاة</p>
<p>- يشرح له والده طريقة تكون الجنين، وأن الطريق الوحيد في الإسلام له هو الزواج فقط.</p> <p>- يوضح له أهمية غض البصر.</p> <p>- يوضح له تحريم الشرع في الاختلاء بأي فتاة.</p> <p>- يتحدث معه حول ضرورة ابتعاده عن الشباب الذين يروجون أفلام الجنس ويحثون على الحديث مع الفتيات.</p>	<p>إذا بدأت علامات البلوغ تظهر على الولد</p>

إنه جدول جميل وفيه أفكار جميلة ويمكن أن نعهده ورقة أولى في هذا المشروع الذي ينبغي أن نظوره كمنهج علمي نعلم من خلاله أبناءنا الثقافة الجنسية.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الذي وقفنا لتتمة هذا الكتاب والذي نأمل أن يقدم إضافة في المكتبة الإسلامية بطرح زاوية جديدة لسيرة الحبيب محمد ﷺ مع زوجاته أمهات المؤمنين بنظرة واقعية وعملية.

وأسأل الله تعالى أن يتقبل منّا هذا العمل، ويجعله في ميزان حسناتنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن لا يحرمننا القارئ من الدعاء عند الاستفادة منه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مراجع استفدت منها

كتب الحديث

- الصحيح الجامع - البخاري
- الصحيح - مسلم
- سنن الترمذي - الترمذي
- سنن النسائي - النسائي
- سنن ابن ماجه - ابن ماجه
- سنن أبي داود - أبو داود
- المسند - أحمد بن حنبل
- صحيح الجامع الصغير - الألباني
- فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر
- المستدرک - الحاكم
- الترغيب والترهيب - المنذري
- الموطأ - مالك

كتب الفقه

- المغني - ابن قدامة
- نيل الأوطار - الشوكاني
- مع الناس فتاوى ومشورات - د. البوطي

كتب التفسير

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور - السيوطي
- تفسير القرآن - القرطبي

كتب التراجم

- ذيل طبقات الحنابلة - ابن رجب الحنبلي
- طبقات الفقهاء - طاش زاده
- تراجم سيدات بيت النبوة - بنت الشاطئ
- الاستيعاب - ابن عبد البر
- الطبقات - ابن سعد
- عبقرية الصديق - محمود عباس العقاد
- سير أعلام النبلاء - الذهبي

موسوعات وتاريخ

- البداية والنهاية - ابن كثير
- الموسوعة الفقهية - وزارة الأوقاف - الكويت
- نضرة النعيم - مجموعة من المختصين في دولة السعودية
- موسوعة روائع الحكمة - د. روجي البعلبكي

كتب أسرية

- ماتحبه النساء في الرجال - عايدة أحمد صلال
- المرأة في القرآن - الشيخ الشعراوي

- المرأة بين طغيان النظام الغربي وعدالة التشريع الرياني - د. البوطي
- ادفعي زوجك إلى النجاح - دوروثي كارنيجي
- حق المرأة على زوجها - أبو مريم مجدي السيد
- عودة الحجاب - محمد المقدم
- أشهر قصص العشاق والمتيمين - محمد سليم
- زواج من غير متاعب - عبدالحميد البلالي
- عناية النساء بالحديث - أبو عبيدة آل سليمان
- كتاب العيال - ابن أبي الدنيا
- تحرير المرأة في عصر الرسالة - عبد الحلیم أبو شقة
- كيف تغير سلوك طفلك؟ - محمد آل ديماس
- فنون تربية الأبناء - عبدالحميد البلالي
- أروع ما قيل في الزواج - إميل ناصف

كتب علم النفس والاجتماع

- قصص واقعية من واقع الحياة - سيد الرفاعي
- دراسات في علم الاجتماع الطبي - محمد علي وآخرون
- تأملات ابن القيم في الأنفس والآفاق - أنس القوز
- أدب الدنيا والدين - الماوردي
- علم النفس في حياتنا اليومية - سمير شيخاني
- لغة العيون - د. محمد كشاش
- السلوك الاجتماعي - حسن أيوب

كتب الإدارة

- الدليل الدائم للنجاح مع الناس - جيمس فان فليت
- كيف تكسب الثروة والنجاح والقيادة؟ - ديل كارنيجي
- أيقظ قواك الخفية - أنتوني روبنز

كتب عامة

- رسالة المسترشدين - المحاسبي
- هكذا علمتني الحياة - مصطفى السباعي
- الإصابة فيما استدركته عائشة على الصحابة - الزركشي
- اعترافات ممثلين وممثلات - محمد رشيد العويد
- بيت الدعوة - رفاعي سرور
- الفكاهة والضحك في التراث العربي - د. رياض قزيجة
- الزمان الصعب - د. عبدالكريم بكار
- المستطرف في كل فن مستظرف - الأبهشي
- الأذكياء - ابن الجوزي
- صفحات رائدة في سيرة العدالة - نذير مكتبي
- في الوفاء - عبدالرحمن اللطيف
- تزييف الوعي - فهمي هويدي

الفهرس

٣ المقدمة
٨ الحالة الاجتماعية لبيوت النبي ﷺ
٩ شجرة ذرية النبي محمد ﷺ
١١ ١ - خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها
١٧ أولاً: نجاح الزوج بدعم زوجته:
١٩ ١ - تذكير بالإنجازات
٢١ ٢ - صنائع المعروف تقي مصارع السوء
٢٣ ٢ - (١٠) سنوات من الدعم المتواصل
٢٥ ٤ - (٦) وسائل لحماس الزوج ونجاحه
٢٦ ٥ - زوجة «فوردي» هي السبب
٢٧ ٦ - شركة «جراهام» للبتروول
٢٨ ٧ - الزوجة الثانية هي سبب النجاح
٢٩ ٨ - أفكار تربوية تشجع أبناءك على دعم الآخرين
٣١ ثانياً: الوفاء الزوجي:
٣٢ ١ - مظاهر الوفاء الزوجي وعلاماته
٣٤ ٢ - هل من الوفاء.. عدم الزواج بعد الوفاة؟
٣٥ ٢ - هل الزوجة الثانية ضد الوفاء للأولى؟
٣٦ ٤ - وفاء فاطمة لزوجها
٣٧ ٥ - من أجل الوفاء لم يحدث الطلاق
٣٩ ٦ - من عجائب قصص الوفاء

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

- ٧ - الوفاء والفدر عند غير الإنسان ٤١
- ٨ - أفكار تربوية تغرس في أبنائنا خلق الوفاء ٤٢
- ٢ - سودة بنت زمعة - رضي الله عنها** ٤٥
- ١ - التعدد بين الفشل والنجاح ٥٢
- ٢ - يتنافسان على التبرع بالكلية ٥٤
- ٣ - هل ننصح الزوج بالتعدد اليوم؟ ٥٦
- ٤ - لماذا الرجل يعدد والمرأة لا تعدد؟ ٥٩
- ٥ - كيف تعامل أبناء زوجاتك؟ ٦١
- ٦ - أفكار تربوية تغرس في أبنائك خلق العدل ٦٢
- ٣ - عائشة بنت أبي بكر - رضي الله عنهما** ٦٥
- أولاً: تعليم الزوجة:** ٧١
- ١ - تعليم زوجتك واجب عليك ٧٢
- ٢ - اتركها جاهلة أفضل ٧٣
- ٣ - رجال طلبوا العلم على أيدي النساء ٧٥
- ٤ - عائلة علم بسبب والدهم ٧٩
- ٥ - طرائف ومواقف العلم العائلي وطلبه ٨١
- ٦ - لا تهملني نفسك بعد الزواج ٨٤
- ٧ - أفكار تساعدك في تعليم الزوجة والأبناء ٨٥
- ثانياً: الحب الزوجي** ٨٩
- ١ - هل الحب قبل الزواج حرام؟ ٩٣
- ٢ - لماذا ينتهي زواج الفنانات بالطلاق؟ ٩٥
- ٣ - قصة حب ٩٨

■ زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

- ٤ - عيد الحب ١٠٤
- ٥ - أثر الحب في تغير النفوس ١٠٧
- ٦ - أفكار تساعدك في تربية أبنائك على الحب ١٠٩
- ثالثاً: الترفيه العائلي** ١١١
- ١ - لماذا يمرح مع أصحابه ويعبس لزوجته؟ ١١٣
- ٢ - مدمن مخدرات بسبب عدم الترفيه ١١٥
- ٣ - عاقب اللعبة لا اللاعب ١١٨
- ٤ - عائلة كثيرة الضحك والترفيه ١٢١
- ٥ - أفكار تساعدك لتحقيق الترفيه العائلي ١٢٣
- رابعاً: حسن الاستماع** ١٢٤
- ١ - انتحر وظن أن زوجته لا تسمعه ١٢٩
- ٢ - كيف نستمع لأبنائنا عندما يتحدثون ١٣٢
- ٣ - شتمت ابنها ٧٢ مرة في ٢٥ دقيقة ١٣٦
- ٤ - من يسمع أكثر الصغار أم الكبار؟ ١٣٨
- ٤ - حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنها** ١٤٣
- المدارة العائلية.**
- ١ - مداراة الزوج لزوجته ١٤٩
- ٢ - حوار راقٍ ذو مستوٍ عالٍ ١٥٣
- ٣ - ما الفرق بين المداراة والمداهنة ١٥٤
- ٤ - ملكة جمال المطلقات.. والزواج العمياني ١٥٦
- ٥ - فقه المداراة في البيت النبوي ١٥٩
- ٦ - كيف نربي أبناءنا على المداراة؟ ١٦٠

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

١٦٦ ٥ - زينب بنت خزيمة - رضي الله عنها
العمل الخيري العائلي؛

١٦٧ ١ - العمل الخيري العائلي

١٦٩ ٢ - هل سمعت عن وقف لتنمية الذكاء

١٧١ ٣ - سيدات لندن يجمعن التبرع بطريقة غريبة

١٧٣ ٤ - أولويات العمل الخيري

١٧٤ ٥ - ماذا تقول لابنك إذا رأيت متسولاً؟

١٧٦ ٦ - كيف تربي أبناءك على التطوع وحب الصدقة؟

١٨١ ٦ - أم سلمة بنت أبي أمية - رضي الله عنها
الاستشارة الزوجية

١٨٧ ١ - استشارة الزوجة منهج نبوي

١٨٩ ٢ - شاوروهن وخالفوهن

١٩٠ ٣ - هل نستشير أبناءنا ونعتذر منهم؟

١٩٣ ٥ - هل الرجل ناقص عقل ودين؟

١٩٧ ٦ - كيف تربي أبناءنا على مفهوم الشورى؟

١٩٩ ٧ - زينب بنت جحش - رضي الله عنها
كسر العادات والتقاليد

٢٠٥ ١ - كسر العادات والتقاليد

٢٠٨ ٢ - دكتاتورية الأعراف والهنديات الثلاث

٢١٠ ٣ - كيف نغير العادة السيئة؟

٢١١ ٤ - هل ستصبح عاداتنا غريبة؟

٢١٣ ٥ - كيف تربي أبناءنا على العادات الحسنة؟

- ٢١٥ ٨ - جويرية بنت الحارث - رضي الله عنها
التدين العائلي.
- ٢٢٠ ١ - التدين العائلي
- ٢٢٣ ٢ - متدين مودرن.. ومقعد الطائرة
- ٢٢٧ ٣ - (٣) قصص في التدين
- ٢٢٩ ٤ - طرائف في فهم الدين
- ٢٣١ ٥ - زوجتي غير محجبة ماذا أفعل؟
- ٢٣٣ ٦ - كيف نربي أبناءنا على التدين؟
- ٢٣٥ ٩ - أم حبيبة بنت أبي سفيان - رضي الله عنها
الزواج على يعد
- ٢٤٣ ١٠ - صفية بنت حيي - رضي الله عنها
أولاً: مسح الدموع.
- ٢٤٩ ١ - مسح دموع الزوجة
- ٢٥١ ٢ - أنواع المواساة الزوجية
- ٢٥٤ ٣ - متى يبكي الرجال؟
- ٢٥٧ ٤ - لغة العيون
- ٢٦٠ ٥ - كيف نعلم أبناءنا مواساة الآخرين؟
- ٢٦١ ثانياً: الاحترام الزوجي
- ٢٦٢ ١ - ما علامات الاحترام الزوجي؟
- ٢٦٤ ٢ - ما أثر الإهانة الزوجية على الأبناء؟
- ٢٦٥ ٣ - عشيقته تحترمه وزوجته تهينه

زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر

- ٢٦٧ ٤ - هل يحترم الغرب العلاقة الزوجية؟
- ٢٦٨ ٥ - كيف تربي أبنائنا على مفهوم الاحترام؟
- ٢٧١ ١١ - **ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها**
- التحكم بالمشاعر
- ٢٧٧ ١ - التحكم بالمشاعر فن ومهارة
- ٢٧٨ ٢ - أسلم لما رأى من تحكم طفل بمشاعره
- ٢٨٠ ٣ - من قاد نفسه فقد قاد العالم
- ٢٨١ ٤ - فوائد التحكم بالمشاعر على الزوجين
- ٢٨٢ ٥ - كيف تربي أبنائك على التحكم بالمشاعر؟
- ٢٨٥ ١٢ - **غرفة النوم (مشارك فيها جميع الزوجات)**
- ٢٨٧ ١ - غرفة النوم
- ٢٨٨ ٢ - متى نعلم أبنائنا الثقافة الجنسية؟
- ٢٩٠ ٣ - الأمية الجنسية
- ٢٩٣ ٤ - هل يجوز النظر للأفلام الجنسية؟
- ٢٩٥ ٥ - فوائد المعاشرة الزوجية
- ٢٩٧ ٦ - كيف تربي أبنائنا على الثقافة الجنسية؟
- ٣٠١ **الخاتمة**
- ٣٠٣ **مراجع استفدت منها**